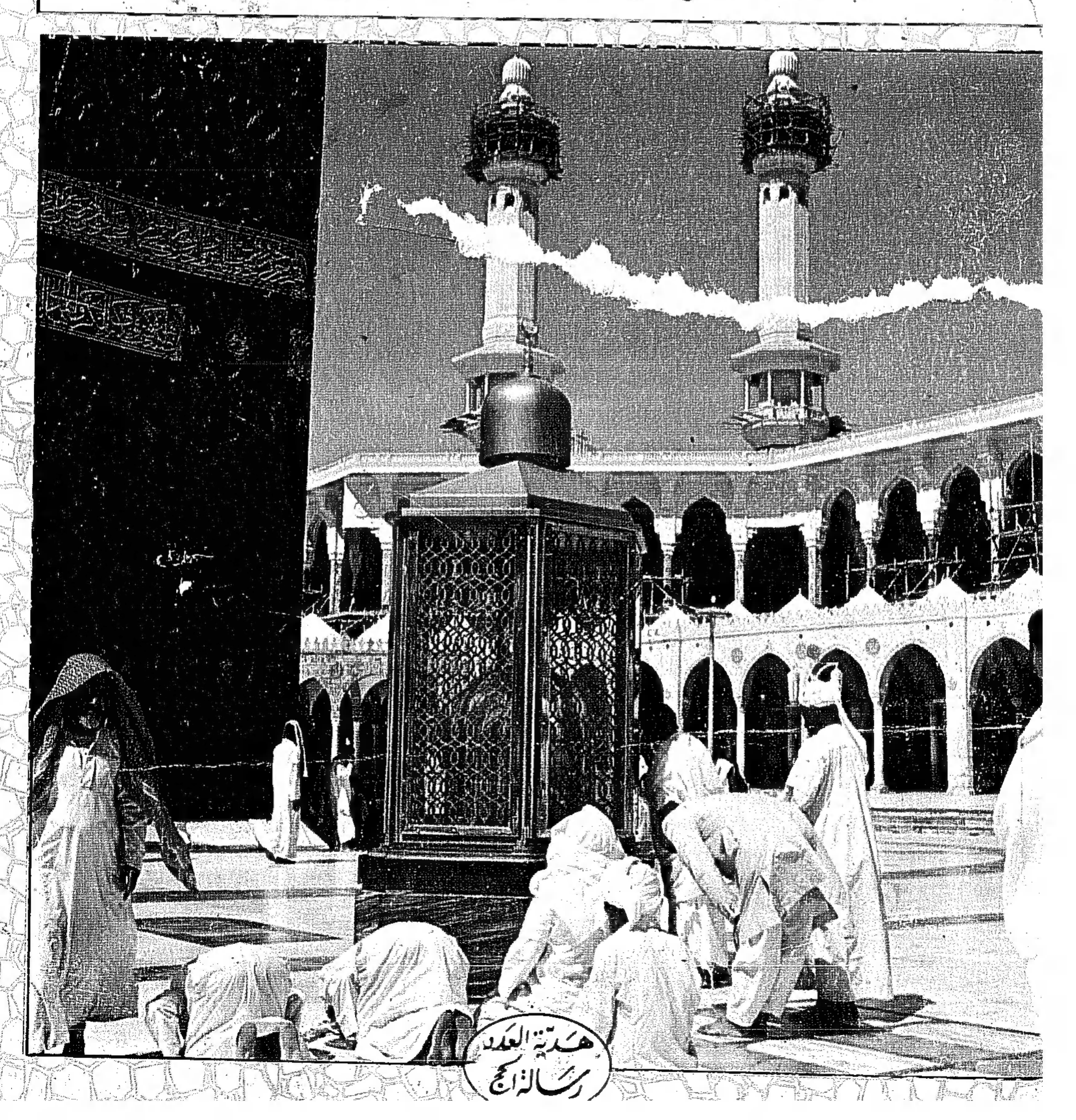
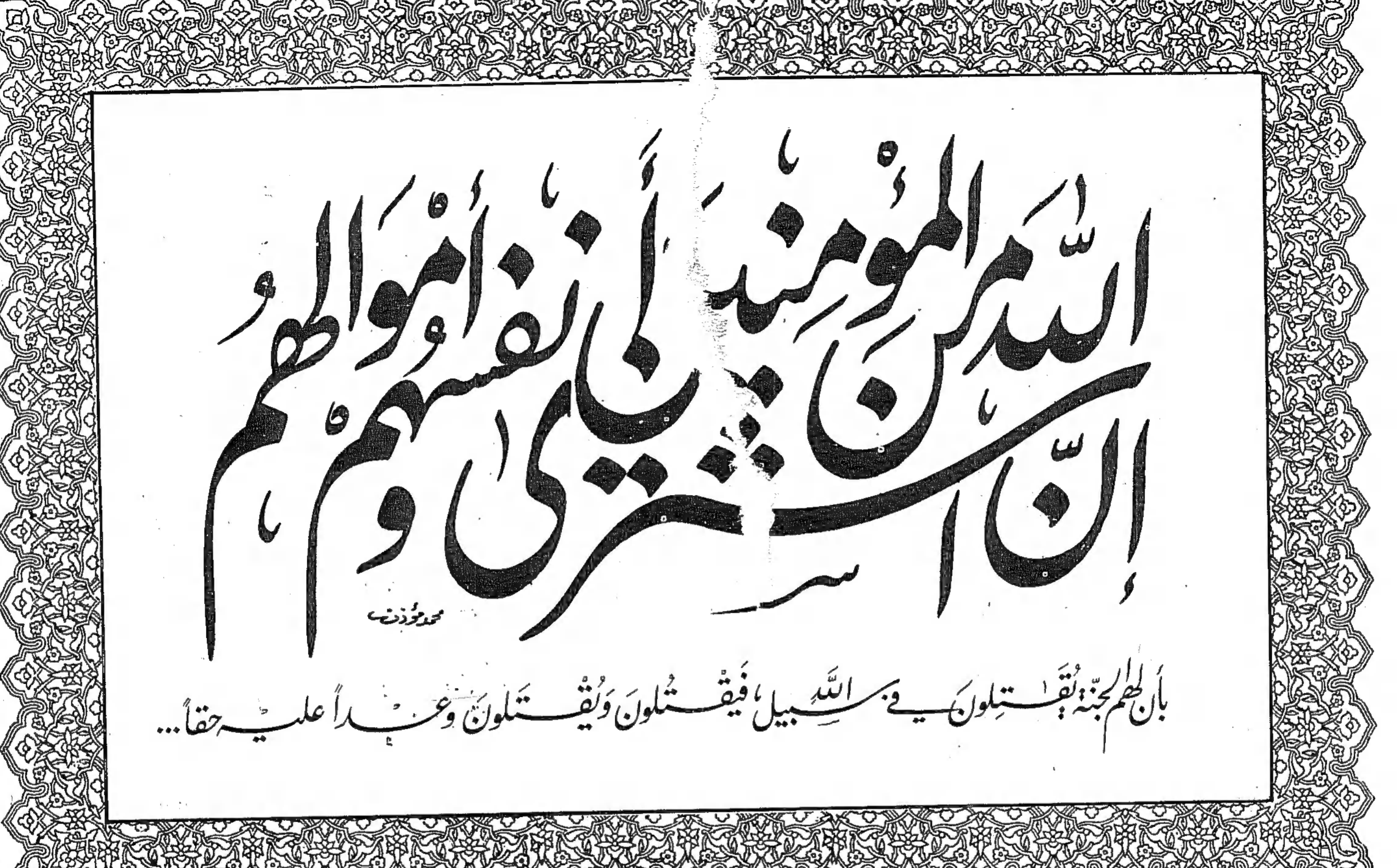
الوعي الإسلامي

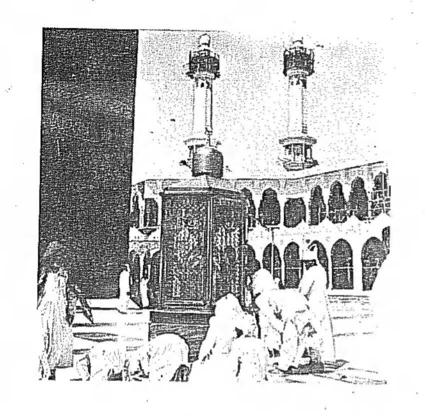
اسلامية ثقافية شهرية

العدد ١٠٧ ـ غرة ذى القعدة ١٣٩٣ هـ ـ نوفمبر ١٩٧٣ م



هدية العدد
رسالة الحج


إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم
بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا...
محمد موذن



مقام ابراهيم بعد تعديله ..

تصوير : مجلة العربى



اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

العدد (١٠٧)

نوفمبر ١٩٧٣ م

غرة ذى القعدة ١٣٩٣ هـ

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى ـ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ ـ كويت ـ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٢٢٠٨٨

سمو أمير البلاد

يتفضل بافتتاح دور الانعقاد العادي الرابع للفصل التشريعي الثالث لمجلس الأمة

« تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بافتتاح دور الانعقاد العادى الرابع للفصل التشريعى الثالث لمجلس الامة ، فى السادس من شوال سنة ١٣٩٣ .. وبعد أن أخذ سموه حفظه الله مكانه فوق المنصة تفضل وطلب من الحضور الوقوف لقراءة الفاتحة ترحما على أرواح شهدائنا الابطال على جبهات القتال .. ثم تفضل سموه والقى نطقا ساميا فتح به دور الانعقاد الرابع ، وفيما يلى نصه » :

باسم الله العلى القدير ، وبعونه تعالى وتأييده ، نفتتح دور الانعقاد العادى الرابع للفصل التشريعى الثالث لمجلس الأمة ..

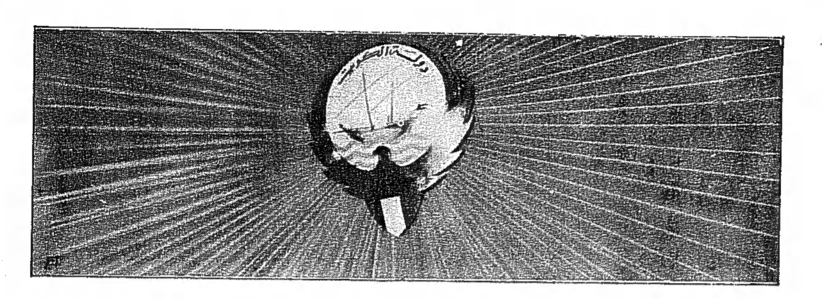
حضرات الأعضاء المحترمين ،

نحتفل بافتتاح هذه الدورة وأمتنا العربية المجيدة تجتاز أهم فترة تاريخية مصيرية تعتصم فيها بمبادىء العدل والحق والحرية وتعتز بكفاح أبنائها ونضالهم البطولى فى معركة الشرف والخلود .

ولقد سرنى أن مجلسكم قد قام بواجبه الوطنى فى هذه الحقبة الهامة من تاريخ وطننا العربى وتعاون مع الحكومة فى مواجهة ما يمر به الوطن من أحداث كبيرة .

وانى لأود أن يظل التعاون موصولا من أجل خير البلاد ، وأن تسود روح الألفة والمودة جميع أعمالكم توطيدا للديمقراطية السليمة وتحقيقا للمصلحة العامة .

والله تعالى أسأل أن يلهمنا جميعا الصواب فى كافة أعمالنا وأن يوفقنا لتحقيق ما نبتغيه لوطننا العزيز وأمتنا العربية من عزة ومجد وازدهار .

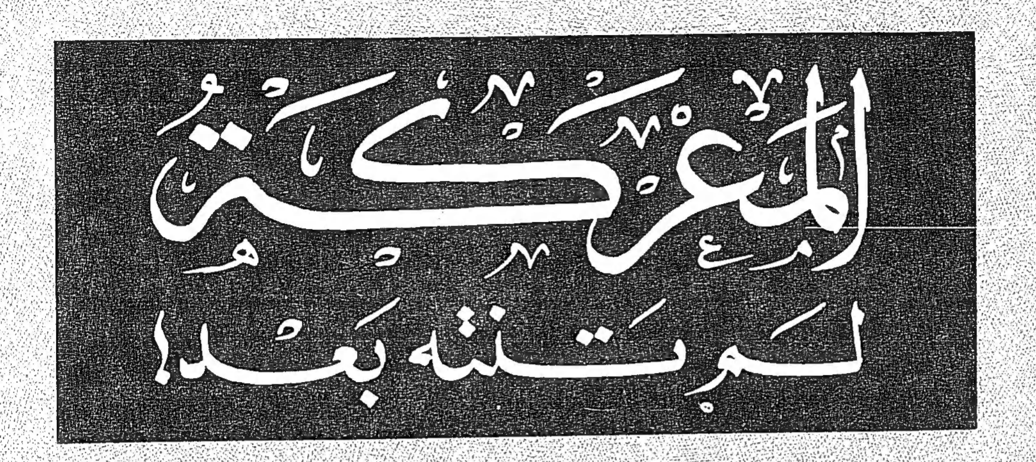




حضرة صاحب السمو أمير البلاد يلقى النطق السامى مفتتحا دور الانعقاد الرابع لمجلس الامة .



صاحب السمو الامير المفدى ورئيس مجلس الامة ولجنة الاستقبال أمام مجلس الامة أثناء عزف السلام الاميرى



القى سعادة الأستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الكلمة التالية فى الاذاعة الكويتية بمناسبة عيد الفطر المبارك وقد حيا فيها جنودنا الابطال الذين يقفون على خط النار ، وأكد على ضرورة المحافظة على وحدة الامة واستمرار الدعم للمجهود الحربى لأن مسئولية تحرير الارض المحتلة هى مسئولية الأمة كلها وأن المعركة لم تنته بعد وأشاد بالدول الافريقية التى قطعت علاقاتها الدبلوماسية بالعدو .

ايها الأخوة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

أنتهز فرصة حلول عيد الفطر المجيد ، فأتحدث اليكم بهذه المناسبة الكريمة التى يمجدها المسلمون فى شتى اقطار العالم . والعيد يوم مشهود من أيامنا ومظهر عتيد من مظاهر شعائرنا الاسلامية ، وحضارتنا العربية ، تفضل الله به على الأمة وامتن فيه علينا لنستشعر نعمة الله بعد أن صمنا شهر رمضان المبارك وأدينا واجب عبادة قد فرضها الله علينا تزكية لنفوسنا ، وتعميقا للايمان فى قلوبنا .

وتأتى هذه المناسبة الكريمة فى وقت تخوض فيه الأمة العربية معركة الشرف والكرامة ضد عدو غاصب مستهتر ، تدعمه دول باغية وتمده بكل طاقاتها المادية والبشرية .. وقد استبسل الجندى العربى فى المعركة وقاتل بشجاعة وصبر وضحى بروحه ودمه دفاعا عن شرف الأمة العربية وعزتها وكرامتها . وقد شهد العدو بشجاعة جنودنا ومناضلينا الأبطال حيث أبلو بلاء حسنا فى سبيل الله وصدق الله اذ يقول « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » .

واليوم لا يطيب لنا أن نحتفل بالعيد ، ولا أن نزهو بالجديد ما دام العدو يحتل أرضنا ، ويعتدى على مقدساتنا دون احترام للأديان ولا تقدير لحقوق الانسان بل يجب أن نحول احتفالاتنا الى دعم للمجهود الحربى وتأييد للنضال العربى ، فالمعركة لم تنته بعد والطريق بيننا وبين العدو طويل وشاق ويحتاج منا التعاون والتضامن والتساند . واعلموا أن المعركة التى تخوضها مصر وسوريا هى معركتنا جميعا ، واحتلال شبر واحد منها يقع وزره على عاتق المجموع حتى يسترد ، فجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ولا تبخلوا بكل عزيز لديكم تحرير وطنكم ومقدساتكم فإن القدس تناديكم وتستغيث بكم « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله » .

ولا بأس باخراج الزكاة والصدقات والهبات والوصايا للمجهود الحربى ، كما لا تنسوا فى هذا اليوم العناية بأمر أرحامكم وجيرانكم وما حولكم من الفقراء والمحتاجين والمساكين فان لهم حقا عليكم .

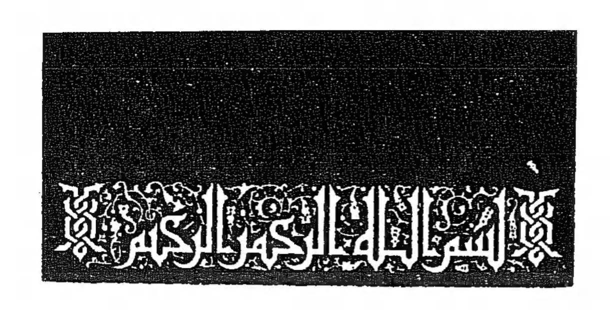
والعيد يذكرنا بمبدأ من مبادىء الاسلام العظيمة وقاعدة من قواعده الجليلة الا وهى وحدة الأمة وتضامنها ووحدة الكلمة ووحدة النضال . فهم سواء فى السراء والضراء ، فعلى المسلمين أن يتمسكوا برباط الاخوة والايمان ، ومن الواجب عليهم أن يقفوا مع اخوانهم فى وجه أعدائهم فمهما تباعدت ديارهم واختلفت الوانهم فهم أخوة فى الاسلام .

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أنوه بموقف الدول الافريقية التى قطعت علاقاتها باسرائيل بعد أن تبين لها زيف الدعاية الصهيونية . كما اهيب بالدول الأخرى وخاصة التى تضم أكثرية من المسلمين أن تبادر الى قطع علاقاتها باسرائيل وتأييد الحق العربى الذى ينبع من المواثيق الدولية والعلاقات الأخوية فان فى ذلك اقل مشاركة من المسلم لأخيه المسلم .

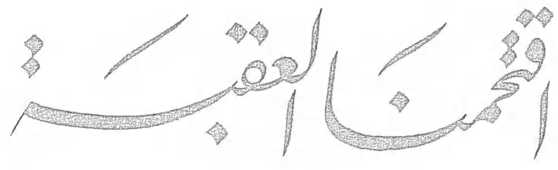
وفى الختام أوجه تحيتى الى الجنود والضباط والمناضلين الذين يرابطون فى ثغورهم يتلقون الرصاص فى صدورهم نصرهم الله وأيدهم بروح من عنده « اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

كما أتوجه الى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بالتهنئة الخالصة سائلا المولى عز وجل أن يعيده علينا وعلى الأمة العربية والشعوب الاسلامية بالعز والنصر والبركات .

والسلام عليكم .







باسم الله ، وعون وتوفيق من الله اقتحمنا العقبة التى وقفنا خلفها عشرات السنين حيارى مترددين .

باسم الله ، وعون وتوفيق من الله اقتحمنا العقبة التى أضاعت منا فلسطين وأخرجتنا من سيناء ، وانتزعت منا الجولان .

باسم الله ، وعون وتوفيق من الله اقتحمنا العقبة التى ضربت علينا الذلة والهوان ، وجعلتنا بين دول العالم أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام .

والعقبة التى اقتحمناها ليست خط بارليف الذى انهار ولا طائرات الفانتوم التى تهاوت ، ولا مارد صهيون الذى انطبق عليه قمقم سليمان ، انها أخطر من ذلك بكثير .. انها الفرقة التى تجعل من الجبل الأشم ذرات تذروها الرياح .. الفرقة التى تحول السيل الجارف الى قطرات متباعدة صغيرة ، الفرقة التى تذيب الحديد الصلب وتفقده قوته وصلابته . انها الفرقة التى اكتوينا بنارها منذ أمد بعيد ، فاكلت الخلافة ، ومزقت الوحدة ، وعصفت بالقوة .. لقد اقتحمنا هذه العقبة بقوة الايمان وحطمناها بائتلاف القلوب والمشاعر ، وعبرناها بتوحيد الصفوف واجتماع الكلمة ، وتلك نعمة يجب أن تذكر وتشكر ، ويحرص على بقائها وتثبيتها : ((واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها)) .

اقتحمنا العقبة بالقول والفعل . بالدم والمال بالعزيمة الصادقة والارادة الماضية . اقتحمناها بالعقل والروية . بالتدبير والتخطيط . وقبل هذا وبعد هذا بتوفيق الله وعون الله .

سقطت العقبة بالتضامن والعمل الموحد ، بالمعركة الواحدة ، بقوة الحديد والنار ، بالحديد الملتهب فى سيناء بالنار المشتعلة فى الجولان ، بالألغام المتفجرة فى قلب فلسطين .. بالمدرعات المصرية والدبابات السورية والمنظمات الفلسطينية والجحافل العراقية والحشود السعودية والقوات الكويتية والطائرات الليبية والكتائب المغربية والفرق السودانية والتحركات الأردنية .. بدماء هؤلاء جميعا خط الايمان سطور التضامن والتعاون فى تاريخ أمتنا المجيدة .

وتضامننا لم يزلزل العقبة وحدها ، بل زلزل دول العالم وأكرهها على اكبارنا واحترامنا ، والرضوخ لحقوقنا ، وذلك عندما توجت دولنا المنتجة للنفط هذا التضامن باستخدام هذا السلاح الرهيب فى المعركة ، فخفضت الانتاج ، ومنعت تصديره منعا كاملا عن الدول الموالية لعدونا .

ان مائة مليون عربى مسلم فى الشرق الأوسط ، يحيط بهم ستمائة مليون مسلم فى مشارق الأرض ومغاربها يصنعون الأعاجيب ويغيرون ميزان القوى فى العالم لخير الانسانية لو تضامنوا وتعاونوا ، لو اتفقوا واتحدوا لو أظلتهم جميعا راية الاسلام ، وحكمهم جميعا حكم القرآن .

ولا شك أن هذا التضامن الذى ظهرت تباشيره اليوم يواجه قوى معادية ضخمة ، وتحاك ضده مؤامرات ماكرة خبيثة قد يشارك فيها عن قصد أو جهل أصحاب النظر القصير واللاهثون وراء المنافع الشخصية العاجلة وواجب كل فرد منا على كافة المسئوليات وفى جميع المواقع أن يحرص كل الحرص على دعم هذا التضامن وتوسيع نطاقه ، وحمايته من كل اضطراب واهتزاز ، وتنميته حتى يتحول الى وحدة شاملة كاملة تحمى الحق والعدل والسلام .

ان الاتحاد قانون من قوانين القوى الكونية ، فالخيط الواهى اذا انضم اليه مثله ، أصبح قوة قادرة على رفع الأثقال .

ان الله عز وجل الذى أنزل فى كتابه أننا خير أمة أخرجت للناس أمرنا قبل ذلك مباشرة بالاعتصام بدينه فقال سبحانه : ((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)) .

والرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم قال : المسلمون كرجل واحد أن اشتكى عينه اشتكى كله وان اشتكى رأسه اشتكى كله .

والشاعر الحكيم قال :

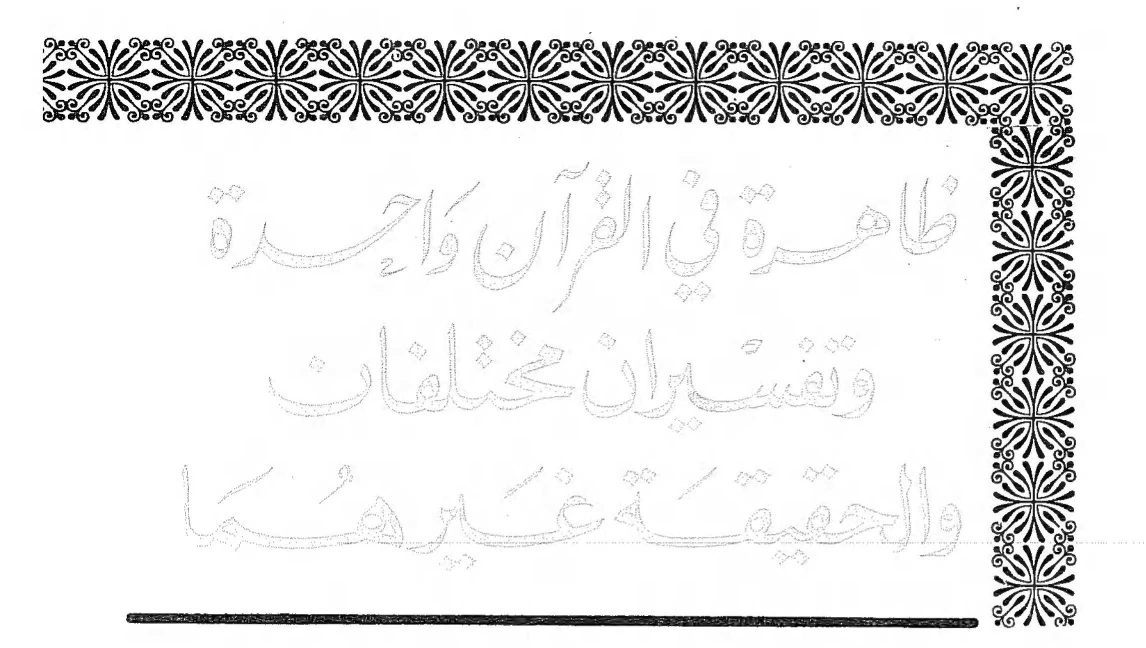
تابى الرماح اذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن تكسرت آحادا

والشاعر المعاصر يقول :

تذوب حشاشات العواصم حسرة اذا دميت من كف (بغداد) اصبع
ولو صدعت فى سفح (لبنان) صخرة لدك ذرا (الاهرام) هذا التصدع
ولو (بردى) أنت لخطب مياهه لسالت (بوادى النيل) للنيل أدمع
ولو مس (رضوى) عاصف الريح مرة لباتت لها أكبادنا تتقطع

والأحداث الراهنة تقول : تفرقنا فضعنا واجتمعنا فانتصرنا .
فالى مزيد من التضامن . الى الوحدة الاسلامية . وانما المؤمنون اخوة .

رضوان البيلى



ظاهرة في القرآن واحدة وتفسيران مختلفان والحقيقة غيرهما

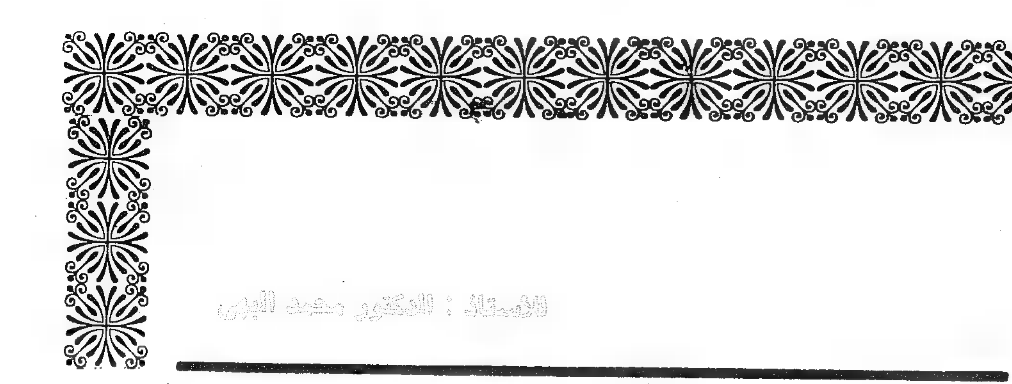
* قامت دراسات عديدة حول القرآن : من اتباعه .. ومن اعدائه على السواء . وغاية الدراسة بين الفريقين وان اختلفت ، فالظاهرة القرآنية التى تعلقت بها الدراسة من الجانبين كانت واحدة :

فبعض المفسرين يتعقب ما يسميه : « عدم الانسجام » فى آيات الأحكام على الخصوص .. ويخرجه على أن هناك ناسخا .. ومنسوخا ، بينهما . ويصبح ما نسخ : منسوخ الحكم ، دون التلاوة . وكأن فى القرآن من كلام الله : ما يتلى فقط ، دون أن يكون له اعتبار فى واقع حياة المؤمنين به . وعلى سبيل المثال ، يرى هذا الفريق : أن ما جاء فى قول الله تعالى ، فى سورة محمد عليه السلام :

« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ،
« حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق ،
« فاما : منا بعد ، واما فداء ، حتى تضع الحرب اوزارها » .

.. قد نسخ ما جاء فى سورة الأنفال — فى عتاب الرسول عليه السلام فى أمر أسرى : « بدر » .. وفدائهم — فى قول الله تعالى :

« ما كان لنبى أن يكون له أسرى (ما ينبغى ولا يجوز أن يكون لنبى أسرى نيفديهم بعد ذلك بمال ، حتى يثخن فى الأرض (أى حتى يتمكن ، وتكون له قوة) ..



«**تريدون عرض الدنيا** (بالفداء) **والله يريد الآخرة** (بالثواب) ، **والله عزيز حكيم** .

«**لولا كتاب من الله سبق** (أى لولا قضاء من الله تم بشأن هذا الأمر ، وهو العفو والصفح عنكم) **لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم** .

.. فالذى جاء فى سورة محمد — وهى متأخرة فى النزول عن الأنفال .. إذ ترتيبها هو ترتيب السورة التاسعة ، بينما ترتيب سورة الأنفال هو الثانية — هذا يجيز الأسر فى الحرب .. والتخيير بعد ذلك : بين المن على الأسرى باطلاق سراحهم .. أو بافدائهم بمال ، أو بأسرى من المؤمنين وهذا معنى قوله : «**فشدوا الوثاق** (أى اسروهم) ، **فاما منا بعد ، واما فداء**» .. هذا الذى جاء فى سورة محمد على هذا النحو : ينسخ — كما يقال — ما جاء فى سورة الأنفال من النهى عن الأسر ، فالفداء .. ومن وجوب قتل ما يقع من الأعداء فى الأسر : تقليلا لعدد هؤلاء الأعداء من جانب ، وارهابا للأحياء الباقين منهم من جانب آخر . وهذا هو قوله : «**ما كان لنبى أن يكون له أسرى ، حتى يثخن فى الارض ، تريدون عرض الدنيا**» . فالفداء للأسرى فى الحرب لم يكن جائزا فى سورة الأنفال . ثم نسخ عدم جوازه ، وأصبح جائزا فى سورة محمد عليه السلام .

وبعض المستشرقين — من جانب آخر — يسير وراء هذه الظاهرة القرآنية ، ويراها تنبىء — كما يدعى — عن التناقض فى القرآن . ويتخذ منها دليلا فى ادعائه : على أن محمدا فى تأليفه للقرآن لم يكن على درجة من الوعى، يتفادى معها : الوقوع فى المتناقضات .

والقارىء للدراستين يخرج بوجود ظاهرة قرآنية : يؤولها المسلم : بالناسخ والمنسوخ فى القرآن .. ويؤولها الحاقد على القرآن : بالتضاد ، أو التناقض فيه . وفى كل من التأويلين ما يعيب القرآن .

فالناسخ والمنسوخ فى كلام الله فى رسالة واحدة لرسول واحد : يلحق النقص بعلمه جل شأنه . وهو نقص عدم الاستيعاب وعدم الاحاطة .. أو نقص اليقين فى علمه . والتناقض فى القرآن يبعده عن أن يكون كلام

الله .. وبالتالى يسقط كونه معجزة للرسول عليه السلام .

فهل فى القرآن ناسخ ومنسوخ ؟ .. وهل فى القرآن تناقض ؟. أم أن هناك منهجا يقوم عليه تطوير المجتمع من وضع .. الى وضع آخر لا يلتقى مع سابقه .. ؟

* والمجتمع اذ ينتقل من وضع الى وضع مقابل له : لا ينتقل فجأة ، ولا دفعة واحدة . وتغييره من وضعه القائم .. الى وضعه المرتقب والمؤمل : يمر بمراحل ، أو بمستويات معينة من التطور . وموضوع التغيير هو : نفوس الأفراد .. وظواهر المجتمع معا . وتغيير نفوس الأفراد مقدمة لتغيير ظواهر المجتمع : ((**واذا أردنا أن نهلك قرية** (مجتمعا) **أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا**)) .

ومجتمع المؤمنين بالله وحده هو تحول : من مجتمع الجاهلين . والمجتمع الجاهلى تقوم روابط الأفراد فيه على المبادلات المادية وحدها .. وعلى عصبية الدم والقرابة .. بينما مجتمع المؤمنين يقوم على الروابط الانسانية . أى يقوم على المشاركة بين الأفراد فى المعانى الانسانية من : المودة .. والتعاون .. والمساندة . والمجتمع الجاهلى اذن : اذا كان مجتمعا ماديا فهو : لا انسانى . والمجتمع الايمانى أو الاسلامى اذا لم يكن مجتمعا ماديا — أى لا يقوم على المبادلات المادية وحدها — فهو مجتمع انسانى .

والمجتمع البشرى اذن : اما أن يكون مجتمعا جاهليا ، أى ماديا .. أو مجتمعا اسلاميا ، أو انسانيا . وانتقال المجتمع البشرى من وضع الى آخر : هو انتقال من الوضع الجاهلى والمادى .. الى الوضع الاسلامى ، أو الانسانى .. أو من الوضع الاسلامى أو الانسانى .. الى الجاهلى أو المادى ؛ على نحو المجتمعات الاسلامية فى أوروبا وآسيا ، التى تحولت الى مجتمعات شيوعية إلحادية بعد الحرب العالمية الثانية ، كمجتمع البانيا .

ودور الاسلام فى نقل المجتمع البشرى من جاهلى مادى ، الى اسلامى انسانى : هو دور نفسى .. واجتماعى .. أى يتصل بالأفراد ، والمجتمع معا ..

فدوره النفسى هو العمل على أن ترفض الأفراد المؤمنة الآن فى اصرار : صفات المجتمع الجاهلى التى كانت تعيش فيه من قبل ، وترفض العودة ثانية الى ممارستها ، والرجوع الى أساليبه فى الحياة .. وفى الوقت نفسه تقبل على صفات المجتمع الانسانى أو الاسلامى التى آمنت به ، وتكون لها عادات تعبر عن هذه الصفات . وصفات المجتمع الانسانى أو الاسلامى هى على النقيض من صفات المجتمع المادى والجاهلى .

ولذا : القرآن — كتاب الله ومصدر الاسلام — ينبه المؤمنين : الى صفات المجتمع الجاهلى والمادى أولا .. ثم يأخذ طريق التنديد بهذه الصفات .. فالنهى عنها بعد فترة من الزمن ، قد تطول وقد تقصر .. ثم يدعو الى صفات المجتمع الانسانى أو الاسلامى ويرغب فى التخلق بها .. فالأمر باتباعها بعد فترة من الزمن ، قد تطول وقد تقصر . فمنهجه لتحول الأفراد من ماديين .. الى انسانيين ، أو مسلمين : يتبع هذه الخطوات ، أو يمر بهذه المراحل :

اولا : التعريف بصفات الجاهلين أو الماديين .. ثم التنديد بها ،
ثانيا : النهى عن مباشرتها ، وعن العودة اليها ،
ثالثا : الترغيب فى الصفات الانسانية ، أو الاسلامية ، التى هى طابع المجتمع الجديد .
رابعا : الأمر باتباعها وعدم التخلى عنها ، ان كان الايمان صادقا بقبول هـذا الوضع الجديد .

وفى هذه الخطوات أو المراحل يكون توجيـه القرآن للأفراد توجيهـا مساعدا لهم على تحولهم ، وضمانا لعدم رجوعهم وارتدادهم ، ومتلائما فـى الوقت نفسه : مع المستوى النفسى الذى وصل اليه تطور الأفـراد من خطوة الى خطوة ، ومن مرحلة الى مرحلة أخرى تعلوها . فمثلا : الشح صفة متأصلة فى السلوك المادى . ومن أجل رسوخ هذه الصفة فى نفوس الماديين يصعب عليهم نفسيا : أن يعطوا فى غير مقابل . بل تتطبع نفوسهم من اجل حب المال : بطابع الأنانيين الذين لايرون فى الحياة الا ذواتهم .. وأنه ليس لديهم فـى الاحساس ما يمنع : أن يكون غيرهم موضوع استغلال لهم ، ومصدرا لتكديس الأموال من شقائهم . وجاءت فى أوصافهم هـذه الآيات الكريمة فى سورة الفجر :

« كلا بل لا تكرمون اليتيم .
ولا تحاضون على طعام المسكين .
وتاكلون التراث أكلا لما ..
وتحبون المال حبا جما » .

.. فهم لا يهتمون باليتيم : ان فى شخصه ، وان فى ماله . فيعتدون على ماله ان كان له مال .. ولا يكرمون انسانيته بحسن توجيهه ورعايته ، ان كان عديم المال ،

.. ولا يهتمون بالمسـكين وصاحب الحاجـة .. ويتركونـه يشقى مع الحرمان ، ويصارعه الفقر الى الموت ،

.. ويعتدون على الضعفاء كالنساء والأولاد فى ميراثهم ، ويسلبونهـم حقهم فيه ،

.. ولا يرون فى الحياة الا : المال وحده فيعبدونه . أما الانسانية .. أما القيم العليا فى ترابط الأفراد بعضهم مع بعض ، فلا يرونها اطلاقا هدفا لهـم فى حياتهم ..

وسيطرة الربا فى تعامل الماديين واستغلالهم حاجة المحتاجين .. واكلهم أموال الناس بالباطل .. وادلاؤهم بالأموال الى الحكام ليأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وهم يعلمون : ظاهرة لهـذا الشح الـذى نمتـه المادية فيهم .

فنقل الماديين من الشح .. الى الانفاق من المال فى سبيل الله ، او فى سبيل المصلحة العامة ، أى الى الانفاق فى غير مقابل مادى : يحتاج أولا الى خلخلة هذا الطبع فى نفوس الأشحاء ، وذلك بالتنديد بالشح وبتوضيح أثره السيىء على نفس الشـحيح ، وعلى مجتمعه الذى يعيش فيه .. ثم بترغيبه فى الانفـاق على من لهم حق فى منفعة المال ولا يملكونه : « وآت

ذا القربى : حقه ، والمسكين ، وابن السبيل » .. ثم بفرض المستوى الأدنى من الانفاق ، وهو الزكاة : **« انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله »** .

وقد يجد القارىء للقرآن فى مرحلة الترغيب فى الانفاق العام ــ اى فى المرحلة الوسطى قبل الأمر بالزكاة ــ ان الانفاق العام المرغب فيه لا يحد الا بحاجة المنفق . فما تجاوز هذه الحاجة وزاد عنها فهو موضوع الانفاق فى غير مقابل ، الا لصالح الأمة وحده : **« ويسألونك ماذا ينفقون ؟ قل العفو »** .

والزكاة عندما فرضت : فرضت كعبادة يجب أن تؤدى . ولذا ارتبطت بأدنى مستوى من المال يستطيع المالك له : ان يخرجه . ومع ذلك بقى : « العفو » بجانب : « الزكاة » : فى الاعتبار . فالعفو ظل متروكا للمشيئة الفردية ، بينما الزكاة دخلت دائرة الالتزام بأداء الواجب .

وهكذا : نفوس الأفراد تمر بمراحل نفسية مختلفة عند تحولها من الوضع المادى السابق .. الى الوضع الانسانى المرتقب . ومنهج القرآن على نحو ما ذكر له هنا من مواقف معينة : تتجاوب مع كل مرحلة ، وتساعد فى الوقت نفسه على الدفع نحو المرحلة التالية : يؤدى الدور النفسى لرسالته .

أما الدور الاجتماعى لهذا المنهج : فان المجتمع عن طريقه اذ تختفى فيه ظاهرة .. تبرز فيه بالتدريج ظاهرة أخرى على الضد ، تماما ، من الظاهرة السابقة . ففيماذكر من الشح : اذ تضعف ظاهرة المادية من شح النفوس : رويدا ، رويدا .. تظهر مكانها : ظاهرة الانفاق فى غير مقابل : رويدا ، رويدا ، كذلك ، حتى تصبح سائدة فيه . وعندما تصبح ظاهرة الانفاق سائدة : يكون المجتمع قد تحول بالفعل . وعندئذ يكون منهج القرآن قد أدى دوره الاجتماعى بتغيير ظواهر المجتمع .

* ومنهج القرآن اذ يؤدى دوره النفسى .. ودوره الآخر الاجتماعى : يؤديها عن طريق التطوير النفسى ، وليس عن طريق الالزام الخارجى . فهو لا يفرض ، ولا يلزم من خارج الذات . وانما يجعل الذات هى التى تتحرك وتسير نحو الهدف المطلوب ، فى يسر .. وفى رغبة ، بل وفى اندفاع فى الرغبة .

والنهى .. والأمر : فى هذا المنهج ــ اى النهى عن فعل ظواهر المجتمع المادى وصفاته .. والأمر بفعل ظواهر المجتمع الانسانى ، أو الاسلامى وصفاته ــ كل منهما تعبير عن وضع نفسى قائم بالفعل ، وصلت اليه نفوس الأفراد ، بعامل التحريك الذاتى . أى أن النهى .. والأمر فى حينهما : يصادفان قبولا .. واستعدادا نفسيا . فاللحظة التى ينهى فيها القرآن المؤمنين به عن فعل شىء كان يفعل فيما مضى ، وهو من ظواهر المادية : يصادف فيها هذا النهى استعدادا نفسيا تكون قد وصلت اليه النفوس بالفعل ، وتكونت فيها رغبة عما نهى عنه الآن . وكذلك شأن : الأمر بشىء ما . فان اللحظة التى يأمر فيها القرآن بفعل شىء مرغوب فيه ، تكون النفوس حينئذ قد وصلت بالفعل الى الرغبة فى عمله .

وهذا هو الفرق بين التطور النفسى ، والالزام الخارجى . فى التطور

النفسي لا يصادف النهي ، والأمر : عقبة .. أو فراغا في النفوس . وانما يصادف وضعا نفسيا ملائما للنهي أو للأمر . بينما في الالزام الخارجي : يصادف النهي ، والأمر : فراغا في النفوس أو عقبات فيها . أى لا تكون النفوس على استعداد آنئذ لتقبل النهي .. أو الأمر ، والرضا بهما .

وهذا الفرق يتبعه فرق آخر . وهو أن منهج التطوير النفسي لا يحتاج الى قوة تنفيذية وحارسة ، اكتفاء بالقبول النفسي ، والرضاء الداخلي . في حين أن الالزام الخارجي لا ينجح — ان نجح مؤقتا — الا بالقوة ، والحراسة ، والرقابة المستمرة .

فضلا عن أن منهج التطوير ينطوي على كرامة الذات ، كذات انسانية . بينما الالزام الخارجي ينكر خصائص الانسانية في الذات ، اذ يركز على تحريكها ودفعها مما هو خارج عنها . فينكر بذلك : حريتها ، ومشيئتها .

* ومنهج القرآن في تطوير المجتمع : يرتبط نجاحه بأمرين :

الأمر الأول : الخصائص النفسية ، التي تقوم عليها الدعوة . وأهم هذه الخصائص التزام الصدق .. وتجنب الخداع .. والكشف أولا بأول عن الأخطاء التي تقع في التطبيق ، أو في الانتقال من مرحلة : الى أخرى .. ثم الاستعانة بالوقائع التاريخية وأحداث المجتمعات البشرية .

فعن الخصائص النفسية يرشد القرآن صاحب الدعوة عليه السلام الى رعايتها في قول الله تعالى : **« قل : لا أقول لكم عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم : اني ملك ، ان أتبع الا ما يوحى الي »** . وعن الاستعانة بالوقائع التاريخية لا يفتأ القرآن يردد أحداث المجتمعات البشرية السابقة : في توضيح الآثار التي تترتب على مسلك المجتمعات المادية ، عندما تطغى بماديتها وتعتز بقوتها المادية . كمجتمعات : عاد .. وثمود .. ومدين .. وفرعون .. وبني اسرائيل .

الأمر الثاني : القدوة الحسنة للقائم على شأن الدعوة لهذا المنهج ، بحيث تكون قدوته ترجمة واضحة لما يدعو اليه . وكان الرسول عليه السلام القدوة والمثل الأعلى في تطبيق ما أنزل عليه من وحي الله : سواء في تجنب صفات الماديين وظواهر مجتمعاتهم .. أو في العمل بصفات الانسانيين ، وهي صفات المؤمنين عباد الرحمن .

ولأن منهج القرآن كان منهج تطوير للانسان وللمجتمع معا ، وكان ما جاء فيه من نهي ، أوامر : ملائما للحالة النفسية التي وصل اليها الأفراد ، وكذلك للحالة الاجتماعية التي وصل اليها المجتمع : أخذ نقل المجتمع على عهد الرسول عليه السلام : من الوضع المادي .. الى الوضع الجديد ، وهو الوضع الانساني أو الايماني : فترة تزيد على العشرين عاما ، ونزل فيها القرآن منجما ، على دفعات . وما نزل في فترة انتهت كان يعالج فيها مستوى نفسيا ، أو اجتماعيا خاصا . وما نزل في فترة تالية ، أو أخرى بعدها كان يعالج وضعا نفسيا ، أو اجتماعيا يختلف عن سابقه . الى أن اكتمل التحول — وكانت آيته : فتح مكة — فاكتمل منهج التطوير ، أو اكتمل الدين : **اليوم يئس كفروا من دينكم** (أى ولا أمل لهم في ارتدادكم الى مجتمعكم السابق . اذ

مجتمعكم الايماني قد تأكدت معالمه وبرزت شخصيته الايمانية ، أو الانسانية) **فلا تخشوهم واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم** (وهو منهج حياتكم الذى قادها من الوضع الجاهلى السابق .. الى الوضع الايمانى القائم ، وهو يقودها دائما الى هذا الوضع ، عندما تبرز مظاهر المادية من جديد) واتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا (أى منهجا فى الحياة) » .. وجاءت هذه الآية فى سورة المائدة . وهى السورة قبل الأخيرة فى الوحى المدنى .

واذا كانت مستويات ، وأوضاع المجتمع فى انتقاله من الجاهلية أو المادية .. الى الروحية الانسانية : مختلفة — وحتما لا بد أن تكون مختلفة — فان ما يأتى من دافع جديد فى منهج التطوير : يحرك النفوس أو المجتمع الى مستوى أو الى وضع أعلى ، قد يكون مختلفا كذلك ، ان لم يكن فى تكرار الدافع السابق ما يساعد على النقلة الى هذا الأعلى ، بين الأفراد ، وفى المجتمع .

ولذا لا يقال : ان حكما لاحقا من نهى ، أو امر ، قد الغى حكما سابقا من نهى ، أو امر كذلك . وانما يقال : ان الحكم السابق بقى له اعتباره ، ولكن لمرحلة معينة وخاصة فى نقل المجتمع . وكذلك الحكم اللاحق له اعتباره فى المرحلة التى جاء هو فيها ، من مراحل المجتمع . على معنى : ان المجتمع الذى أصبح الآن مجتمعا انسانيا ، أو اسلاميا ، اذا طغت عليه ظواهر المادية أو الجاهلية : فان تطويره من جديد .. الى مجتمع انسانى أو اسلامى : فى حاجة الى الأحكام جميعها التى نزلت فى المراحل المتعددة .. تلك الأحكام التى بدا فيها ناسخ ومنسوخ كما يقال ، أو تضارب ، كما يدعى المستشرقون .

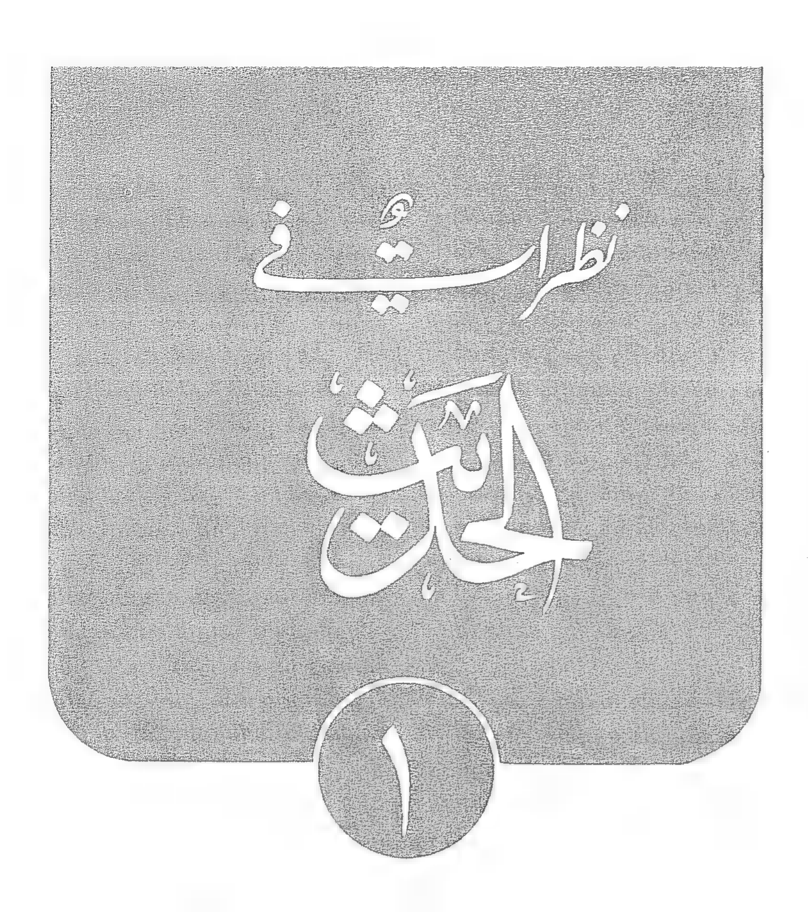
واى ضمان لبقاء المجتمع على وضع واحد لا يتغير ؟. فبعض المجتمعات التى كانت اسلامية فيما مضى قد تغيرت الآن الى مجتمعات مسيحية .. أو شيوعية .

والمجتمعات الاسلامية القائمة هى فى ظواهرها الآن تميل .. الى المجتمعات المادية أو الجاهلية : أكثر من انتمائها الى المجتمعات الانسانية أو الاسلامية .. فلكى تعود الى مجتمعات اسلامية ، معبرة عن طابع انسانى : فى حاجة الى تطور من جديد . والتطوير له مراحله . ومراحل التطوير لها ما يلائمها من أحكام فى القرآن ، نزلت منجمة حسب أوضاع المجتمع فى تحوله .

والمجتمعات الاسلامية الآن مختلفة فى مستوياتها وفى أوضاعها : بين : الجاهلية .. والانسانية . وما يأخذ به بعضها الآن من أحكام القرآن ، فى سبيل تطوره : قد لا يلائم بعضا آخر منها ، عندما ينشد الوصول الى المجتمع الاسلامى الصادق .

واذن : القول بالناسخ والمنسوخ فى القرآن : فيه تعطيل لمنهاج الدعوة الاسلامية ، ولمنهج القرآن فى تطوير المجتمع .

أما القول بالتضاد بين الشىء وضده فى القرآن : فقول انسان يلبس ثوب العلماء فى الدراسات الاسلامية فى الجامعات الأجنبية أو فى ذات المجتمعات الاسلامية . ولكن فى حقيقة أمره : تغلب عليه نزعة الحقد .. أو نزعة الاحتراف بالعلم .. أو وضع القصور فى الفهم .



للدكتور محمد عبد الرءوف

عن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف قال :

« ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، فنحن لِدان ، ولدنا مولدا واحدا » .

وعن عبد الله بن عباس قال :

« ولد النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، واستنبىء يوم الاثنين ، وتوفى يوم الاثنين ، وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين » .

كلّ من يحب المصطفى صلى الله عليه وسلم ويحرص على اتباع سنته يسعى قدر الامكان ليتعرّف على شخص الرسول الكريم وفضائله وأقواله وشمائله ، ويزيد ذلك ترغيبا ما يمتاز به الحديث الشريف من جمال العبارة وروعة الأسلوب وغزارة المعانى .

نستهل صدر هذا المقال بحديثين ، الأول من كلام قيس بن مخرمة وقد رواه الامام الجليل أحمد فى مسنده ، وفيه يحدث قيس أن ميلاده وميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم كانا فى عام الفيل وهو عام ٥٧٠ أو عام ٥٧١ من التقويم الميلادى على ما

يقولون ، وقوله : « لِدان » مثنى « لدة » وهو المساوي في زمن الولادة . ويذكر عبد الله بن عباس في الحديث الثاني ، وهو من رواية الامام ابن حنبل أيضا ، أن ميلاد الرسول صلوات الله عليه وعلى آله كان يوم الاثنين ، ثم زاد فافاد بأن أياما أخرى من أيام الاثنين شهدت أحداثا جليلة من حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، فكما كان يوم ولادته كان يوم وفاته ، كما كان يوم أن أفلح بحكمته وفض نزاعا كان ينذر بالشر ، في مكة قبل البعثة حول وضع الحجر الأسود في مكانه ، وبدأ نزول الوحي عليه في يوم الاثنين ، وبدأ رحلة الهجرة التاريخية من مكة يوم الاثنين، ووصل يثرب التي سماها مدينة رسول الله يوم الاثنين .

قد يقال : كيف نعتبر هذين النقلين من الحديث النبوى مع أنهما ليسا من كلام الرسول نفسه بل من كلام بعض أصحابه ؟ والواقع أن لفظ الحديث كاصطلاح خاص بين العلماء يطلق على كل ما يذكر فيه شيء عن الرسول عليه الصلاة والسلام حتى ما يذكر فيه أوصافه البدنية ، ومن ذلك حكاية أم معبد التى قصّت على زوجها أبي معبد في مساء يوم مبارك بعد أن عاد مع غنمه وذكرت له كيف بورك في شاتهما التي خلّفها الجهد عن الغنم ببركة زائر عرّج على خيمتها مع صاحبيه ، فادرك أبو معبد أنه صاحب قريش وطلب منها أن تصفه له ، وقد أورد محمد بن سعد القصّة في كتابه : الطبقات الكبرى ، ونقتبس من وصفها للرسول ما يلى :

« رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، منبلج الوجه ، حسن الخَلق ، لم تعبه ثُجلة ، ولم تزر به صَعلة ، وسيم قسيم ، في عينيه دعج ، وفي أشفاره وطَف ، وفي صوته صَحل ، أجود أكحل أزجّ أقرن ، شديد سواد الشعر ، في عنقه سطع وفي لحيته كثافة ، إذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلاه البهاء ، وكأن منطقه خرزات نظم يتحدّرن ، حلو المنطق ، فصل ، لا نزر ولا هذر ، أجهر الناس وأجمله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب ، ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفّون به ، إذا قال استمعوا لقوله ، واذا أمر تبادروا الى أمره ، محفود محشود ، لا عابث ولا مفند » .

وإلى جانب هذه المجموعة من الأقوال المأثورة التى تصف شخص الرسول الكريم أو تتحدث عن مراحل حياته صلى الله عليه وسلم هناك مجموعة أخرى تحدثنا عن أفعاله صلوات الله تعالى عليه أو تصف فضائله ومواقفه ، ومنها نتخذ العبرة ونستمدّ القدوة ويستخلص التشريع للأمة ، ولنسق من هذا النوع الحديثي الأمثلة الآتية :

روى مسلم بن الحجاج رضى الله عنه في صحيحه عن أنس بن مالك قال :

« لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخذ أبو طلحة بيدى فانطلق بى الى رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال : يا رسول الله ، أن أنسا غلام كيس فليخدمك قال : فخدمته في السفر والحضر ، والله ما قال لى لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا ولا لشيء لم أصنعه لِمَ لمْ تصنع هذا هكذا ؟ »

وروى أيضا عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :
« كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم أشد حيــاء من العــذراء فى خدرها ، وكان اذا كره شيئا عرفناه فى وجهه » .

وروى مسلم كذلك عن موسى بن انس عن ابيه قال :

« ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام شيئا إلا أعطاه ، فجاء رجل فاعطاه غنما بين جبلين ، فرجع الى قومه فقال : يا قوم أسلموا فان محمدا — صلى الله عليه وسلم — يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة » .

وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« ما خير رسول الله صــلى الله عليــه وســلم بين امرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فان كان اثما كان ابعــد الناس منه ، ومــا انتقم رسول الله صلى الله عليه وســلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله عزّ وجــلّ » .

وروى البخارى ومسلم وأحمــد — واللفظ له — عن البراء بن عازب قال :

« إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أول ما قــدم المدينة نزل على أجداده أو أخواله من الانصار ، وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا ، وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت ، وانه صلى اول صلاة صلاها صــلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن صلى معه فمرّ على أهل مسجد وهم راكعون ، فقال :

« أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة ، قال : فداروا كمــا هم قبل البيت ، وكان يعجبه ان يحول قبل البيت ، وكان اليهود قد اعجبهم إذ كان يصلى قبل بيت المقدس ، وأهل الكتاب ، فلما ولى وجهه قبــل البيت انكروا ذلك . »

وروى أحمد عن أبى عباس الزرقى رضى الله عنه قال :

« كنا مع رسول الله صــلى الله عليــه وســلم بعسفان فاســتقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد ، وهم بيننا وبين القبلة ، فصلى بنا رسول الله صــلى الله عليه وسلم الظهــر فقالوا : قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ، قالوا : تاتى عليهم صلاة هى أحب اليهم من ابنائهم وأنفسهم ، ثم قال : فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات بين الظهــر والعصر : (وإذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة) قال : فحضرت ، فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا الســلاح ، قال : فصففنا خلفه صفين ، قال : ثم ركع فركعنا جميعا ، ثم رفع فرفعنا جميعا ، ثم ســجد النبى صلى الله عليــه وســلم بالصف الذى يليــه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلمــا ســجدوا وقاموا جلس الآخــرون فسجدوا فى مكانهم ، ثم تقدّم هؤلاء الى مصاف هؤلاء ، وجاء هؤلاء الى مصاف هؤلاء ، قال : ثم ركع فركعوا جميعا ، ثم رفع فرفعوا جميعا ، ثم سجد النبى صلى الله عليه وســلم والصف الذى يليه والآخرون قيــام يحرســونهم ، فلمــا جلس جلس الآخرون ، فسجدوا فسلم عليهم ثم انصرف ، قا ل: فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، مرة بعسفان ومرة بارض بنى سليم » .

ولا يحتوى واحد من هذه الأحاديث على كلمة واحدة من ألفاظ الرسول

صلى الله عليه وسلم ، ولكنها تصف بعض فضائله وأعماله ، فاحدهـا يصف حلمه ، وآخر يصف حياءه ، وثالث يتحدث عن كرمه المنقطع النظير ، وتحدثنا ام المؤمنين عن سنته صلى الله عليه وسلم في الأخذ بالأيسر ما اجتنبت المحارم وعن صبره على الأذى الا إذا انتهكت حرمات الله ، ويذكر الحديث التالي تحويل القبلة الى البيت الحرام وبعض ما حـدث عندئذ ، ويفيدنا الحديث الأخير كيف نظم رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوف المسلمين لصلاة الخوف وكيف امّهم فيها ، ويستنبط من هذا النوع من الأحـاديث الكثيرُ من مكارم الأخلاق وتفاصيل الشريعة الغراء .

والنـوع الثـالث من الأحـاديث النبـوية ما يذكـر من فعـال او عادات جرت على عهده ولكن سكت عنهـا ولم يعترض عليهـا ، فدلّ سكوته على مشروعيتها وحلها ، ويسمى هـذا « تقريرا » ومن ذلك ما يلى :

روى النسائي عن جابر انه قال :
« كنا ناكل لحوم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
وروى النسائي ايضا في سـننه عن ام المؤمنين عائشة قالت :
« إن كان ليكون عليّ الصيام من رمضـان فما اقضـيه حتى يجيء شعبان » .

فاكل لحم الخيل على عهده صلى الله عليه وسلم مع عدم اعتراضـه عليه يدلّ على حله ، كما ان تاجيل السيدة ام المؤمنين قضاء ما فاتها من صيام ايام الحيض من شهر رمضان الى حلول شهر شعبان — مع علـم رسول الله صلى الله عليه وسـلم بذلك — يدل على جوازه حيث سكت ولم يعترض عليه . فانه صلى الله عليه وسلم ما رأى منكرا وسـكت عنه ، فمن ذلك ما يلى :

روى مسـلم في صـحيحه عن عبد الله بن عمر قال :

« رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب في يد رجـل فنزعه وطرحه وقال : يعمد أحـدكم الى جمرة من النار فيضعها في يده »

وروى مسلم أن عائشة قالت انها كانت اخذت نمطا فسترته على الباب فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم فراى النمط « عرفت الكراهيـة في وجهه ، فجذبه حتى هتكه أو قطعه وقال : ان الله لم يامرنا أن نكسـو الحجارة والطين » قالت : « فقطعنا منه وسادتين وحشوتهما ليفا فلم يعب عليّ ذلك »

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عرضت أمامه آراء متعارضة أقرّ منها ما هـو مشروع فاثبته ، وبذلك ينكر ما عداه ، ومن ذلك ما رواه أمام المحدثين محمد بن اسماعيل البخاري في صحيحه عن ابن عمـر انه كان يقول :

« كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعـون فيتحينون الصـلاة ليس ينادى لها ، فتكلموا يوما في ذلك ، فقال بعضهم : اتخذوا ناقوسا مثـل ناقوس النصارى ، وقال بعضـهم : بل بوقا مثل قرن اليهود ، فقال عمر : أولا تبعثون رجلا ينادى بالصـلاة ؟ فقال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم : يا بلال قم فناد بالصلاة . »
فامر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا بالنداء للصلاة دل على تسويغ الأذان ومشروعيته ، كما دل في نفس

الوقت على انكار مـا اقترح من دق الناقوس أو استعمال البوق للدلالة على حضور وقت الصلاة .

وأبلغ أنواع الحديث وأعلاها ما أثر من كلام النبى نفســه صلى الله عليه وسلم ، فقد أوتى جوامع الكلم، وكانت عباراته فى أعلى درجـات النقاوة بعد كتاب الله تعالى ، ونسوق من ذلك ما يلى :

روى ابن ماجه أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من حسن أسلام المرء تركه ما لا يعنيــه » .

وروى ابن ماجه أيضا فى سـننه عن حذيفة قال : قال رسول اللــه صلى الله عليه وسلم :

« لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه ، قالوا : وكيف يذل نفســه ؟ قــال : يتعرّض للبلاء لما لا يطيقه » .

وروى البخارى ومسلم وأبو داود ــ واللفظ للبخارى ــ عن عبد الله بن عمر قال : أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم : أى الاسلام أفضل ؟ قال ــ صلى الله عليه وسلم :

« تطعم الطعام وتفشى الســلام على من تعرف ومن لم تعرف »

وأخرج مسلم عن صهيب بن سنان رضى الله عنه أن رسول الله عليــه وسلم قال :

« عجبا لأمر المؤمن ، أن أمره كله خير وليس ذلك لأحد الا المؤمن ، أن اصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان اصــابته ضراء صــبر فــكان خيرا له » .

وروى الترمــذى وأبــو داود ــ اللفظ للأول ــ عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وســلم قــال :

« بين الكفر والايمان ترك الصلاة »

وروى أبو داود عن جــابر وابن طلحة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما من امرىء يخذل امرءا فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص من عرضه الا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرىء ينصــر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمتــه الا نصره اللــه فى موطن يحب فيــه نصرته » .

ومن هذا القسم العالى من الحديث ما أكده الرسول صلوات الله تعالى عليــه بنسبته الى اللــه سبحانه ، ويســمى بالحديث القدســى ، وهو كالحديث النبوى . لفظــه هو لفظ الرســول صــلى الله عليه وسلم ومكانته هى مكانة سائر الأحــاديث النبوية ، فلا يتعبد بتلاوته ولا يحــرم مسّه او حمله للمحــدث ولم يتحدّ بلفظه كما تحــدى بالقرآن الكريم . ولنقتبس من الأحاديث القدســية ما يلى :

روى الترمذى فى جامعه المسمى ايضا بالسنن ، عن أبى سعد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يقول الرب عزّ وجل : من شغله القرآن وذكرى عن مسالتى أعطيتــه

افضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه »

وروى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عزّ وجل قال :

« ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك ، فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وان همّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ، وان هم لسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فان همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » .

وفى باب صلاة الضحى روى الترمذى عن أبى الدرداء وأبى ذر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الله عزّ وجل قال :
« ابن آدم ، اركع لى من أول النهار أربع ركعات أكفك آخره » .

وأكثر الأحاديث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يلقيها شفاهيا فتتلقفها اسماع الصحابة رضوان الله عليهم فتعيها ذاكرتهم ، ولكن بجانب ذلك ما أملاه الرسول الأمىّ عليه الصلاة والسلام من كتب بعث بها الى عماله او الى الملوك ورؤساء العشائر ومن معاهدات عقدها واتفاقيات أبرمها كمعاهدة الحديبية مع قريش وكدستور المدينة الذى كتب عقب الهجرة والاتفاقات التى عقدها النبى صلى الله عليه وسلم مع بعض القبائل ، ونسوق هنا على سبيل المثال لنختم به المقال كتابه صلى الله عليه وسلم الذى وجهه الى هرقل يدعوه فيه الى الاسلام .

روى هذا مسلم عن ابن عباس ، وقد حدثه به أبو سفيان نفسه وقد تصادف ـ وهو لا يزال بعد يقود معركة قريش ضد النبى صلى الله عليه وسلم ـ ان كان بالشام يوم وصل دحية الكلبى الصحابى الجليل بالكتاب الى هرقل وكان بالشام كذلك . يحدث أبو سفيان كيف استدعاه هرقل ومن معه من قريش مكة ذاك اليوم ، ليلقى عليه بعض الأسئلة عن محمد ودينه . وذكر أبو سفيان انه اضطر لقول الحق حيث أمر هرقل من مع أبى سفيان من قريش بتصحيح قوله اذا أخطأه الصواب ، وكيف أن اجاباته عن الرسول أثارت اعجاب هرقل فقال : « ان يكن ما تقول حقا فانه نبى ، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم ، ولو أنى أعلم أنى أخلص اليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، وليبلغن ملكه ما تحت قدمى » ثم دعا هرقل بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم فقرأه فاذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ـ فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان توليت فان عليك اثم الأريسيين ، يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » .



الدكتور : احمد الحجي الكردي

قضت الاتفاقات الدولية الحديثة بتحريم الاسترقاق بعد أن كان نظاما شائعا فى جميع بلدان العالم منذ أقدم العصور ، ويعتبر العلماء وارباب الفكر فى العالم هذا الإلغاء معلما من معالم المدنية الحديثة التى تؤمن بحرية الإنسان والمساواة بين البشر جميعا على اختلاف جنسياتهم والوانهم ، ودياناتهم ، لأن نظام الاسترقاق كان يمثل الطبقة البغيضة إذ هو استغلال الإنسان لأخيه الإنسان .

وحيال هذا التحريم اتجهت السلطات فى البلدان الإسلامية جميعا الى إهمال تفصيل أحكام الرقيق فى شتى قوانينها ، بعد أن كانت كتب الفقه تعج بهذه الأحكام ، وذلك لالتزام أكثر هذه الدول بتلك الاتفاقات التى تحرم الاسترقاق .

هذا التفصيل الكامل لأحكام الرقيق فى كتب الفقه ، وذلك الإهمال الكامل لها فى قوانين البلدان الاسلامية المعاصرة ، قسم المشتغلين بالدراسات الإسلامية حيال حكم الاسلام فى الاسترقاق الى قسمين :

■ قسم منهم تمسك بتلك التفصيلات الواسعة لأحكام الرقيق فى كتب الفقه ، وجعلها تكأة اعتمد عليها فى اتهامه الإسلام بالتخلف والطبقية ، إذ أنه يبيح الرق الذى لا يعنى إلا الاستعباد من الإنسان لأخيه الإنسان ، ذلك الاستعباد البغيض ، الذى أصبح الفكر الحديث المتحرر يأباه ، ويمجه ، ويكافحه ، وعلى رأس هذا القسم بعض المستشرقين .

■ وقسم منهم تصدى للدفاع عن الإسلام والرد على أولئك ، فأعلن أن الإسلام برىء من هذه التهمة ، وانه لم يبح الرق فى يوم من الايام ، بل إنه رنا الى إلغائه ومنعه ، ونظم الطرق الكفيلة بهذا الإلغاء من تدبير ، ومكاتبة ، واستيلاء ، وغيرها ، وذلك الى جانب سد جميع موارده التى كانت معروفة لدى الأمم السابقة إلا موردا واحدا وهو الأسر فى حرب مشروعة ضد الكفار .. وذلك كاف لإنضاب مورده ، وتحرير من بقى من الأرقاء ، هذا الى جانب أن الإسلام لم ينص على إباحة الرق أبدا ، ولكنه جاء فوجده نظاما معروفا متبعا لدى الأمم جميعا فسكت عليه ، من باب الوقوف أمام الأمر الواقع ، ومن باب المعاملة بالمثل لا اكثر من ذلك

ولذلك ينتهى القائلون بتحريم الإسلام للرق من المفكرين الى تقرير حقيقة ثابتة — فى رأيهم — وهى أن الإسلام لم يبح الرق فى يوم من الأيام ، ولم يكن ليرضى به لو لم يكن موجودا فى ذلك العصر شائعا فى تلك البيئة ، بل إنه عمل على إلغائه ، ولكن بطريق غير مباشر ، فأنضب موارده ، وفتح كل الأبواب للتحرير مما يكفل منعه والقضاء عليه .

ولذلك فانه ما دامت الأمم جميعا قد حرمت الرق اليوم لا بد من القول — فى رأى أصحاب هذا القسم —

بأن الإسلام يحرم الرق أيضا بالنظر لزوال الدواعي اليه ، وهى مبدأ المعاملة بالمثل ، والنزول عند الأمر الواقع . وفى رأيى أن كلا القسمين من المفكرين مخطىء فيما ذهب اليه .

■ فالقسم الأول متجن على الإسلام ، إذ الإسلام لا يعرف الطبقية ولا الاستعباد ، وهذا كتاب الله يعلن المساواة التامة بين البشر جميعا فى الإنسانية والكرامة فيقول جل من قائل : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وهذه سنة النبى صلى الله عليه وسلم تعلن : أن الناس سواسية كأسنان المشط ، وانه لا فضل لعربى على اعجمى ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى . وهذا ابو بكر — أول الخلفاء الراشدين — يقول فى أول خطبة له على الناس : « القوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذ الحق له » .

فأى طبقية يدعيها أولئك بعد هذه المساواة التى أعلنها كتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء بعده ؟!

■ والقسم الثانى مخطىء فيما ذهب اليه أيضا اذ يعتبر الإسلام مانعا للاسترقاق محرما له ، لأن مصادر التشريع الإسلامى مليئة بالنصوص المبيحة للرق ، والتى تعتبره الطريقة المثلى للتصرف بالأسرى :

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترق فى كثير من غزواته ، وهؤلاء أصحابه رضوان الله عليهم يسترقون من بعده فى عدد من غزواتهم ، ولم يخالف فى إباحة ذلك واحد منهم ، وهؤلاء ائمة المذاهب الأربعة المعتمدة لدى المسلمين جميعا ينصون على إباحة الرق، ويعتبرونه شرعا ثابتا محكما لا يقبل النسخ ، بل ان جل هؤلاء العلماء ينص على أن النساء والذرارى إذا اسروا رقوا حكما من غير ضرب للرق عليهم ، أى أن الرق بالنسبة اليهم هو الطريق الوحيد للتصرف بالأسرى الذى لا يعدل عنه الى غيره الا لمصلحة غالبة ، أما التخيير ، فهو بالنسبة للرجال المقاتلة خاصة ، حيث يخير الإمام فيهم بين : الإرقاق ، والمن ، والفداء ، والقتل ، يفعل ما يراه الأحظ للمسلمين ، واليكم نصوصا لأعلام فقهاء المذاهب الأربعة تدل لما أذهب اليه :

جاء فى المنهاج للنووى من الشافعية قوله : « نساء الكفار وصبيانهم اذا اسروا رقوا ، وكذ العبيد ، ويجتهد الإمام فى الأحرار الكاملين ، ويفعل الأحظ للمسلمين من قتل ، ومن ، وفداء بأسرى أو مال أو استرقاق » .

وجاء فى متن سيدى خليل وشرح الدردير المالكي عليه ما نصه : « كالنظر فى الأسرى بقتل ، أو من ، أو فداء ، أو جزية ، أو استرقاق .. وهذه الوجوه بالنسبة للرجال المقاتلة، وأما النساء والذرارى فليس فيهم الا الاسترقاق أو الفداء » .

وجاء فى تحفة الفقهاء للسمرقندى الحنفى ما نصه : « الإمام بالخيار : إن شاء قتل المقاتلة منهم سواء كانوا من المشركين أو من أهل الكتاب ، من العرب أو من العجم ، لأنه قد يكون مصلحة المسلمين فى قتلهم ، وإن شاء استرقهم وقسمهم بين الغانمين .. فأما النساء والذرارى فيسترقون كلهم ، العرب والعجم فيه سواء ، ولا يباح قتلهم » .

وجاء فى المغنى لابن‌قدامة الحنبلى ما نصه : « .. وجملته أن من أسر من أهل الحرب على ثلاثة أضرب :

أحدها : النساء والصبيان ، فلا يجوز قتلهم ويصيرون رقيقا للمسلمين

بنفس السبى ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النساء والولدان (متفق عليه) ، وكان عليه السلام يسترقهم إذا سباهم .

الثانى : الرجال من أهل الكتاب والمجوس الذين يقرون بالجزية ، فيخير الإمام فيهم بين أربعة أشياء : القتل ، والمن بغير عوض ، والمفاداة بهم ، واسترقاقهم .

الثالث : الرجال عبدة الأوثان وغيرهم ممن لا يقر بالجزية فيتخير الإمام فيهم بين ثلاثة أشياء :
القتل ، أو المن ، والمفاداة ، ولا يجوز استرقاقهم ، وعن أحمد جواز استرقاقهم ، وهو مذهب الشافعى »
هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة الصحابة من بعده ، ومذاهب الفقهاء المعتمدة ، ولم يقل واحد منها بمنع الرق وتحريمه ، بل إن أكثر الفقهاء يجعل الرق الطريق الأوحد للنساء والذرارى ، وأحد طرق أربعة لغيرهم .

فكيف يستقيم بعد هذا كله قول لقائل : إن الاسلام يحرم الرق ، أو إن الاسلام لم يبح الرق فى يوم من الأيام ولكنه سكت عليه نزولا عند الأمر الواقع من جهة ، ومن باب المعاملة بالمثل من جهة أخرى ، إن كان الأمر كذلك فلماذا لم يسكت الإسلام عن الخمرة وقد كانت منتشرة أكثر من الرق فى الجاهلية ، بل لماذا لم يسكت عن الربا والقمار وغيرهما من المعاصى التى كانت تملأ حياة الجاهلية ، أعرف الإسلام الخضوع والرضوخ للأمر الواقع فى حكم من أحكامه حتى يعرفه فى الرق ؟ أم كان ثورة قلبت وجه التاريخ وأعادت الإنسانية الى الطريق المستقيم بعد طول انحراف عنه .

يكفينى الآن هذا القدر للرد على أصحاب هذا القول وبيان خطئه ، ولا يضرنى قائله كائنا من كان فان الحق بالدليل يعرف لا بالرجال .

والآن لمتسائل أن يتساءل فيقول : إن كان الإسلام يحرم الظلم ويمنعه ، ويحارب الطبقية والاستعباد وينظم الأحكام الكثيرة للقضاء عليهما ، فما باله يبيح الرق ويجعله الطريق الأوحد أو الأمثل للتصرف بالاسرى ، اليس فى ذلك تناقض !

والجواب على ذلك كامن فى استجلاء معنى الرق وأحكامه وغايته فى الإسلام قبل كل شىء ، لأن أمثال هذا المتسائل ينظر الى الرق فى الاسلام بمنظار الرق عند الأمم الأخرى السابقة على الاسلام ويربط فى ذهنه الرق بمعانى العبودية التى كان يعانيها الأرقاء لدى اليونان والرومان ، وبألوان العذاب التى كانوا يذوقونها على أيدى الأسياد الأحرار ، فان فلاسفة اليونان كانوا يعتبرون الرق أمرا أصليا فى الانسان ويقسمون الجنس البشرى الى قسمين : حر بالطبع ، ورقيق بالطبع، ويقولون : إن الثانى ما خلق الا لخدمة الأول . حتى أن أرسطو جعل الرق نظاما ضروريا ، وكذلك كان يفعل الرومان حيث يعتبرون الرقيق مصدرا كبيرا للطاقة الانتاجية التى لا بد منها لإسعاد الأحرار ،و كانوا يعاملونهم بمنتهى الخسة والإيذاء ، وكذلك اليهود فقد كانوا ولا يزالون يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار ، وأنهم طبقة أعلى من الطبقات البشرية الأخرى ، وكانوا يمتهنون الرقيق أشد الامتهان ، بل إنهم ينظرون الى العالم كله نظرهم للرقيق حيث يعتبرون كل من ليس يهوديا (الجوييم) فى طبقة ثانية بعد طبقتهم ، وأنه ما خلق إلا ليكون مسخرا لمصالحهم .

وعلى هذا أيضا أمر العرب فى الجاهلية ، حيث كان الرقيق لديهم سلعة من السلع تتداوله الأيدى بغية الاستفادة منه فى خبرته وطاقته ،

وكانوا يجعلونهم طبقة ثانية بعد الأحرار ، ولا يثبتون لهم شيئا من الحقوق ، ويبيحون لأنفسهم التصرف بهم على أى وجه كان قتلا وتعذيبا وإيذاء من غير أى مسؤولية .

إن هذا المتسائل ينظر الى الرق فى الإسلام بهذا المنظار ، وطبيعى بعد ذلك أن يقف مشدوها حائرا بين عدالة الإسلام وإباحته للرق .

والجواب الحق : هو أن الرق فى الاسلام غيره فى الأمم السابقة لا مشابهة بينه وبينه إلا فى الاسم فقط ، ولا يجوز لهذه المشابهة وحدها ان تخلط بين النظامين ، وتوحد بين المنهجين ، وتجيز النظر الى الثانى بمنظار الأول .

إن الرق فى الاسلام يختلف عن الرق لدى الأمم الأخرى فى موارده وغايته ، وفى النظرة اليه ، وجميع أحكامه ، وليس فى الرق فى الإسلام أى معنى من معانى الاستعلاء الممقوت ، أو الطبقية البغيضة ، بل هو مدرسة تربوية أعدت لأناس جانحين انحرفوا عن جادة الصواب والحق ، ولما يتأكد لدينا تأصل روح الإجرام فيهم ، يدخلون اليها ، ويقيمون فيها وفقا لنظام خاص ، وبرنامج معين ، أعد خصيصا لذلك ، يكفل إعادتهم الى طريق الحق والرشاد، حتى اذا ما ثبت صلاحهم ورجوعهم عن طريق الضلال انطلقوا منها الى المجتمع ثانية أعضاء نافعين صالحين ، يشقون طريقهم فى الحياة كما يفعل سائر الأحرار من الناس ، مثلهم فى ذلك مثل الصبى الذى يرتكب جناية قتل مثلا ، فانه من الجور أن يعاقب عليها بالقصاص لعدم توفر القصد الجرمى فى نفسه ، ولكن لا يجوز أيضا إطلاق سراحه وإعفاؤه من الجريمة كليا ، والا اعتاد الاجرام وتربى عليه ، ولذلك فان الحل الأسلم والأعدل والأصلح لمثل حال هذا الجانح أن يحجز فى دار إصلاح ، صالحة لتربيته ، وإصلاح نفسه ، وتقويم انحرافه ، حتى اذا ما صلحت نفسه أطلق سراحه فعاد مواطنا صالحا ، وكل طريق فى العقوبة غير هذه الطريق خطأ بالنسبة اليه .

وكذلك الأسير فهو محارب محاد لله ورسوله ، متربص بالمؤمنين الذين يتمثل فيهم الحق والنور والحضارة ، فاذا أمكن الله المؤمنين منه كان عليهم أن يقفوا منه موقفهم من الصبى الجانح تماما ، لأنهم إن أطلقوا سراحه عاد ردءا لأهله ، وحربا على المسلمين مرة ثانية ، وأصبح قتال المؤمنين بالنسبة اليه عادة وديدنا ، وإن قتلوه كانوا ظالمين له ، لأنه إنسان لم يتوفر فيه القصد الجرمى بيقين ، لأنه قد يكون دفع الى الحرب دفعا ، وقد يكون أقدم عليها جاهلا بأحكام الاسلام وطبيعته وقد .. (١) ولذلك قرر الاسلام أن الطريق الأمثل لمثل حال هذا الانسان أن يوضع فى دار إصلاح يتربى فيها تربية إسلامية ، تصلح حاله وتقوم انحرافه وتعيده الى المجتمع عنصرا نافعا صالحا .

ودار الإصلاح هذه هى ما يسمى بـ (الرق) أو بمدرسة الرق — إن صح التعبير — حيث يأوى فيها الأسرى الى بيوت المسلمين التى تعتبر — أو ينبغى أن تعتبر — مدارس إسلامية ، يرى الأسير فيها الإسلام عن قرب على حقيقته مجسدا فى أفراد هذه العائلة ، من عبادة وإخلاص وحسن معاملة وخلق كريم ، حتى اذا ما انصلحت نفسه فتحت أمامه أبواب التحرير — التخرج من مدرسة الرق — فعاد الى المجتمع حرا كما كان بعد أن أصبح إنسانا سويا ، وعنصرا صالحا .

هذا ولم يكتف النبى صلى الله عليه وسلم — لتأمين حسن معاملة الأسير الرقيق — بما عهد فى المسلم

من خلق ودين يكفيان لكفه عن إيذاء هذا الأسير ، ويضمنان له حسن الرعاية والتوجيه ، ولكنه أوصى به وصية خاصة فى أكثر من حديث نبوى شريف ، حتى جعله فى أحد الأحاديث بمثابة الأخ الشقيق لسيده — مدير مدرسة رقه — وأمره أن يعامله معاملة أحد أفراد عائلته ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم عليه » .

هل بعد هذه المؤاخاة وهذه الوصية بالرقيق طبقية أو استعباد « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

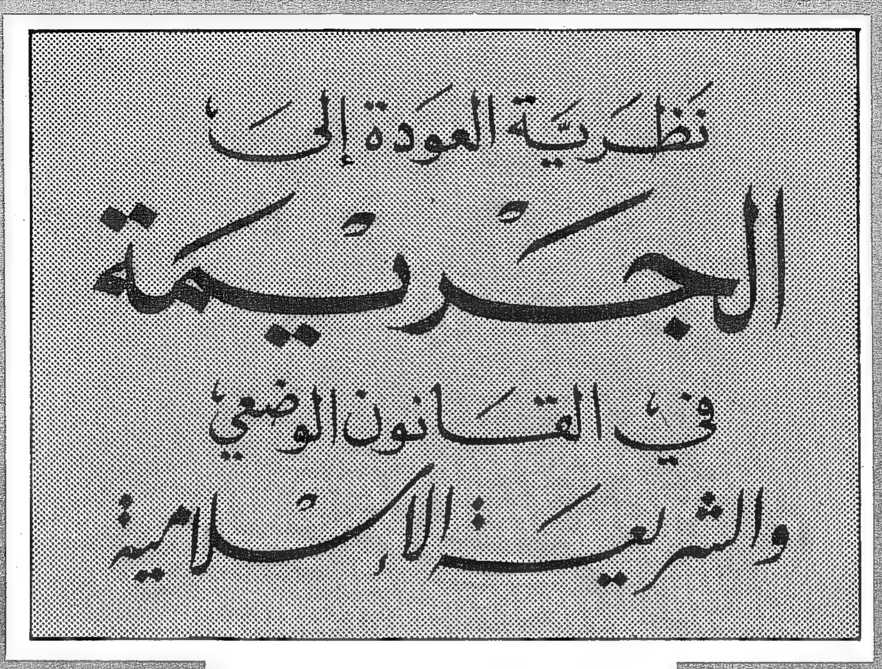
والإسلام لم يقف عند حد العناية بالرقيق وهو رقيق ، ولكنه تعداه الى مرحلة ما بعد التحرير أيضا ، وجعل بين الرقيق ومعتقه صلة كصلة الرحم والقرابة ، وهى صلة الولاء حيث يقول النبى — صلى الله عليه وسلم — : « الولاء لحمة كلحمة النسب » ذلك أن هذا الرقيق الذى تحرر غالبا ما يكون بعد تحرره بعيدا عن أهله ، غريبا عن وطنه ، مما يشعره بوحشة الغربة وألم الفراق ، فعالج الاسلام هذه الناحية فى نفس الرقيق المعتق ، وأبدله أهلا خيرا من أهله ، ودارا خيرا من داره ، وجعله ابنا روحيا — إن صح التعبير — لمعتقه ، ينفق عليه إذا احتاج للنفقة ، ويرثه بحق العصوبة اذا توفى ، ولم يكن له عصبة من الأقرباء غيره .

هذا ما اتضح لى انه حكم الإسلام فى الاسترقاق ، وهو اعتبار الاسترقاق مباحا وطريقا مفضلا من طرق التصرف بالاسرى فى الاحوال العادية ، وأنه مدرسة تربوية ، وليس معلما من معالم الاستعباد ، كما يظن البعض خطأ . وذلك بشهادة مصادر الفقه الاسلامى التى لا تنضب وهو حكم متفق عليه لدى فقهاء المسلمين على وجه لم يتفقوا فيه على حكم مثله ، إذ لم يرو عن واحد ممن يعتد بقوله من الفقهاء خلاف ذلك سلفا وخلفا ، إلا أقوال ظهرت مؤخرا تقول بتحريم الرق فى الاسلام ، غاية أكثر قائليها الدفاع عن الاسلام ، ورفع الشبهات عنه ، ولكنه على كل حال دفاع ضعيف وخاطىء ، ولا مستند له من الفقه نقلا وعقلا كما رأيت ، الى جانب أنه دفاع عن الاسلام بما لم يقله الاسلام ، مما يفتح الثغرة المزعومة أكبر ، والشبهة المختلقة أكثر ، ويجعل بعض المستشرقين ومن يلف لفهم من المتحاملين على الاسلام الحنيف ، يصموننا بالتعصب الأعمى والدفاع الأهوج ، والابتعاد عن الموضوعية ، والنزاهة العلمية التى يدعونها لأنفسهم — ظلما وبهتانا — إذ ندافع عن الاسلام بما ليس فيه ، ونبرئه مما هو فيه ، ذلك أن كثيرين منهم أطلعوا على كتبنا ومصادر فقهنا أكثر من كثيرين منا ، ولن يخفى عليهم أمر نستره عنهم بقشة من تبن .

---

* هذا المقال لا بد ان يثير لدى بعض القراء والمثقفين — فيما اقدر — شبهات وتساؤلات ، وانني ارحب بتلقي كل ما يثور فى خلدهم من اشكالات او مناقشات ، واجيب على صفحات هذه المجلة الكريمة .

(١) اذا تيقن الامام من وجود القصد الجرمى فى نفس الاسير جاز له بل وجب عليه قتله ، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم باسرى بنى قريظة ، حيث قتلهم لنقضهم العهد الاول معه .



للدكتور أحمد على المجدوب

العود الى الجريمة يقع حين يرتكب المتهم جريمة أو أكثر بعد الحكم عليه نهائيا من أجل جريمة سابقة ويترتب عليه تشديد العقوبة ، لأن المشرع يقدر ان العقوبة التى سبق أن حكم بها على المتهم من أجل جريمته أو جرائمه السابقة لم تكن كافية لردعه ومنعه من العود الى الجريمة ، فضلا عن ان عودة هذا يدل على استهانته بالقانون واستخفافه بالعقوبة .

وقد طبقت معظم التشريعات العقابية الحديثة هذه النظرية باعتبار ذلك وسيلة ناجحة فى الحد من الزيادة المستمرة فى معدلات الجريمة وخاصة تكرار وقوعها من نفس الاشخاص .

نشاة نظام العود : ـ

كان ظهور نظرية عامة للعود لأول مرة فى قانون العقوبات الفرنسى الصادر سنة ١٧٩١ فلم تكن التشريعات العقابية السابقة كالقانون الرومانى والقانون الكنسى وقوانين العصور الوسطى المطبقة فى أوربا تعرف نظرية عامة للعود ، بالرغم من انها كانت تهتم بتشديد عقوبة العائد فى بعض الاحوال وبالذات فى جرائم السرقة والجرح ، فقد جاء فى اعلان كونتيليان الرومانى « ان من يجرح شخصا لأول مرة قد يعفى عنه ، أما من يفعل ذلك بعد الحكم

عليه مرتين فانه يعتبر كالقاتل » بينما أصدر الامبراطور شارلمان أمرا يقضى بأن السارق للمرة الأولى تفقأ عينه ، فاذا سرق للمرة الثانية تجدع أنفه ، أما اذا سرق للمرة الثالثة قطعت رأسه ، هذا فى فرنسا ، أما فى المانيا فانه طبقا لقانون كارولين الصادر سنة ١٥٣٣ كانت عقوبة السرقة للمرة الثالثة تماثل عقوبة السرقة بالاكراه وهى فى الحالتين الاعدام ، فاذا كان الجانى رجلا فانه يشنق ، اما اذا كان امرأة فانها تعاقب باغراقها فى الماء .

وقد تطورت النظرة الى العود تبعا لتطور الفلسفات العقابية والفكر القانوني الغربى بصفة عامة ، فوضعت له قواعد تعد نموذجا للحلول التقليدية الجنائية ، تضمنتها نصوص القوانين الوضعية التى صدرت منذ نهاية القرن الثامن عشر فى أوربا ، وهى القوانين التى تستند أساسا الى المبادىء التى نادى بها مونتسكير وبكاريا . وتقوم على أصول ثلاثة هى المسئولية الأدبية والعقوبة الرادعة وشرعية الجرائم والعقوبات . وقد طالب الفقه التقليدى بأن يتضمن القانون تحديدا دقيقا لشروط العود واثاره مما أثار العديد من المشكلات الفنية التى حاولت التشريعات الصادرة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر حلها بشكل أفضل مما فعلت تشريعات النصف الأول منه .

ومن أبرز المشكلات التى أسفر عنها تطور النظرة الى العود ، المشكلة الخاصة بما اذا كان تشديد العقاب يكون وجوبيا أو جوازيا ، فقد كان قانون العقوبات الفرنسى الصادر سنة ١٨١٠ ، والالمانى الصادر سنة ١٨٧١ والمصرى الصادر سنة ١٨٨٣ وكثير من القوانين ، تعتبر العود ظرفا مشددا وجوبيا تمشيا مع مبدأ الشرعية ، الا ان الاتجاه الى التفريد الذى ظهر فى النصف الثانى من القرن الماضى ؛ ظهر تأثيره في كثير من التشريعات التى اتجه عدد منها الى منح القاضى سلطة تقديرية وجعل التشديد جوازيا ، من ذلك القانون البلجيكى الصادر سنة ١٨٦٧ والقانون المصرى الصادر سنة ١٩٠٤ ، ثم قانون العقوبات الصادر سنة ١٩٣٧ .

وتبعا لذلك فان القاضي لم يعد ملزما بتشديد العقاب اذا توافرت شروط العود، وانما له أن يقدر ملاءمة التشديد أو عدم ملاءمته فى كل حالة .

انواع العود : ـ

هناك نوعان من العود ، أحدهما العود العام ، والثانى العود الخاص . ولكل منهما شروطه واثاره فى العقوبة ، وتستند التفرقة بين هذين النوعين من العود الى نظرة المشرع الى دلالة العود فى الحالتين ، فهى فى النوع الأول تكشف عن أن الجانى لم تردعه العقوبة التى وقعت عليه من أجل الجريمة السابقة ، ولذلك يلجأ المشرع الى زيادة مقدار العقوبة دون أن يغير نوعها ، أما فى النوع الثانى من العود ، فان المشرع يرى ان وقوعه يدل على احتراف الجانى ارتكاب نوع معين من الجرائم مما يعنى شدة خطره على المجتمع فيلجأ الى تطبيق عقوبة من نوع مختلف عليه لعلها تردعه .

آثار العود الى الجريمة :

يترتب على العود الى الجريمة آثار عديدة ، أهمها جواز تشديد العقوبة

على العائد ، أما الآثار الأخرى فهى جواز توقيع عقوبات تكميلية فـــى بعض الجرائم كالوضع تحت مراقبة الشرطة لمدة محددة ووجوب تنفيذ الأحكام فورا على الرغم من استئنافها .

تقدير نظـــام العود :

كان الهدف الرئيسى من فرض نظام العود هو اتخاذ تغليظ العقـــاب وتشديده على المجرم العائد وسيلة لردعه حتى لا يستمر فى طريق الجريمة ؛ بعد أن تبين أن العقوبة العادية لم تردعه فعاد الى ارتكاب الجريمة وهو ما ادى فى الوقت نفسه الى فرض نظام آخر لتسجيل السوابق باعتباره أمرا لازما فى معرفة ما اذا كانت شروط العود سواء كان عاما أم خاصا قد توافرت بالنسبة للمجرمين أم لا فتشدد العقوبات الموقعة عليهم أولا تشدد .

ولكن لا نظام العود ولا نظام التسجيل أفلحا فى تحقيق الغرض منهما ؛ فقد دلت الاحصاءات على الارتفاع المستمر فى نسبة العود فى كل بلاد العالم تقريبا ؛ فضلا عن الزيادة المطردة فى معدلات الجريمة ، مثال ذلك انه فى فرنسا كانت نسبة العود سنة ١٨٢٦ ، ١٦٪ تقريبا ارتفعت الى ٢٦٪ سنة ١٨٤٦ ثم الى ٣٣٪ سنة ١٨٥٥ ووصلت النسبة الى ٥٦٪ سنة ١٨٨٦ ؛ ثم الى ٦٥٪ تقريبا سنة ١٩٦٨ ، بينما تجاوزت النسبة هذا الحد فى الولايات المتحدة الامريكية فوصلت الى ٦٧٪ ، وهى تتراوح بين ٤٥٪ و ٧٠٪ فى معظم دول أوربا .

أما فى البلاد العربية فان نسبة العود الى الجريمة ليست معروفة على وجه الدقة نظرا لتخلف وسائل التسجيل واساليب الاحصاء الجنائى وكانت المرة الأولى التى أمكن فيها تحديد نسبة العائدين الى الجريمة فى جمهورية مصر العربية حين أجرى المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة بحثا للمجرمين العائدين سنة ١٩٧٠ أسفر عن ان نسبة العود تصل الـــى ٢٧ر٥٪ من اجمالى المجرمين .

وفضلا عن فشل نظام العود فى تحقيق اغراضه وبلوغ غاياته فان نظام التسجيل الجنائى قد تسبب فى وجود فئة أصحاب السوابق الذين يغلـــق المجتمع ابوابه دونهم فيعودون رغما عنهم الى طريق الجريمة باعتباره السبيل الوحيد لكسب العيش والحصول على الرزق ولا زالت مشكلة السابقة الأولى بدون حل وتقف حجر عثرة فى طريق عودة من اخطأوا الى المجتمع ليستأنفوا حياتهم فيه .

وهذا الوضع الغريب فرض على علماء القانون والجريمة والاجتماع اعادة النظر فى نظام العود ، بعد ان تبين فشله فى تحقيق الأهداف التى وضع من أجلها ، الا انه لوحظ ان هذه الخطوة قد بدأت بداية خاطئة ؛ أو بالاخرى بدأت من حيث كان يجب ان تنتهى ، فهى تنظر الى المجرم فى نهاية الشوط ، اى بعد أن أصبح عائدا أو معتادا ، وتبحث فيما يجب أن يتخذ نحوه من اجراءات وهل تشدد عقوبته أو تستبدل بالعقوبة ما يسمى بالتدابير الاحترازيـــة أو الاصلاحية .

وفات هؤلاء العلماء انهم سبق ان قالوا ان عود المجرم سببه فقدان العقوبات للأثر الرادع مما جعله يستخف بها ويعود الى طريق الجريمة ؛ فكان الأولى أن يشددوا العقوبات عليه من البداية حتى يوفروا لها هذا الاثر الرادع ومن ثم يفكر عدة مرات قبل أن يعود الى ارتكاب الجريمة .

موقف الشريعة الاسلامية من المشكلة :

لا يجب أن نقع فريسة للاحساس المفرط بالتميز أو نستسلم للرغبة فى السبق الى كل شيء ، فنزعم أن شريعتنا الغراء قد عرفت نظام العود ؛ لأنه ليس بشرط ان تكون كل النظم المستحدثة قد عرفتها شريعتنا أو سبق اليها فقهاؤنا ، خاصة وان بين هذه النظم ما تبين فشله وثبت خطؤه ، ومنها نظام العود الذى تأكد عجزه التام عن تحقيق الاهداف التى وضع من أجلهـا ، فالشريعة الاسلامية لا تعرف هذا النظام او بالأحرى لا تقره ، والقول بغير ذلك يتنافى بشكل واضح مع عقوبة الحد التى يجب أن توقع كما وردت فى كتاب الله وسنة رسوله دون زيادة أو نقصان سواء أكان الجـانى يرتكب الجريمة لاول مرة أم يرتكبها لثانى أو لثالث مرة ، فالزانى غير المحصن يجلد مائة جلدة « **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** » (سورة النور ــ ٢) واذا عاد الى ارتكاب الجريمة جلد نفس العدد من الجلدات .

كذلك فى حد القذف فان القاذف يجلد ثمانين جلدة « **والذين يرمـون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة** » (النور ــ ٤) فان عاد القاذف الى ارتكاب جريمة القذف عوقب بنفس العقوبة نوعا وقدرا .

ومن يشرب الخمر يجلد ثمانين جلدة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « من شرب الخمر فاجلدوه ، فان عاد فاجلدوه » وكذلك فى عقوبة السرقة وهى القطع فمالك يرى أن الذى يسرق مرارا ثم يستعدى عليه انه ليس عليه الا ان تقطع يده لجميع من سرق منه ، اذا لم يكن اقيم عليه الحد فان كان قد اقيم عليه الحد قبل ذلك ثم سرق ما يجب فيه القطع (اى عاد الى السرقة) قطع أيضا .

وقد اقتصرنا فى ذكر الحدود على ما يمكن أن يقع فيه عود دون الأحوال التى تكون العقوبة فيها القتل فلا يتصور حدوث عود الى الجريمة كزنا المحصن والحرابة فى الاحوال التى يحكم فيها بالقتل أو بالقتل مع الصـلب والردة والبغى .

كذلك فان عقوبة القصاص فى جرائم القتل العمد والجرح العمد لا يتصور فيها التشديد لان هذا يتنافى مع معنى القصاص اى المماثلة ، بحيث يعاقب الشخص بمثل فعله فيقتل كما قتل ويجرح كما جرح « **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسـن بالسـن والجروح قصاص** » (المائدة ــ ٤٥) ومن ثم فلا يتصور تشديد العقاب فى جرائم القصاص والا انتفت المماثلة .

اما التعازير فبالرغم من ان عقوباتها غير مقدرة وبالتالى يجوز لولى الأمران يشددها فى الاحوال التى يتراءى له فيها ذلك ومنها العود الى ارتكاب الجريمة التعزيرية الا أن ذلك يتعارض مع الاتجاه العام للشريعة الى الدعوة الى التخفيف على العصاة والرحمة بهم وعدم التذكير بجرمهم طالما انهم قد عوقبوا . فقد اعتبر الراى الراجح فى الفقه الاسلامى (الشافعى واحمد ومالك) ان توبة الجانى بعد معاقبته تطهره تطهيرا كاملا ، فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ومن ثم فانه يعود مواطنا عاديا له كل ما للاخرين من حقوق وعليه ما عليهم من التزامات ، وحجة الفقه فى ذلك ان بقاء أى اثر للعقاب يعتبر تغليظا له وقد اعتبروا أن تغليظ الزجر لا ضابط له . وقد حصلت مصلحة الزجر بالحد ، وكذلك سائر الجرائم جعل الشارع مصلحة الزجر عليها بالحد .

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس الذين قالوا للرجل الذى وقع عليه حد الشرب ، أخزاك الله : « لا تقولوا هكذا ولا تعينوا عليه الشيطان . ولكن قولوا رحمك الله » . مما يدل على أن الاسلام لا يعتبر الجريمة وصمة تعلق بالمذنب الى الأبد وتحيل نهاره الى ليل وحياته الى جحيم وتطارده أينما حل وانما يكتفى بما وقع عليه من عقاب رادع ، لأنه من المعلوم أن عقوبة الجناة والمفسدين لا تتم الا بمؤلم يردعهم ويجعل الجانى نكالا وعظة لمن يريد أن يفعل مثل فعله .

وهكذا تلافت الشريعة الاسلامية منذ البداية النتائج التى أدت الى ظهور نظام العود ، وهى فقدان العقوبات الأثر الرادع وبالتالى استخفاف المجرمين بها وعودهم الى ارتكاب الجريمة مثنى وثلاث ورباع بل وعشرات المرات أيضا حتى فى ظل نظام العود الذى يتنافى مع ابسط مبادىء العدالة لان الجريمة التى ارتكبها العائد لا تختلف عن الجريمة ذاتها اذا ارتكبها شخص غير عائد ، ومع ذلك فان المشرع طبقا لنظام العود — يوقع على الاول عقوبة أشد مما يوقعه على الثانى ، وهذا التفاوت بين العقوبات مع استواء الجرائم قبيح فى النظر والمعقول ، حتى ولو كان المشرع يأخذ بعين الاعتبار عند التشديد الجرم السابق للعائد . فان هذا يعنى أنه يعاقب على الجريمة الواحدة مرتين ، الأولى حين ارتكبت والثانية حين اعتبر الشخص عائدا لارتكابه الجريمة الثانية وهو ما يتعارض مع مبدأ عدم جواز معاقبة الشخص مرتين من جريمة واحدة .

وهو عكس الوضع فى الشريعة التى جعلت العقوبات كفارات لأهلها ، وطهرة تزيل عنهم المؤاخذة بالجنايات اذا قدموا عليه ، ولا سيما اذا كان منهم بعدها التوبة النصوح والانابة فرحمهم الله بهذه العقوبات أنواعا من الرحمة فى الدنيا والآخرة .

وهذا الوضوح فى موقف الشريعة الاسلامية من العود الى الجريمة لا يقلل منه بحال ما نسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم من أنه قال « من شرب الخمر فاجلدوه فان عاد فى الرابعة فاقتلوه » وقيل ان القتل يكون فى الخامسة ، لأن هذا الحديث فضلا عن ضعفه فانه فى رأى غالبية رجال الفقه

ومنهم الائمة الأربعة قد نسخ ؛ وهو ما ذكره الترمذى فى سننه فقال « والعمل على هذا عند عامة أهل العلم ، لا نعلم بينهم اختلافا فى ذلك فى القديم والحديث» ومما يقوى هذا ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من أوجه كثيرة انه قال : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله الا الله وأنى رسول الله الا باحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزانى والتارك لدينه » ؛ والقول بقيام الاجماع على نسخ هذا الحكم أى قتل شارب الخمر فى الرابعة أو الخامسة يؤيده النووى فى شرحه لمسلم . كذلك فان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقتل العائد الى شرب الخمر فى الرابعة ، بل اكتفى بجلده ؛ فقد روى بن حزم من طريق النسائى « اخبرنا محمد بن موسى حدثنا زيادة بن عبد الله البكائى حدثنى محمد بن اسحاق عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شرب الخمر فاضربوه فان عاد فاضربوه فان عاد فاضربوه فان عاد فى الرابعة فاضربوا عنقه »» فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيمان أربع مرات ، فرأى المسلمون أن الحد قد وقع وان القتل قد رفع كذلك لم يعرف ان أحدا من الخلفاء الاربعة قد قتل عائداً الى شرب الخمر ؛ بل انه حين انهمك الناس فى الخمر وتحاقروا العقوبات فيها ، أى استخفوا بها ولم يتورعوا عن العود الى الشرب لم يذهب صحابة رسول الله فى خلافة عمر بن الخطاب الى القول بقتل العائد وانما اكتفوا بتشديد العقوبة ابتداء ردعا لمن يشرب وزجرا لمن قد تسول له نفسه الشرب ، دون أن يقصروا التشديد على حالة العود ؛ وهو ما يتمشى مع الاتجاه العام للشريعة من فرض عقوبات رادعة منذ البداية وعدم الاعتداد بالعود .

فقد روى أبو وبره الكلبى قال أرسلنى خالد بن الوليد الى عمر رضى الله عنه فأتيته ومعه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وعلى وطلحة والزبير رضى الله عنهم فقلت ان خالد بن الوليد رضى الله عنه يقرأ عليك السلام ويقول ان الناس قد انهمكوا فى الخمر وتحاقروا العقوبة فيه ؛ قال عمر هم هؤلاء عندك فسلهم فقال على رضى الله عنه تراه اذا سكر هذى واذا هذى افترى وعلى المفترى ثمانون فقال عمر بلغ صاحبك ما قال فجلد خالد ثمانين وجلد عمر ثمانين .

وهكذا لا نجد حالة واحدة شددت فيها العقوبة على الجانى العائد سواء كانت جريمته حدا أو قصاصا أو تعزيرا وهذا ليس تقصيراً من الشريعة وانما هو موقف اتخذته عن وعى واتجاه التزمته عن ادراك من مشكلة الجريمة والعقوبة يتفق مع سياستها فى هذا الشأن التى تتحدد فى فرض جزاءات رادعة منذ البداية ؛ ثم اتاحة الفرصة كاملة للجانى للعودة الى المجتمع بعد أن كفر عن جرمه ، فاذا عاد الى ارتكاب الجريمة عاقبته بنفس العقوبة وهى بطبيعتها شديدة وكافية اذا تكررت أن تردعه .

وهكذا تكشف الأحداث ويثبت التطبيق العملى لنظريات الغرب كالعود وغيره سلامة اتجاه الشريعة الاسلامية وصحة موقفها ودقة حلولها وصدق نظرتها الى المشكلات .

الوحي إلى الأنبياء

مراتبه ومظاهره

تحليل الصوت الذي عرفه المسلمون

للدكتور نور الدين عتر

في غار حراء حيث الصفاء الروحي والبعد عن ضوضاء الدنيا كانت المفاجأة التي لقيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتعبد في الغار تؤذنه بالاصطفاء الالهي له بمقام النبوة والدعوة الى الله لانقاذ الانسانية من وهدتها وضلالها وضياعها الى قيم الايمان الفاضلة والعبودية الحقة لله التي تضع هذا الانسان في موضعه الكريم اللائق به في صلته بربه وفي عزته ورفع شأنه ومكانته في هذا العالم . قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : « أول ما بدِئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح « .... »

« حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال ما أنا بقارىء . قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ . قلت ما أنا بقارىء . فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ . فقلت ما أنا بقارىء . فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكبرم » . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ... » (1)

(1) من حديث طويل أخرجه البخاري في أول جامعه الصحيح .

مراتب الوحي وكيفياته :

وقد اشتمل الحديث على هذين الحالين اللذين عرفناهما من انواع الوحى ، وهنالك مراتب وكيفيات عدة ذكر القرآن الكريم اصولها فى قوله تعالى : **« وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيم »**(٢) .

فدلت الآية على هذه المراتب الجامعة لكيفيات الوحى وانها ثلاث لا رابع لها ، وهى :

١ — ان يلقي الله ما يريد القاءه الى النبى مباشرة بطريق خفى سريع دون واسطة .

٢ — أن يكلمه من وراء حجاب تكليما .

٣ — أن يرسل الملك الى النبى فيلقى اليه ما أمره الله تعالى بـه .

وقد بحث العلماء فى هذه المراتب واستقصوا احوالها فيما ورد فى وصف الوحى من الكتاب والسنة ، واوصلوها الى سبع مراتب ينقسم اليها الوحى ويقع بها ، ومنهم من جعلها ثمانى مراتب(٣) .

وهذا التعداد الزائد قد يشكل بما نصت عليه الآية من تحديد مراتب الوحى بالثلاث التى عرفناها لكن التأمل والنظر الدقيق يحقق أن لا اشكال فى المسألة وان الأمر لا يعدو أن يكون شرحا وتفصيلا للمراتب الاساسية التى ذكرتها الآية يندرج فى ضمنها ولا يتجاوز حدها ، كما يتضح من هذا البيان الذى يشرحها :

المرتبة الاولى : الرؤيا الصادقة ، وذلك كما ورد فى حديث عائشة « أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم » . والوحى فى هذه المرتبة اما أن يكون بالقاء الله ، أو بواسطة الملك فهو داخل فى الآية لا يخرج عنها .

المرتبة الثانية : ان يأتيه الملك فيلقي فى روعه وقلبه من غير أن يراه ، كما أخرج الحاكم عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ان روح القدس نفث فى روعى لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب ... » .

المرتبة الثالثة : ان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه فيعى عنه ما يقول ، كما فى الحديث المشهور من سؤال جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان والساعة وهو متفق عليه

المرتبة الرابعة : ان يأتيه الملك على حاله الملكية ويوحى اليه ،

---

(٢) سورة الشورى الآية ٥١ .

(٣) انظر فى ذلك الروض الانف للسهيلى ، وزاد المعاد لابن القيم ، والاتقان للسيوطى ، والمواهب اللدنية للقسطلانى ، وشرحه للزرقانى ، وغيرها .

وفى هذه المرتبة يأتيه الوحى مثل صلصلة الجرس ، وكان ذلك اشد الوحى عليه صلى الله عليه وسلم .

المرتبة الخامسة : ان يأتيه الملك جبريل ويظهر له فى صورته الملكية العظيمة التى خلق عليه ، فيوحى اليه ما شاء الله أن يوحيه ، وذا وقع له صلى الله عليه وسلم مرتين ، احداهما فى الأرض ، والثانية فى السماء ليلة المعراج عند سدرة المنتهى ، كما قال تعالى فى سورة النجم : **« ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد راى من آيات ربه الكبرى »** .

وهذه المراتب الاربعة التى بعد الأولى كلها صور لمرتبة واحدة لا تخرج عنها ، ذكرها القرآن فى قوله تعالى : « او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء » .

المرتبة السادسة : كلام الله تعالى للنبى من وراء حجاب ، كما وقع للنبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج بعد ان استقرت فريضة الصلوات على الخمس فنودى : « أحكمت فريضتى وخففت على عبادى » وكما وقع لموسى عليه السلام : **« وكلم الله موسى تكليما »** .

المرتبة السابعة : كلام الله تعالى للنبى وحيا بلا واسطة ملك ولا حجاب : كما أوحاه الى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهو فوق السموات من فرض الصلوات ومضاعفة الحسنات الحسنة بعشر أمثالها ، وغير ذلك . وهى مرتبة داخلة فى قوله : **« ان يكلمه الله الا وحيا »** أى اعلاما خفيا .

لكن بعضهم استشكل ما وردت به الأحاديث فى هذه المرتبة وما قال به اكثر العلماء من أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل ليلة المعراج وكيف يتفق مع قوله : **« وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب »** وليس ههنا حجاب .. ؟

الا أن هذا الاشكال فى الحقيقة غير وارد هنا اذا ما علمنا أن الوحى الالهى فى هذه المرتبة لا يشبه خطاب الخلق بل هو داخل فى قوله الا وحيا ، لأن الوحى اعلام فى خفاء ، وقد ابان الامام المفسر البيضاوى عن ذلك فى تفسيره لهذه الآية حيث قال يفسر الا وحيا : « كلاما خفيا يدرك بسرعة ، لأنه تمثيل ، ليس فى ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة » . فازاح بذلك شبهة خروج هذه المرتبة عن حد الآية الكريمة .

تحليل الصوت عرفه المسلمون قديما :

وهذا القول له دلالة اخرى هامة تتصل بعلوم الطبيعة يجب ان نشيد بها فى هذا المقام :

فقد اشتهر بين المثقفين ان تحليل الصوت ومعرفة كونه يتألف من موجات هو أمر جاء الاوربيون وسبقوا به ، وشاع ذلك وانتشر حتى لا يظن أحد أن المسلمين عرفوه من قبل اكتشاف الأجهزة التى تسجل الاهتزازات والتموجات ، مع أن فى ابحاث المسلمين ما يدل على معرفتهم لذلك : فهذا الامام البيضاوى يبين أن الوحى المباشر من الله ليس من نوع كلام الخلق الذى يتوقف على تموجات متعاقبة ، اذن فقد كان المسلمون على علم بأن الصوت يتكون من موجات صوتية فى عصر البيضاوى بل ومن قبل عصره أيضا ، حيث نجد الامام فخر الدين الرازى يقدم لنا دراسة عن الصوت وتموجاته وأثره المادى والصدى وحدوثه فى كتابه الحافل : « المباحث المشرقية »(٤) ، واذا علمنا أن البيضاوى توفى سنة ٧٩١ هـ والرازى سنة ٦٠٦ هـ تبينا أن المسلمين كانوا على علم بطبيعة الصوت فى عصر كانت اوروبة غارقة فى أوحال التخلف ودياجير الجهل ، أى منذ نحو ثمانمائة عام .

وهذا يرجع الى فضل ما نزل الوحى به على النبى صلى الله عليه وسلم من القرآن المعجز فى بلاغته وأسلوبه المعجز فى مضمونه المعجز فى آثاره الانسانية ، حيث نهض بالامم والشعوب من وهدة الذل الى العزة والكرامة وانقذها من عبادة الانسان بعبادة الله وحده لا شريك له ، ومن الجهل المظلم الى العلم النافع المنير(٥) ، ومن التخلف الى الحضارة الكاملة الفاضلة التى تصلح الدين والدنيا والاخلاق وترعى حرمة هذا الانسان ، وها نحن نرى العلم الطبيعى يخدم الثقافة فى القرآن ويؤازرها ويبرز فيه اعلام العلوم الدينية فى الاسلام ويدفعون حركة تقدمه الى الامام بخطى واسعة فى حين كان ذلك حراما عند غير المسلمين ، ومن حاوله تعرض لأليم العذاب .

مظاهر الوحى :

والوحى فى أى مرتبة من مراتبه أمر عظيم يقتضى من الانسان أن يتجاوز حدود المادة وعالم الشهادة ليتصل بالملائكة وعالم الغيب ، وذلك يقتضى من صاحبه استعدادا يهيئه الله تعالى فى أولئك الأخيار الذين اصطفاهم من خلقه لهذه المنزلة ، وكثيرا ما كان يحدث للنبى صلى الله عليه وسلم مشقة شديدة فى التلقى من الملك، قالت عائشة رضى الله عنها : ان الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله

(٤) ص ٣٠٥ — ٣٠٩ .

(٥) انظر تفصيل موقف القرآن من العلوم الكونية وأثره فى تقدمها فى تقديمنا لكتاب « الرحلة فى طلب الحديث » للخطيب البغدادى .

صلى الله عليه وسلم : « أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عني وقد عيت عنه ما قال . وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمني فأعى ما يقول » . قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا »(٦) .

قال الامام الزركشي(٧) في « وصف التلقى من الملك » : « والتنزيل له طريقان : احدهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية الى صورة الملائكة واخذه من جبريل ، والثانى : ان الملك انخلع الى البشرية حتى يأخذ الرسول منه ، والاول أصعب الحالين » .

وقال الحافظ ابن حجر(٨) : « قوله : وهو أشده عليّ يفهم منه ان الوحي كله شديد ، ولكن هذه الصفة أشدها ، وهو واضح ، لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود ، والحكمة فيه ان العادة جرت بالمناسبة بين القائل والسامع ، وهى هنا اما باتصاف النبى بصفة الملك الروحانية وهو النوع الأول ، واما باتصاف الملك بوصف النبى وهو البشرية وهو النوع الثانى ، والاول أشد بلا شك » .

ومن آثار الوحي ومظاهره على النبى صلى الله عليه وسلم ما وردت به هذه الاحاديث :

١ — ما ذكر فى حديث السيدة عائشة الذى رويناه سابقا .

واخرج البخارى وغيره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : **« لا تحرك به لسانك لتعجل به »** قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه ، فقال ابن عباس فأنا أحركهما لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما ، وقال سعيد أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه فأنزل الله عز وجل : **« لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه** — قال جمعه لك صدرك وتقرأه — **فاذا قرأناه فاتبع قرآنه** — قال فاستمع له وانصت — **ثم ان علينا بيانه »** ، ثم ان علينا أن تقرأه . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا أتاه جبريل استمع ، فاذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما كان قرأ »(٩) .

---

(٦) متفق عليه .

(٧) فى كتابه القيم « البرهان فى علوم القرآن » ج ١ ص ١٢٩ .

(٨) فى فتح البارى ج ١ ص ١٦ .

(٩) أول صحيح البخارى باب بدء الوحى . وانظر حديث يعلى بن أمية فى المعتمر المحرم الذى سأل عمن يحرم فى جبة وقد تضمخ بطيب فى الصحيحين (كتاب الحج) .

٢ ـ انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الوحى سمع عند وجهه دوى كدوّى النحل :

عن عبد الرحمن بن عبد القارىّ قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه دوى كدوىّ النحل ، فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال :

« اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا ، واعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارض عنا وارضنا ، ثم قال : لقد أنزلت علىّ عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ، ثم قرأ علينا : « **قد افلح المؤمنون** .. حتى ختم العشر » . أخرجه أحمد والترمذى والحاكم وصححه ووافقه الذهبى(١٠) .

٣ ـ انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الوحى ثقل جسمه حتى يكاد يرض فخذه فخذ الجالس الى جنبه . اخرج البخارى وغيره عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه : « **لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله** » فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملّها علىّ قال يا رسول الله : والله لو استطيع الجهاد لجاهدت ـ وكان أعمى ـ فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذى ، فثقلت علىّ حتى خفت أن ترضّ فخذى ثم سرّى عنه فأنزل الله « **غير اولى الضرر** » . اخرجه البخارى بلفظه وأحمد وأبو داود وغيرهم(١١) .

٤ ـ انه صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى بركت به راحلته : عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ان كان ليوحى الى رسول الله عليه وسلم وهو على راحته فتضرب بجرانها » أخرجه أحمد .

وعن عروة بن الزبير أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أوحى اليه وهو على ناقته وضعت جرانها فما تستطيع أن تحرك حتى

---

(١٠) المسند برقم ٢٢٣ والترمذى فى تفسير سورة المؤمنون، والمستدرك ج ١ ص ٥٣٥ باسنادين أحدهما من طريق المسند ، والآخر من غير طريقه ونسبه السيوطى فى الدر المنثور ج ٥ ص ٢ لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر والعقيلى والبيهقى فى الدلائل والضياء فى المختارة . وانظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٧ وتعليق احمد شاكر على المسند ج ١ ص ٢٥٧ .

(١١) البخارى فى التفسير : سورة النساء ج ٦ ص ٤٧ و ٤٨ وفى الجهاد باب قول الله لا يستوى القاعدون ، والمسند ج ٥ ص ١٨٤ وانظر ١٩٠ و ١٩١ وأبو داود ج ٣ ص ١١ (الرخصة فى القعود عن الجهاد) وأنظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٤٠ و ٥٤١ .

يسرّي عنه . أخرجه ابن جرير ، وهو مرسل ، والجران باطن عنق الناقة(١٢) .

اما التلقي للوحي من الله تعالى من غير واسطة فهو أعظم المراتب واسماها شرفا وأكثرها حاجة للامدادات الإلهية لتحمل هذا الموقف وما فيه من الهيبة والعظمة والجلال الالهي مما تخر له الافلاك وتندك الجبال الشم الراسيات كما قال عز وجل : « **لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله** » .

وقد ظل موسى عليه السلام يتأهب أربعين يوما لميقات مكالمة الله اياه . كذلك قام جبريل وميكائيل عليهما السلام باعداد النبى صلى الله عليه وسلم لهذا الموقف الجليل حين اتياه للاسراء والمعراج .

واذا علمنا ان الله قد أعطى هذه المراتب ومنحها كلها للنبى صلى الله عليه وسلم فان هذا يزيدنا علما بفضل هذا النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه حيث جمع الله له كل مراتب الوحى ما لم يجمع لغيره وخصه فيها بخصوصيات تفرد بها مما يعرف المؤمن ما كان لنبيه من عنايات الله عز وجل وامداداته وما اختصه به من كمالات فضله بها على غيره من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

يوم الوحي :

وقد حض النبى صلى الله عليه وسلم المسلم على ان يجعل ليوم الوحي اهتماما وتوجها خاصا الى الله، بمجاهدة النفس والتصفية لها بصيام مستحب ، تكميلا ومتابعة لمجاهدتها بالصيام المفروض فى شهر رمضان حتى تصفو النفوس من أكدارها وتخلص القلوب وجهتها نحو بارئها سبحانه وتقبل عليه بقوة وعزم وعلى العالم بالمكارم والاصلاح ودعوة الخير الذى نزل به الوحى فى ذلك اليوم ، أخرج مسلم عن أبى قتادة الانصارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم الاثنين فقال : « فيه ولدت وفيه أنزل علىّ »(١٣) .

---

(١٢) انظر الحديثين فى ابن كثير ج ٤ ص ٤٣٥ . ولهما شاهد فى المسند فى نزول آية « اليوم أكملت لكم دينكم » انظر مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٣ وانظر تفسير ابن كثير للآية ج ٢ ص ١٢ و ١٣ .

(١٣) فى صحيحه كتاب الصيام ج ٣ ص ١٦٨ .



للأستاذ : عـزت محمد ابراهيم

- كان فتح مكة فيصلا بين عهدين ، وكانت حجة الوداع تربية وتعليما وارشادا للمسلمين فى مناسكهم .
- فى خطبة الوداع آيات من هدى النبوة ، هى نبراس لنا نأخذ منها تعاليم ديننا بعد القرآن الكريم .
- لا حاجة لمن يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور بتزلف أو قربى جل شأنه وعـلا على ذلك علوا كبيرا .
- أعطى رسول الله القدوة من نفسه ، فأعطى بذلك المثل الأعلى ، وكان القدوة الحسنة لمن أتى من الخلفـاء الراشدين من بعده .

كان العرب قبل الاسلام قد أحالوا دين ابراهيم الخليل الى ضروب وألوان من الوثنية والشرك والتزلف الى الله فهم يقيمون فى جوف الكعبة الأوثان والأصنام يصنعونهـا بأيديهم ، ثم يؤمنون بعد ذلك بقدرتها على النفع والضرر ، ويتوسلون اليها ويتقربون منها ويطوفون بها فى تضرع وخفية ، واذا حجوا الى البيت قدموا الذبائح ، وقربوا القرابين لأصنامهم تلك التى لا رجاء فيها ، ولا فائـدة ترتجى من ورائها .

وجاء الاسلام فطهر بيت الله الحرام من هذا الرجس ، وجعل من الحج اليه معنى ساميا تتحقق فيه أخوة بارة ، ومساواة ظاهرة ، لا يختلف غنى أو فقير فى مظهر أو ملبس والجميع فيه سواسية فى لباس واحد ، واتجاه واحد الى الله عز وجل ، يلبون نداءه ، ويسرعون الى رحاب بيته فى أمـن وسكينة .

وكان فتح مكة فيصلا بين عهدين ، فطهر البيت للطائفين والعـاكفين والركع السجود ، وكانت حجة الوداع

تربية وتعليما وارشادا للمسلمين فى مناسكهم : كيف يؤدونها ، وفى حجهم: كيف يقومون به ؛ على أكمل وجه ، وخير أداء ، ملقين وراء ظهورهم عهد الجاهلية الأولى بما كان فيه من شر ونكر ، وخبث وفساد .

وكان فتح مكة فى شهر رمضان المبارك من سنة ثمان للهجرة ، فدخل النبى عليه السلام بيت الله الحرام ؛ وطاف حوله وهو على راحلته ، وكان منه يوم الفتح ما هو خليق به من شرف النبوة ؛ وكريم الشمائل فقد قيل أن سعد بن عبادة كان يهتف يومذاك قائلا : « اليوم يوم الملحمة ؛ اليوم تستحل الحرمة » .

وبلغ الرسول عليه السلام قول ابن عبادة ، فنحاه عن راية المسلمين ، ووكل بها على بن ابى طالب يحملها ويدخل بها مكة .

وقد حسب المشركون أن يكون لرسول الله فيهم يوم انتقام ينادى فيه الدم الدم ، ويأخذ الثأر بالثأر ، فما كان ما وقع فى حسبانهم ، وانما كان ما ينتظر من عفو عند المقدرة ؛ وسماحة عند الاقتدار ، فينادى عليه السلام معشر قريش يسألهم عما يرونه فاعلا بهم فيقولون : أخ كريم وابن أخ كريم ، فيقول : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ويتناول النبى مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة ، ويدخلها فيجد فيها حمامة من عيدان فيكسرها ، ويقف على بابها يخطب فى الناس فيفتتح خطبته بعبارة التوحيد الذى جاء به الاسلام ، فمحا الشرك محوا ، وقضى على آثاره القضاء المبرم .

« لا اله الا الله ، لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » .

وها هم أقيال قريش وأشرافها ؛ وذوو الحسب والنسب فيها ؛ يسمعون اليه صلوات الله عليه وسلامه . فلا يسمعون تفاخرا بنسبهم ولا اعلاء من شأنهم ، ولكنهم يسمعون قوله يصك أسماعهم : « ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعاظمها بالآباء الناس من آدم ، وآدم من تراب » .

ويتلو عليهم قول الله عز وجل :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ».

وطهر عليه السلام البيت من الرجس ؛ فكسر أصنام المشركين وحطم أزلامهم ؛ ومحا صورا يراد بها الشرك بالله أو التزلف اليه ، ولا حاجة لمن يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، بتزلف أو قربى ، جل شأنه وعلا عن ذلك علوا كبيرا ، وها هى ذى أصنامهم التى كانوا يدخرونها ليوم كريهة وسداد ثغر ، والتى كانوا يرجون منها الثواب ويخشون العقاب ها هى ذى تتهاوى امام أعينهم ، فلو كانت تنفع أو تضر ، لنفعت نفسها ودفعت الضر عن ذاتها .

ولعل ذلك هو المعنى الذى قصد اليه تميم بن أسد الخزاعى فى قوله :

وفى الأصنام معتبر وعلم
لمن يرجو الثواب أو العقابا

أما وقد طهر البيت من الرجس ؛ وخلت جنباته من مظاهر الشرك بالله فقد آن للمسلمين أن يؤدوا فريضة الحج خالصة لوجه الله لا تشوبها

شائبة من تقرب أو تزلف .

وقد أمر رسول الله صاحبه فى الغار أبا بكر الصديق على الحج ، بعد أن فرضه الله على عباده لمن استطاع اليه سبيلا ، وكــان بين المسلمين والمشركين عهد الا يصد عن البيت أحد جاءه ، ونزلت براءة ، يبــرأ الله فيها من عهد المشركين ، وقــد كشف لرسوله دخيلــة نفوسهم ، وبواطن سريرتهم ، وما تنطوى عليه من حقد دفين للمسلمين ، وتربص بهم .

وقد حمل البراءة الــى أبى بكر الصديق ، على بن أبى طالب ، فلحق به فى بعض الطريق ، ليتلو عليــه قول الله عز وجل .

((براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين ، فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر ، واعلموا أنكم غير معجزى الله ، وان الله مخزى الكافرين ، وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله ، فان تبتم فهو خير لكم، وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الــذين كفروا بعذاب أليم ، الا الذين عاهدتم من المشركين ، ثم لم ينقصوكم شيئا ، ولم يظاهروا عليكم أحدا ، فأتمــوا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين)) .

((يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فســوف يغنيكم الله من فضله ان شاء إن الله عليم حكيم)) .

ولم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان .

وكانت حجة الوداع فى السنــة العاشرة من الهجرة ، وقــد عــزم الرسول على أن يحج بالناس ، وسمع اناس من حول المدينة بعزمه عليــه السلام ، فهرعوا اليه ، واجتمع اليه خلق لا يحصـــون يصفهم ابن قيم الجوزية بأنهم كانوا بين يدى الرسول ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله مد البصر .

وقد خرج الرسول من المدينــة ظهرا لست بقين من ذى القعدة ، ميمما شطر بيت الله الحرام ، وعرف الناس فى حجته تلك مناسك الحج ، يأخذونها عنه ، ويفعلون كما يفعل ، وفيها كانت خطبة الوداع ، فكأنما قد أحس عليه السلام بدنو الأجــل ، واقتراب المنية ، فكان فى أول خطبته للناس قوله :

« لعلى لا ألقاكم بعد عامى هــذا بهذا الموقف أبدا » .

وفى الخطبة آيات من هدى نبوته ، هى نبراس لنا نأخذ منها تعاليم ديننا بعد القرآن الكريم ، فهى سنة رسول الله تفصل ما أجمل فى كتاب الله ، وتشرح ما استغلق على الناس فهمه وقد حرم الله الربا وأربى الصدقات وجاء فى محكم تنزيله قوله تعــالى :

((الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع ، وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ، ومن عــاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ، ويربى الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم)) .

وجاء فى الخطبة وضع كل دم فى الجاهلية ، ووضع كل ربا فلا يبقى غير رءوس أموال الناس .

وتكون الحكمة البعيدة ، والبصر النافذ ــ نفحة من نفحات نبوة مشرقة ــ ان يبدأ الرسول بذوى قرباه ، قبل أن يبدأ بغيرهم من الناس ، وكان لعمه العباس بن عبد المطلب أموال عليها ربا فهو أول ما يضع الرسول من الربا ، وكان لبنى عبد المطلب دم وذحول عند هذيل فى الجاهليــة ، فهو أول دم يبدأ به رسول الله من دماء الجاهلية ، فلا يكون للناس عليه

حجة ، ولا يكون لهم مندوحة عن الامتثال لأوامره وأوامر الله .

(قضى الله انه لا ربا ، وان ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وان كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وان أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعا فى بنى نيث فقتلته هذيل ، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية) .

هم عشيرته الأقربون ، ينذرهم فى مجال الدعوة ، والأمر الذى يصدع به ، وهم عشيرته الأقربون ، يبدأ بهم فى مجال القدوة والامتثال ، ويتخذ منهم المثل والشاهد اذا هم أحد أن يلتمس شفاعة فى حد من حدود الله : « والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » .

ويتعدى الأمر عشيرته الأقربين وآل بيته الأدنين اليه هو صلوات الله وسلامه عليه ، فيعطى القدوة من نفسه ، ويكون المثل الأعلى فى ذلك ، والقدوة الحسنة لخلفائه الراشدين من بعده ، فيأتى عمر بن الخطاب رجل يستأديه من أمير ضربه ، ويهم ابن الخطاب بالقود منه ، ولا يبالى ما يكون من عمرو بن العاص الذى لا يريد أن يعمل لأمير المؤمنين وهذا شأنه يقيد من أمرائه لعامة الناس ويكون رد عمر بن الخطاب نسجا على منوال رسول الله ، وصاحب الأسوة الحسنة له ، ولخيار المسلمين : « لا أبالى الا أقيد منه ، وقد رأيت رسول الله يعطى القود من نفسه » .

ويمضى الرسول فى خطبة الوداع فيعرض للنسىء ويعده زيادة فى الكفر ، ويبين الشهور ما يحل فيها قتال وما يحرم ، ويبين للناس حقوقهم على نسائهم ، وحقوق نسائهم عليهم :

« ان لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع ، وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وانكم انما أخذ تموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولى ، فانى قد بلغت ، وتركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمرا بينا : كتاب الله وسنة نبيه .

أيها الناس ، اسمعوا قولى واعقلوه ، تعلمن ان كل مسلم أخ للمسلم ، وان المسلمين أخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم » .

تلك أمانة الله قد بلغها رسول الله لعباده ، وأشهده عليهم .

وتكر أعوام اثر أعوام ، والناس يؤدون فريضة الحج من استطاع منهم السبيل اليه ، فاذا جمعتهم مناسكها عرفوا حكمة الشارع فيها ، واستبانت لهم من جوانبها عبرة تلو أخرى ، وذكروا رسول الله ، واستعادوا ما قاله فى خطبة الوداع منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، فاذا العبرة قائمة ، والدرس ظاهر بين يتجدد أوانه ولا يبلى منه جديد .

وهم يأتون من المشارق والمغارب ، ويقطعون الفيافى والقفار ، ويمخرون عباب بحار وأنهار ، ويركبون شتى المراكب : سهلها وصعبها ، فيذكرون فى خشوع وتبتل شاهد حق على صدق الرسالة وصاحب الرسالة : قول الله عز وجل : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم » .

وأى منفعة أجل وأعظم من هذه الدروس والعبر يشاهدونها بأعينهم ويلمسونها بأيديهم ، ويطمئنون اليها بقلوبهم .

بناء الاقتصاد

ربا الفضل في حديث ابن عباس وصلته بنظرية القيمة العادلة !!

للاستاذ زيدان أبو المكارم

نص الحديث :

قال الامام الشافعي في ((الرسالة)) :

((أخبرنا سفيان ، انه سمع عبيد الله بن يزيد يقول : سمعت ابن عباس يقول : أخبرني أسامة بن زيد ، أن النبي قال :

((إنما الربا في النسيئة)) .

وقال الامام أبو حنيفة في ((مسنده)) :

عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن أسامة بن زيد — رضي الله عنهم — قال :

((إنما الربا في النسيئة ، وما كان يدا بيد ، فلا باس)) .

تخريج الحديث :

رواه الشافعي في (الرسالة) ۲۷۸ ، فقرة ۷٦۳ . وقال محققها الشيخ أحمد محمد شاكر — رحمه الله — ما ملخصه :

والحديث رواه الشافعى أيضا فى اختلاف الحديث ٢٤١

ورواه أحمد فى مسنده (٥ : ٢٠٤) وليس فيه كلمة « إنمــا » .

ورواه أيضا مسلم (١ : ٤٦٩) والنسائى (٢ : ٢٢٣) ، ولفظ مسلم كلفظ الشـافعى ، ولفظ النسـائى : « لا ربا إلا فى النسيئة » .

ورواه الطيالسى (رقم ٦٢٢) بلفظ الشافعى .

ورواه الدارمى (رقم ٢٥٩٢) ولفظ الدارمى : « إنمـا الربا فى الدين » . . ثم قال الدارمى : « معناه درهم بدرهمين » ، وبوب عليه : « لا ربا إلا فى النسيئة » .

وورد الحديث من طرق أخرى ، منها فى البخارى (٣ : ٧٤ و ٧٥ من الطبعة السلطانية) ، (٤ : ٣١٨ — ٣١٩ من فتح البارى) ، وابن ماجــه (٢ : ١٩) أ هـ .

ورواه الامام أبو حنيفة كما رأينــا فى مسنده (صفحة ١٥٨) طبعة حلب سنة ١٣٨٢ هـ موقوفا على الصحابى الشاب أسامة بن زيد ، وفيه زيادة « وما كان يدا بيد ، فلا بأس » وهى زيادة ، لها أهميتها فيما يتعلق بفقه الحديث ، وارتباطه بغيره من الأحاديث الأخرى ، كما سنراه فى موضعه من الحديث والشرح .

ما يلزم للبحث فى شرح هــذا الحـــديث :

١ — تخريجه لتعلم منزلته ودرجته من الصحة والقوة ، والاعتداد به فى الاحتجاج ، لاستنباط الأحكام الشرعية التى يدل عليهــا ، وقــد تبين ذلك بوضوح مما تقدم .

٢ — تحديد زمنه بالنسبة لغيره من الأحاديث التى تشاركه فى موضــوع الربا ، حتى يمكن معرفة السابق من اللاحق ، لينتفع بذلك عند التعارض بنفيه عن طريق النسخ ، وهو أحــد الأصول الفقهية المقررة عند العلماء ، فالسابق منسوخ ، واللاحق ناسخ .

٣ — بيان معنى الربا ، لغة وشرعا وبيان المراد منه فى هذا الحديث ، وبيان أنواع الربا عند علماء الفقــه الاسلامى .

٤ — بيان مذاهب الفقهاء فى الربا، وعرض آرائهم وأدلتهم التى اعتمدوا عليها من القرآن والسنة ، والقياس .

٥ — أثر هذا الحديث فى الترجيح بين أدلة الفقهاء ، بما يصل الى غاية التشريع الاسلامى ، الذى تدرج فى تحريم الربا ، طوال عصر النبوة ، من أوله الى قبيل قبض النبى صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى بقليل .

٦ — بيان الصلة الوثيقة بين الربا المحرم أشد التحريم فى القرآن والسنة بجميع أنواعه ، وبين (نظرية القيمــة العادلة) .

١ — **تخريج الحديث** : وقد علم مما تقدم أنه حديث صحيح ، بل إن الحافظ ابن حجر يقول : « واتفق العلماء على صحة حديث أسامة ، واختلفوا فــى الجمع بينه وبين حديث أبى سعيد ، فقيل : منسوخ ، لكن النسخ لا يثبت بالاحتمال » (فتح البارى ٤ : ٣١٨ ، ٣١٩) .

٢ — **تحديد زمن الحديث** : نعنى : متى قاله النبى صلى الله عليه وسلم ؟

وبالاجابة عن هذا السؤال يمكن معرفة الناسخ من المنســـوخ فى الأحاديث المتعلقة بموضوع الربا .

ويوضح أهمية ذلك ما أخرجــه البيهقى « عن علــى بن أبى طــالب — رضى الله عنه — أنه مر على قاض يقضى .

قال : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟

قال : لا .

فقال على : هلكت ، وأهلكت .

وأخـرج البيهقى مثله عــن ابن

عباس (١) .

إذا تمهد هذا نقول :

إن أول آيــة وجهت الى المؤمنين الخطاب بشأن تحريم الربا هي آيــة آل عمران :

« يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة ، واتقوا الله لعلكم تفلحون » الآية ١٣٠ . وقد صرحت بتحريم « الأضعاف المضـاعفة من الزيادة » وسكتت عما دونها .

وآخر آيات قرآنية خاطبت المؤمنين بشأن تحريم الربا آيات سورة البقرة ، وفيها :

« احل الله البيع وحرم الربا »

« يمحق الله الربا »

« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا ما بقى من الربا »

وتحــريم الربا فيها عــام شــامل للأضعاف المضاعفــة وما دونها ، بالنص الصريح :

« وان تبتم فلكم رءوس أموالكم ، لا تظلمون ، ولا تظلمون » .

وآية آل عمران نزلت بعد غزوة احد في السنة الثالثة .(٢) .

وآيات ســورة البقــرة نزلت في السنة العاشرة ، قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأقل من ثلاثة أشهر .

فبين نزول الآيتين نحــو ســبع سنوات ، تدرج التشريع الاسلامي فيها عن طريق السنة النبــوية التي أخذت تتتبع ألوان الربا الجــاهلي وصوره في المعاملات ، تحرمها شيئا فشيئا ، حتى لم يبق إلا القليل الذي عنته آية البقرة بالتحريم :

« ذروا ما بقى من الربا » .

وليس من الســـهل أن نتعرف بالتفصيل على هذا التدرج ، ونحدد زمن تحريم كل معاملة جاهلية فيها ربا ، من الأحاديث النبوية الكثيرة .

ولــكننا نعتــقد أن بين أيدي المتخصصين في الحــديث وعلومــه رواية ودراية ما يمكنهم بدلائل فنيــة عميقة أن يصلوا الى بعض النتائج في هذا السبيل ، اذا بذلوا جهودا مخلصة سيكون لها نفعها .

كــذلك فان بعض الأحــاديث في موضوع الربا تحمل في سياقها دلائل تدل على تواريخهــا ، أو تدل على تقدمها على غيرها أو تأخرها عنــه وسنضعها بين يدي القارىء لنتأملها، ونستخرج منها تلك الدلائل ، مهتدين في ذلك بما نقله البيهقي قال :

« قال الشافعي :

ولا يستدل على الناسخ والمنسوخ في القرآن إلا بخبر عن رسول اللــه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو بوقت يدل على أن أحدهما بعد الآخر فيعلم أن الآخر هو الناســخ أو بقول من سمع الحديث ، أو الاجماع .

قال : وأكثر الناسخ في كتاب الله إنما عرف بدلالة سنن رســول الله صلى الله عليه وسلم » (٣) .

وهذه هي الأحــاديث ، لنتأملها جيــدا .

عن عبادة بن الصامت قال :

قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

« الذهب بالذهب ، والفضــــة بالفضة ، والبر بالبر ، والشـــعير بالشــعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلا بمثل ، يدا بيد ، سواء بسواء فاذا اختلفت هذه الأصناف ، فبيعــوا كيف شئتم ، اذا كان يــدا بيد » (٤) .

وفي رواية أبي هريرة زيــادة قوله :

« فمن زاد أو استزاد فقد أربى »

وهذا الحديث هو الأصــل الذي اخذ منه فقهاء المذاهب أحكام الربا .

وهو يمثل الخطوة الأولى ، ويلزم المسلمين اذا تبايعوا في صنف واحد من هذه الأصناف ، مثل قمح جيــد بقمح ردىء ، يلزمهم بأمرين :

١ ــ أن يتساويا في المكيال صاعا بصاع ، وهكذا .

٢ ــ أن يتقابضا في المجلس .

والشرط الأول لاتقاء (ربا الفضل).
والشرط الثانى لاتقاء (ربا النسيئة) .
فاذا اختلف الجنسان ، مثل قمح بتمر ، سقط عن المتبايعين الشرط الأول ، وجاز لهما التفاضل ، ولكن يلزمهما الوفاء بالشرط الثانى ، وهو التقابض فى المجلس .
فلننظر الى حديث آخر صحيح :
عن أبى سعيد الخدرى ، وأبى هريرة — رضى الله عنهما — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم: استعمل رجلا على خيبر ، فجاءه بتمر جنيب وهو صنف جيد ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :
أكل تمر خيبر هكذا ؟
فقال : لا ، والله يا رسول الله ، إنا لنأخذ الصاع من هذا (الجيد) بالصاعين (يعنى من الردىء) والصاعين بالثلاثة ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لا تفعل ، بع الجمع (الزدىء) بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جنيبا .
وقال فى الميزان مثل ذلك (٥) .
وعن أبى سعيد الخدرى — رضى الله عنه — قال :
جاء بلال الى النبى صلى الله عليه وسلم بتمر برنى (وهو صنف جيد) فقال له النبى صلى الله عليه وسلم :
من أين هذا .. ؟
قال بلال : كان عندنا تمر ردىء ، فبعت منه صاعين بصاع ، ليطعم النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أوه ، عين الربا ، عين الربا ، لا تفعل ، ولكن اذا أردت أن تشترى فبع التمر ببيع آخر ، ثم اشتر به(٦) .
هذه خطوة نبوية جديدة ، لاحقة بغير شك للخطوة الأولى ، أعطت جوازا عن النهى الأول بالعفو عن الشرط الأول فأجازت التفاضل بطريقة غير مباشرة ، وقد عرفنا أن تلك الخطوة الثانية كانت بعد فتح خيبر التى تم للمسلمين الاستيلاء عليها فى السنة السابعة من الهجرة النبوية .
وبلال وذلك الرجل لم يبلغهما نهى النبى صلى الله عليه وسلم فعملا بمقتضى العقل والفطرة ، فأعطيا الردىء حقه ، والجيد حقه مباشرة .
وفى هذه الخطوة كما هو واضح تخفيف عن المسلمين ، وتوجيه لهم الى استخدام الدراهم والدنانير معايير أساسية لتقدير قيم جميع الأشياء ، وذلك يعطى الإحساس بالعدل ويمنع من بخس القيم .

ويمضى المسلمون ينفذون أوامر النبوة ، فمن عنده تمر جيد أو ردىء ويريد النوع الآخر ، يبيع ما عنده أولا بالدراهم أو بالدنانير ، ثم يعود ليشترى ما يريده من التمر . فليس معقولا أن يرضى صاحب الجيد أن يتساوى تمره بالردىء .
والحكمة فيما يبدو — واللهأعلم — أن يتعود الناس على رد القيم كلها الى معيار واحد ، حتى تبدو الفروق واضحة أمام كل متبايعين ، فاذا تمرسوا بذلك وتعودوه ، فلن يكون هناك خوف عليهم من بخس ولا ظلم ، ولا تنازع .
نرجح أن هذه هى الحكمة المتوخاة فى التشريع ، بل نكاد نجزم بها ، لما سنرى فى الخطوة التشريعية الثالثة .
يجول فى الأذهان سؤال طبيعى ، لم هذا المشوار ؟
أفلا يجوز أن يقدر المتبايعان الردىء والجيد ، ويحددا الفرق ، ثم يتبادلا مباشرة ، بتلك القيمة العادلة ؟ بدلا من ذلك البيع الآخر ، الذى يطيل عليهما قضاء الحاجة ؟

وتلك هي الخطوة الثالثة التى اتت فى حديث أسامة .

« إنما الربا فى النسيئة ، وما كان يدا بيد ، فلا بأس » .

يعنى : بيعوا الصنف الجيد بالردىء متفاضلا فذلك هو الحق بعد تقويم كل منهما بقيمته العادلة المعروفة بينكم .

هل ترى بين هذه الخطوات النبوية الثلاث تناقضا فى الأحكام ؟

الم يتضح أن هذا هو ترتيبها الزمنى ، من فتح خيبر الى السنة الأخيرة من حياة النبى صلى الله عليه وسلم ؟

ارجو أن يعود القارىء الى ما أرشدنا اليه الشافعى من علامات نعرف بها السابق من اللاحق ، لتمييز الناسخ من المنسوخ ، وهى أربع امارات :

١ — قول النبى صلى الله عليه وسلم .

٢ — أو الوقت المحدد فيهما أو فى أحدهما ، ويعين الترتيب الزمنى .

٣ — أو اخبار الصحابى الذي سمع الحديث .

٤ — أو الاجماع .

وذكر فتح خيبر واضح فى الحديثين اللذين يمثلان الخطوة الوسطى للتدرج التشريعى . فتلك علامة .

ثم رواية أبى حنيفة عن اسامة بن زيد ، وهو راوى الحديث ، والأعلم بتطبيقه ، أمارة أخرى على أن حديثه هو ختام التشريع فى هذا الشأن .

وعن هذا كله صدر ابن عباس ، وقال بقوله فى القيمة العادلة التى لا تبالى بالمساواة الشكلية فى المقدار ، وانما تعنى بالقيمة التى يتحراها الشرع عدلا ، بغير بخس ولا ظلم . ولا غبن ولا مانع من التفاضل الشكلى للوصول الى القيمة العادلة مباشرة .

أليس من واجب كل فقيه ، وكل عالم ودارس أن يتورع فلا يعود يكرر تلك المقالة التى لا صواب فيها : ان ابن عباس يحل ربا الفضل ؟!

والتي توهم بأنه كان يستحل محرما ؟!!

إن الفقهاء مجمعون على العمل بالخطوة الثانية التى وردت فيما حدث من بلال ووالى خيبر ، وما أمرهما به النبى صلى الله عليه وسلم من البيع الآخر .

والذى اشكل عليهم وعلى بعض الصحابة هو المراد بحديث أسامة ، وقد فسره أسامة فى رواية أبى حنيفة وأخذه عنه ابن عباس ، وغيره من الصحابة والتابعين .

إن التفاضل هنا تفاضل شكلى ، وليس تفاضلا حقيقيا ، فالتمر الجيد ليس كالتمر الردىء أبدا ، لا فى عقل ولا فى عرف ، والذهب الخام ليس كالمصنوع حليا . والعدل يحتم تقدير الجودة وتقدير الصناعة ، ولكن بالعدل والقسطاس المستقيم .

---

(١) مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة للسيوطى طبع المنيرية سنة ١٩٥٢ ص ٣١ ، ٣٢ .

(٢) تفسير المنار ٤ : ٩٥ ، ١٢٢ .

(٣) ص ٣٢ من المرجع السابق (مفتاح الجنة)

(٤) مسلم ! : ٤٦٥ .

(٥) عمدة الاحكام : الحديث ٢٧٠ .

(٦) متفق عليه .



للأستاذ : أحمد العنانى

— ١ —

يا شباب المسلمين على سواحل الأطلسي وحتى مشارف الصين .

يا أبناء السمر والصفر ، والبيض والحمر ، وكلهم سواسية .. كلهم ذو شأن وأمر .

يا رجال الحق ، ودعاة السلام والمحبة .

يا أهل القرآن ، وأسرة السود والعدالة والمرحمة .

أشرقت مجددا شمس الربيع .

ذابت عن الزهرات الحسان أكداس الصقيع .

انحسر ظل الغفلة ، وانحطم عرب الجهالة .

والمسلمون أضحوا يعيشون الصحو ويحيون تحت شمس النهضة

دماء الشهداء ما هدرت ..

أصوات الدعاة ما تبددت ..

لقد أنبتت ثم أينعت .. ومضى دور وجاء دور ..

مئات السنين مضت الآن على الهجمات البربرية على سواحلنا فى آسيه الغربية .

ومئات مثلها انقضت على العدوان على طرقنا البحرية والتجارية ومئات على المحاولات الخسيسة لمحو هذا الدين فى أفريقية وغير أفريقية ..

وباء ذلك كله بالفشل ونجا الدين وعاشت لغته العربية ..

واليوم تسقط أحدث المحاولات الخبيثة الخفية الحاقدة .. لاحياء رجعية نتنة تخطاها ديننا منذ أربعة عشر قرنا يريدون أن يقسموا الأمة الواحدة الى أعراق وفصائل ، وأجناس وألوان ، وأغنياء وفقراء ، وكادحين ومكدوح لهم .

وتأبى كلمة الله الواحد ، وكتاب الله الوطيد المجيد الواحد ، ووقفة على عرفات لا تترك لأحد فضلا على احد بغير التقوى وصيام يوحد المشاعر ويهلك الأثرة ويحيي ود الأسرة الكبرى ، وصلاة لا تقر كبرياء لغير الله ، وزكاة تطهر قلوب المعطين والآخذين ، وروح دين أحكمت صنعته قدرة ممن له المثل الأعلى والأسماء الحسنى والكلمة العليا فى السموات والأرض .

تأتى عبقرية الصنعة الربانية أن يطاولها فى الارض زور المفترين ، وضلالات المغضوب عليهم والضالين ، ويظل الاسلام هو دين الفطرة السليمة ، ودين الحجة القويمة ، دين المنطق السديد والفكر النزيه والوجدان العفيف ، دين الحق والعدل والعزة والمرحمة .

— ٢ —

قولوا لهم يا شباب المسلمين :

الستم تقولون بالحاجة الى خلاص العالم من سوء استخدام الصناعات المدمرة ؟

الستم تقولون ان العلم قهر المادة وسخرها ليجعل من العالم وحدة تضاءلت فيها المسافات ، وتداعت الحواجز ، وليس له فى نهاية المطاف غنى عن وحدة يتعايش فيها الذئب والحمل والانسان والثعبان بغير حقد ولا ضرر أو اضرار ؟

اذا فلا حل الا الاسلام لأنه حقق التجربة الفذة الوحيدة فى التاريخ التى تعايشت فى ظلالها الملل والنحل ، وتصالحت الألوان والأعراق ، وتعايشت اللغات والعادات والاذواق .. ولأنه المبدأ الوحيد الذى حفظ للأقليات حقوقها كاملة ، ومكن لها أن تحتفظ بذاتياتها على مدى قرون وقرون .

قولوا لهم ان السلم الرومانى قد سقط لأنه قسم الناس الى أرباب وعبيد ، وجزأ المواطنة وحقوقها الى أنصاف وأرباع ، وقضى فى محاكمة بأمشاج من الشرائع القائمة على الفروق والتمييز . كذلك سقط كل سلم فرضه الوثنيون والاهماج ، وسقط السلم الذى فرضه الاستعمار لأن ركائزه ظلت تغوص فى وحول الظلم وتنهض على اسس قلقة من جماجم المقهورين والمستغلين .

ومن البداهة سقوط السلم الذى تفرضه كل صنوف المذاهب الالحادية تماما كما سقط سلم رويس ومارا وطغمة السفاحين فى أعقاب الثورة الفرنسية .. ان السلم الوحيد القادر على توحيد العالم وتطمين الأسرة البشرية هو السلم المستند الى شريعة الله المنزهة عن الهوى ، المتسامية عن حضيض الانسانية التى ما فتئت تفسد كل سلم يصنعه البشر ..

وأى أمل للناس فى سلام يتلاعب به حق النقض الذى يرفعه المتجبرون فى الارض سوطا على رؤوس الضعاف والمتخلفين ؟

— ٣ —

يا شباب المسلمين :

ان الوجيعة الدائمة من فجيعة

فلسطين رسالة الم يجب أن يصهر فى صميم انفسكم اخلاط الآثار السلبية للثقافات الشرقية والغربية التى طالما افسدت تفكيركم ، ودغدغت غروركم وغشت على أبصاركم وسائر حواسكم ..

قولوا لهم بعد اليوم قد كذبتم على انفسكم وكذبتم علينا طويلا ..

ليس فى حضاراتكم أثر لعدالة ولا أمل فى سلام ولا رسالة تمت الى الخير .

أيها المطففون النفعيون ، ياعبدة المادة والاهواء والأنانية والشهوات ... يا قطعان الذئاب التى عاثت فى الأرض فسادا وتخريبا .. قد وضح عندنا الصبح ، وتفجرت ينابيع مستجدة فى أعماق ذواتنا ..

قد كفرنا بكم ، مهما يكن شأن طياراتكم ودباباتكم ووسائل غطرستكم وتعدياتكم ..

يا شباب المسلمين ..

أيها المرتجون لاستكمال تجديد رسالة العقل ومناخ الايمان فى عالم افقره غناه ، وروعته قواه .

أعيدوا للمساجد رسالتها فى بث الثقافة المؤمنة .

جددوا للتوحيد رواءه بحسن الثبات والصبر والبسالة ، ارفضوا بشموخ حرية الجنس لأنها اباحية وانحلال سيروا في الأرض واطلبوا المعرفة وراء كل أفق ، وجددوا روح الاقدام والمغامرة ..

ارفضوا نفسية الكسل والتبطل واللغو وعبادة الوظائف وكل مسارب الأنانية اللئيمة المتراخية ..

واعلنوا رسالة هذا الدين للناس بيقين وشمم ، وقدموا مبادئه بكل لغة ، وارفضوا أحوال التردد وقلق الظنون وسموم التقليم ، وكونوا قدوة للناس ..

لأن الدنيا لن تصغى لكم حتى تطابق أفعالكم اقوالكم ، ولأنكم لن تلقوا فيها محبا حتى تحبوا أنفسكم ، وتدفنوا الكراهية فى مجتمعاتكم .

— ٤ —

قولوا للناس يا شباب المسلمين .

قد نكون دونكم صناعة وزراعة وتجارة ، وأقل منكم عدد مؤسسات ومعاهد وعمائر .

قد نكون دونكم تمدينا وتحديث أدوات وتنسيق شوارع وبيوت وحدائق ..

لكنكم تعلمون أن هذه أحوال سرعان ما تتبدل حين ينهض عقل الأمة من كبوات الخمود والسبات والتطفل والاتباع والتقليد .

ولقد صحونا فلا نوم عن الكدح بعد اليوم ..

ونهضنا فلا مجال لجثونا عند نعال الواغلين بعد اليوم ، وعقلنا أمر هذا الدين فسخرنا من شبهات الدعاة المضلين ، وبطل عندنا سحر المستعمرين شرقيين وغربيين ، قدماء ومستجدين .. منافقين وملحدين ..

ولسوف ترون أو يرى أبناؤكم أن الاسلام الذى لم يكن ليوقف تحرك دواليبه الظافرة الا قعود أهله عن ادارتها ، وانشغالهم بالشحناء عن حركتها .

أن هذا الاسلام سوف ينهض من كبوته ، ويستأنف رفع الويته فى كل بلد دخله ذات يوم أو تنتهى اليه بعد اليوم رسالته ..

ولسوف تروّع أحلام الظالمين فى تركستان وكشمير تماما كما ينقشع سحاب الشر عن سماء الفليبين وفلسطين « والله أكبر » .

نداء بشأن الأقليات

اجتمع مجلس مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر برئاسة فضيلة الامام الأكبر شيخ الازهر الدكتور عبد الحليم محمود وبحث موضوع اضطهاد الاقليات الاسلامية وقرر اصدار النداء التالى الى حكومات العالم كله .

وفيما يلى نص النداء :

تطورت علاقات الشعوب والأمم بعضها ببعض عما كانت عليه منذ مئات السنين بل منذ عشرات السنين .

فبعد أن كان كل شعب او امة يعيش فى معزل عن غيره ، مغلقا على ثقافته وأفكاره وعقائده ، وعلى نظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخاصة به ، بدأت الابواب تنفتح ليتصل كل شعب بالآخر وليتعرف كل على ما عند الآخرين من نظم وثقافات ومعارف .

واقتضى ذلك أن يقوم نوع من التعاون بين الشعوب ، وأساس للتعارف بين الامم ، هو تبادل المنافع والاحترام ، وتأكيد حق كل شعب وواجباته .

ساعد على ذلك التطور العلمى الذى أحرزته البشرية ، مما كان سببا فى تقريب المسافات بين الشعوب ، ووسيلة للتعارف بينها ، واداة للاتصال السريع الواضح فى كل شأن من شئونها ، كالبرق والتليفزيون والطيران وغير ذلك من أجهزة الاتصال ، مما جعل من شعوب العالم وأممه كلها أسرة واحدة وربط بينها برباط انسانى عام وأقام بينها وحدة عضوية بحيث يحس كل باحساس الآخرين ، ويشعر بشعورهم .

هذا الوضع الجديد هو ما حض عليه الاسلام وحبب اليه ، بل وجعله من الأهداف الرئيسية من خلق الانسان ، كما يدل عليه قوله سبحانه وتعالى **(يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم)** .

ويدل عليه ــ كذلك ــ قول رسولنا الاكرم محمد بن عبد الله صلى

الله عليه وسلم : (المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ، وخير الناس انفعهم للناس) ايذانا واشارة الى أن التعارف بين الشعوب والأمم يجب أن يقوم على أساس من الاخوة الصادقة ، والحب الأكيد ، والاحترام المتبادل ورعاية الحقوق المفروضة والواجبات المقررة من غير تفرقة بين جنس وجنس أو لون ولون ودون اعتبار لصفات جنسية أو لغوية أو حدود جغرافية .

ذلك ما اكده ايضا الرسول صلى الله عليه وسلم فى خطبته الاخيرة ـ خطبة الوداع : (يأيها الناس ، ان اباكم واحد ، وان ربكم واحد لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأسود على أبيض الا بالتقوى والعمل الصالح كلكم لآدم وآدم من تراب) .

وانطلاقا من هذا المبدأ بنى الاسلام قاعدته على التسامح واحترام الاقليات المخالفين فى الراى أو العقيدة ومنح الحرية لهم فى ممارسة عقائدهم والحفاظ على حقوقهم كمواطنين صالحين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وتجسم هذا المبدأ بشكل واضح فى واقع الحياة العملية لصلات المسلمين فى تاريخهم الطويل بالاقليات المخالفة التى كانت تعيش بين اكثرية مسلمة دون أن تأخذ شكل أقليات أو جاليات أجنبية ، انما كانت تعامل معاملة المواطن الصالح حدث هذا فى تاريخ الاسلام فى الاندلس وفى بلاد فارس ، وفى بلاد الشام وفى مصر ، وفى غيرها من شعوب العالم وأممه .

غير أن الانباء من حين لآخر تطالعنا بأخبار مؤسفة عن أحداث مؤلمة تتعرض لها الاقليات الاسلامية فى بعض بقاع العالم الى الوان من الاضطهاد وانواع من الابادة وصنوف من التعذيب والتقتيل مما يتنافى أولا مع المبادىء الاسلامية القويمة ، ومع المعاملة الكريمة التى عامل ويعامل بها المسلمون الأقليات فى أوطانهم ويتنافى ثانيا مع المبادىء الانسانية العادلة والقيم الاخلاقية الفاضلة ثم يتنافى ثالثا مع المواثيق الدولية وقوانين هيئة الأمم المتعلقة برعاية حقوق الانسان، من امثلة ذلك ما حدث ويحدث للمسلمين فى الفليبين وفى سيلان وما يحدث لمسلمى بلغاريا ورومانيا وما يحدث لمسلمى تشاد وقبرص وغير ذلك من بلاد العالم .

واذا كان مجمع البحوث الاسلامية يتابع هذه الاحداث المنافية لكل مبادىء العدل والحق والانسانية واذا كان يراقبها بعناية واهتمام فلادراكه العميق لمغبة عواقبها وسوء آثارها ولشعوره المرهف بأن هذه الاضطهادات لو استمرت وارخى لها العنان ، لعادت بأسوأ النتائج ، وأوخم العواقب ، لا على طائفة دون أخرى ، ولا على شعب دون آخر وانما على الانسانية جمعاء وعندئذ يستشرى الداء ، فيعز الدواء وتستعصى المشاكل ، فتتعذر الحلول وتشيع فى العالم روح المعاملة بالمثل ، ومبدأ القصاص العادل ، فيئول الى فوضى لا يعلم مدى آثارها الا المولى عز وجل .

لقد أحدثت هذه الاضطهادات للاقليات الاسلامية هزة عنيفة فى نفوس المسلمين فى العالم واثارت كوامن أسفهم فأعلنوا استنكاراتهم لها واحتجاجاتهم فى مؤتمرات عقدوها ، وندوات تداولوا الراى فيها وفى نداءات وجهوها الى رؤساء الحكومات والهيئات والشعوب .

ولا تزال هذه الاحداث قائمة ولا تزال الاضطهادات مستمرة وبدأت بوادر الشر ، ونذر الصراع الدامى المرير تطل برؤوسها من بين أنياب

الغيظ ومن تحت أقدام الشعوب بل ومن خلف كراسى الحكام والقادة .

وخير ما يواجه به هذا الموقف الخطير ، هو قيام قادة الرأى من العلماء والمفكرين وقادة الحكم من الساسة ورؤساء الحكومات بجهود مشتركة بناءة يتم فيها التعاون الصادق بينهم على مقاومة هذه النزعات الضارة والاتجاهات المخربة للحضارات المدمرة للعلاقات بين الأمم والشعوب .

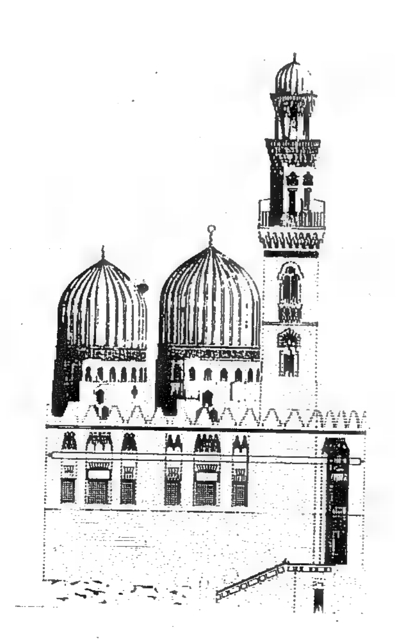
واذا نجحت هذه الجهود فى الحد من الطبقية البغيضة ، والطائفية المزقة والعنصرية المقوتة عاش الناس فى أمن وسلام واجتمعوا على كلمة الاخوة والوئام وتحقق لهم جميعا حياة الأمن والازدهار فى ظل الاحترام المتبادل ومراعاة الحقوق المشروعة والواجبات المقررة من غير تفرقة بين انسان من ذهب وآخر من تراب .

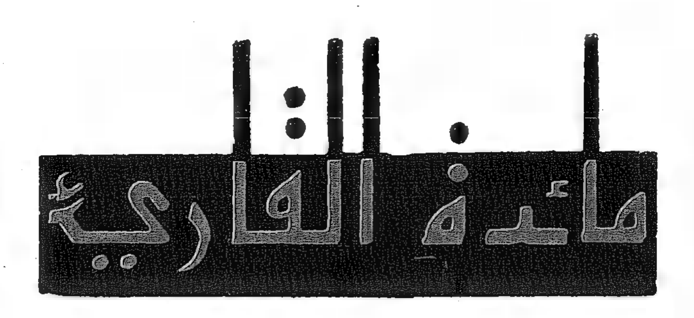
وان علماء مجمع البحوث الاسلامية اذ يوجهون مرة أخرى هذا النداء الى حكومات العالم كله والى شعوبه وهيئاته والى هيئة الامم المتحدة بتنظيماتها المختلفة واذ يهيبون بهم جميعا أن يعملوا بجد لا يشوبه ملل وبعزم لا يعتوره تردد وباخلاص لا شائبة فيه على مقاومة هذه الاضطهادات والعمل على منح الاقليات الاسلامية حقها الذى تكفله لها القوانين الدولية فى حرية العبادة وفى الحقوق الاقتصادية والسياسية.

ان علماء المجمع اذ يتوجهون بذلك كله انما يدفعهم لذلك حرصهم الشديد على الرابطة الانسانية العامة وعلى أن يسود العالم جو الاخاء والتقدم والازدهار فى ظل مبادىء العدل والحق والحرية والسلام ..

(وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) .

مجمع البحوث الاسلامية





شـهادة تأمين

على الجنـة

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عـذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكـم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم » .

صانعة البطولـة

خرج الى القادسية أبناء الخنساء الأربعة ، فكـان مما أوصتهم بـه قولها :

يا بني انكم أسـلمتم طائعيـن ، وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا اله الا هو ، انكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امراة واحدة ما هجنت حسبكم ، وما غيرت نسبكم ، واعلموا ان الدار الآخرة خير من الدار الفانية ، اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكـم تفلحون ، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها فيمموا وطيسـها تظفروا بالغنم والكرامـة في دار الخلـد والمقامة .

فكانوا عند ظنهـا ، واستشهدوا واحدا اثر واحَد ، ولما وافتها النعـاة بخبرهم لم تزد على أن قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته .

لا عمـل

يعادل الجهـاد

مر رجل من أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وسـلم بشعب فيـه عيينة من ماء عذبة ، فاعجبته ، فقال :لو اعتزلت الناس فاقمت فى هـذا الشعب، فذكر ذلك لرسول الله صلىالله عليه وسلم فقال : لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل منصلاته فى بيته سبعين عاما الا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنـة ،أغزوا فى سبيل الله . من قاتل فى سبيل الله فوق ناقة وجبت له الجنة .

الحرب وثمارهـا

الحرب رحى ثقالهـا الصبـر ، وقطبها المكر ، ومدارها الاجتهـاد ، وثقافها الاناة ، وزمامها الحذر ، ولكل شىء من هذه ثمرة .

فثمرة الصبر التايد ، وثمرة الاناة اليمن ، وثمرة الحذر السلامة ، ثم ان الحرب بين الناس سجال والراى فيها ابلغ من القتال .

الحرب النفسية

تعتمد الحرب النفسيـة على نشر الشائعات التى من شأنها أن تزعزع الثقة ، وعلى تنمية الخلافات المحلية من حزبية وطائفية وعنصرية ، وتغذية روح التذمر والاستياء وعدم الرضا ، وعلى النقد الذاتى الزائد عن الحـد بواسطة المبالغة فى اظهار العيـوب والأخطاء لاضعاف روح المقاومـة عند الأمة . فاحذروها .

عدد الحجـاج

بلغ عدد الحجاج الذين وقفـوابعرفـات فى العـام المـاضى (١ر٢١٦ر٩٥١) حاجا .

وبمقارنة أعـداد الحجاج الـذينأدوا فريضة الحج منذ عشر سنوات وعددهم فى العام الماضى نجـد أنالزيادة بلغت خلال السنوات العشر (١ر٤٤٦ر١٤٤) حاجا .



للدكتور محمود محمد قاسم

ولد ابن سينا في قرية افشنة من اعمال بخارى في سنة ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) وبدا دراسته بحفظ القرآن وتحصيل علوم اللغة .. وكان ابوه اسماعيليا ، ويقول ابن سينا : إن اباه كان يجتمع مع نفر من اتباع هذه الطائفة ، ليتذاكروا في مسائل النفس والعقل وما يتصل بها من عقائد ، ثم يذكر أنه كان يدرك معنى ما يقولون ، لكنه لم يمل الى اعتناق مذهبهم . وقد اعتمد بعض الدارسين على هذا القول لكي يقرروا أن ابن سينا لم يكن إسماعيليا . وربما كان في ذلك شيء من التسرع في إصدار الأحكام . فإن الاتجاه الاسماعيلي يبدو واضحا كل الوضوح في بعض رسائل ابن سينا وفي (الاشارات والتنبيهات) ولا سيما في الأنماط الثلاثة الاخيرة من هذا الكتاب . وليس من المستبعد أن يقول ابن سينا في صباه رأيا ، ثم ينقضه في كهولته . ومن الضروري أن يدرس انتاج هذا الفيلسوف في جملته ، قبل إصدار حكم نهائي بأنه كان إسماعيليا أو غير اسماعيلي ، وأن كانت وصيته في آخر كتاب (الاشارات والتنبيهات) تشبه وصايا الاسماعيلية واخوان الصفا في رسائلهم شبها غريبا .

وقد درس ابن سينا الحساب على طريقة علماء الرياضية من الهنود ، كما درس الفقه ، وتتلمذ على أبي عبد الله في دراسة المنطق ، غير أنه اتجه في الوقت نفسه الى دراسة الطب دراسة نظرية وعملية . ثم استهوته الفلسفة ، فانصرف اليها قدر طاقته ، واطلع على ما كتبه الفارابي ، وتأثر به الى حد كبير . وفلسفة الفارابي محاولة للتوفيق بين فلسفة ارسطو وفلسفة افلاطون عن طريق الخلط بين هاتين الفلسفتين المتعارضتين وبين بعض عناصر من الفكر الشرقي القديم مع طلاء من الافكار الاسلامية لدى المتكلمين والصوفية ، مما انتهى به الى إقحام نظرية الفيض على الفكر الاسلامي . ولم يفعل ابن سينا سوى أن توسع في عرض الموضوعات الفلسفية الاساسية التي عالجها الفارابي من قبل ، فأخذ عنه نظرية الفيض ، وتعمق في نظريته عن النبوة ، وعدل نظريته في النفس الانسانية ، وسلك مسلكه في شرح فلسفة ارسطو ، ثم حرص ، الى جانب ذلك كله ، على تأويل النصوص الدينية تأويلا باطنيا ، حتى يجعلها على وفاق مع فلسفته الخاصة ، وهي فلسفة اشراقية في المقام الأول ، وهي تلك الفلسفة التي انتقلت ، فيما بعد ، الى اوروبا في القرن الثاني عشر ، وكان لها اثرها العميق في نظريات من يُسمَّون بالمفكرين الاحرار ، ابتداء من القرن الثالث عشر في العالم الغربي .

واتاحت ظروف خاصة لابن سينا أن يتعرف على سلطان بخارى نوح بن منصور ، وأن يطلع على مكتبته ، ويقول ابن سينا عن نفسه إنه فرغ من قراءة كل ما حوته هذه المكتبة العظيمة ، وهو لم يتجاوز بعد الثامنة عشرة من عمره .

ثم انتقل ابن سينا الى همذان واستوزره شمس الدولة ، فأقام عنده عدة سنوات استطاع ان يؤلف فيها كتاب الأدوية العقلية واجزاء كبيرة من كتاب الشفاء ، وأن يشرح منطق ارسطو . وكانت حياته في اثناء هذه الفترة حياة خصبة وحافلة . فقد جمع فيها صاحبها بين العمل السياسي والتأليف والتدريس ، ولم يكن هذا يمنعه من تخصيص امسياته للسمر والشراب والسماع وطلب المتعة ..

ثم اتجه الى اصفهان حيث لحق بعلاء الدولة واشتغل باتمام كتاب الشفاء ، وألف مختصرا له وهو كتاب النجاة . وكان ابن سينا مسرفا على نفسه فلم يُعْنَ بعلاج المرض الذي اصابه ، ولم يتحفظ في شرابه وطعامه ، ولم يقتصد في متعته ، فاشتد به المرض ، ومات بهمذان في سن السابعة والخمسين من عمره في سنة ٤٢٨ هـ .

ويعدّ ابن سينا من كبار ممثلي الفلسفة الأرسطوطاليسية عند المسلمين ، وينظر اليه الأوروبيون هذه النظرة منذ العصور الوسطى حتى الآن ، غير ان له فلسفته الخاصة ، التي تتركز حول مسائل ثلاث وهي مسألة الفيض والنفس الانسانية ونظرية المعرفة الاشراقية وما تتضمنه من نظرات خاصة الى النبوة والمعجزات والتصوف .

أما فيما يتعلق بنظرية الفيض فابن سينا لم يكن هو الذي ابتكرها ، وانما سبقه اليها أبو نصر الفارابي . ومع ذلك فان الرئيس ابن سينا هو الذي وضحها ودعّمها بحيث ينظر اليه أحيانا على انه هو الذي ابتدعها . وهذه النظرية محاولة لتفسير صدور العالم ، وتعتمد على اساس من التوفيق بين عناصر أرسطوطاليسية وأفلوطينية وإسلامية ، وبها مسحة من التصوف . فعن ارسطو أخذ كل من الفارابي وابن سينا أن الله عقل محض يدرك نفسه ، وعن افلوطين فكرة مراتب الوجود ، وعن المتكلمين التفرقة بين الواجب والممكن ، وعن

الصوفية فكرة الاتصال بالعقل الفعال ثم بالذات الالهية . وتتلخص هذه النظرية فى أن الله لما كان عقلا محضا . أى ذاتا عاقلة ، فإنه يفكر فى نفسه . وعندئذ يفيض عنه عقل أول يسميه ابن سينا المبدع الأول ، أو المعلول الأول ، وفى هذا المبدع الأول يوجد نوع من الكثرة ، اذ فيه ماهية ووجود ، والوجود ليس ذاتيا فيه ، وانما يستمده من الله أو من الوجود الأول . ثم ان هذا المعلول الأول يفكر باعتبارات ثلاثة ، أى فى الله ؛ ثم فى نفسه من حيث الماهية ؛ ومن حيث الوجود . فاذا فكر فى الله وهو المصدر الذى استمد منه الوجود صدر عنه عقل ثان ، وهو العقل الذى يشرف على فلك زحل ؛ واذا فكر فى ماهيته الممكنة فاض عنه جسم الفلك الاقصى ، واذا فكر فى وجوده المستمد من الله فاضت عنه نفس الفلك الأقصى . وفى العقل الثانى ، الذى صدر عنه ، توجد هذه الاعتبارات الثلاثة ، مما يؤدى الى صدور العقل الذى يشرف على فلك المشترى والنفس الخاصة بفلك زحل وفلك زحل . ثم يستمر الصدور وفقا لنظرية بطليموس حتى تصدر عقول عشرة آخرها العقل الفعال الذى يشرف على ما تحت فلك القمر ، ومنه تفيض النفوس الانسانية والعناصر الاربعة وصور الأجسام الارضية . وعند العقل الفعال يتوقف صدور العقول السماوية .

وقد اخذ السهروردى المقتول على ابن سينا أنه قصر الفيض على هذا العدد من عقول الأفلاك ونفوسها ، أما الغزالى فقد رأى أن ابن سينا استخدم نظرية الفيض لتقرير قدم العالم ، وفنّد هذه النظرية على ذلك الأساس . أما ابن رشد فيقضى بأن نظرية الفيض عند الفارابى ثم عند ابن سينا دخيلة على الفلسفة الحقة ، وهو يتهم كلا منهما بالكذب ، فيقول : « أما ما حكاه (ابن سينا) عن الفلاسفة فى ترتيب فيضان المبادىء وفى عدد ما يفيضَ من مبدأ مبدأ من تلك المبادىء فشىء لا يقوم برهان على تحصيل ذلك وتحديده . ولذلك لا يلْفَى التحديد الذى ذكره فى كتب القدماء » . ثم يصف الفارابى وابن سينا بأنهما « أول من قال هذه الخرافات فقلدهما الناس ، ونسبوا هذا القول الى الفلاسفة .. وهذه كلها خرافات وأقاويل أضعف من أقاويل المتكلمين ، وهى كلها أمور دخيلة على الفلسفة ليست جارية على أصولهم .. ولذلك يحق ما يقول أبو حامد .. من أن علومهم الالهية ظنية » .

أما عن موضوع النفس الانسانية فيلاحظ أن ابن سينا استرشد بآراء الفارابى فى النفس ، مع ادخال شىء كثير من التعديل والتفصيل عليها ، وهو يفوقه من جهة أنه عرض لهذه الدراسة من الناحيتين الفلسفية والعلاجية . ويعترف مؤرخو فلسفة العصور الوسطى فى الغرب بأن ابن سينا كان عمدة فى هذا النوع من الدراسات النفسية ، وبخاصة لأنه عالج موضوع النفس كفيلسوف وكطبيب ، وان كان طابع الفلسفة أكثر ظهورا لديه . وقد عنى ابن سينا بموضوع النفس الانسانية ، فلا يكاد يخلو كتاب له من الحديث عن النفس . وتشغل البرهنة على وجود النفس وروحانيتها وخلودها قدرا كبيرا من اهتمام هذا الفيلسوف . ذلك أنه أراد أن يرد على بعض مفكرى المسلمين ممن مالوا الى انكار استقلال النفس عن الجسم ، وأن يبين ، فى الوقت نفسه ، رأيه فى طبيعة هذه النفس . وبراهينه على وجود النفس واستقلالها عن البدن عديدة ومشهورة ، وهى : البرهان الطبيعى الذى يستند الى أن النفس هى السبب فى حياة الجسم وحركته ، وبرهان الإدراك والأفعال الوجدانية ويرمى الى تأكيد سمو النفس الانسانية عن نفوس بقية الأنواع الحيوانية ، وبرهان وحدة النفس الذى ينقد فيه رأى افلاطون القائل بوجود ثلاث نفوس مستقلة

فى كل انسان ، وهى النفس الحيوانية أو الشهوانية ، والنفس الغضبية ، والنفس العاقلة .

وقد استعان ابن سينا على توضيح فكرته عن وحدة النفس بصورتين هما : صورة الثياب التى يشبّه فيها الجسم وأعضاءه بالثوب الذى ترتديه النفس ، لكنه ليس جزءا جوهريا منها ، وصورة الرجل الطائر الذى يستطيع الشك في وجود العالم الخارجي وفى وجود جسمه لأعضائه الخارجية والداخلية ، دون أن يشك فى وجوده هو ككائن يفكر . ويذكرنا هذا البرهان فى صورتيه بفكرة الشك المنهجي عند ديكارت عندما قال : أنا أفكر إذن أنا موجود ..

واخيرا يستعين ابن سينا ببرهان الاستمرار ليبين به وجود النفس واستقلالها عن الجسم فى آن واحد . ويتلخص هذا البرهان فى أن جسم الانسان فى تغير مستمر ، لأنه مركب من عناصر يحل بعضها مكان بعض ، فى حين أن النفس تبقى على حالها ، بمعنى انها تستمر محتفظة بحقيقتها فتتذكر ما حدث لها طيلة عمرها . بحيث يعلم الانسان ان جسمه تتغير عناصره جملة فى مدة عشرين سنة ، مع بقاء نفسه على حالها فى هذه المدة كلها . ويصف ابن سينا هذا البرهان بأنه « برهان عظيم يفتح لنا باب الغيب ، فإن جوهر النفس غائب عن الحس والأوهام » وهو يقوده الى البرهنة على روحانية النفس وعلى خلودها .

وتكشف قصيدة ابن سينا فى النفس عن تأثره الكبير بآراء افلاطون . كذلك يلاحظ أن ابن سينا رفض نظرية اشتراك البشر فى نفس واحدة بعد الموت على نحو ما ذهب إليه الفارابى فى نظريته (النفس الكلية) وهى التى نسبها اللاتينيون خطأ الى ابن رشد ، لا الى صاحبها الحقيقى وهو الفارابى . وقد بناها هذا الاخير على مبدأ أرسطوطاليسي يقول بأن أفراد أى نوع كان ، يشتركون فى الصورة ، ولكن يختلفون بسبب المادة التى تنشأ منها أجسامهم . ولذا فمتى فنيت أجسام النوع الانسانى ، اتحدت نفوسهم ، أى صورهم ، على هيئة صورة أو نفس كلية واحدة . وهذا ما رفضه ابن سينا والغزالي وابن رشد ، ووصفه ابن طفيل بأنه رأي أيأس الخلق جميعا من رحمة الله . أما ابن سينا فيقول إن كل نفس تتحد شخصيتها بسبب اتصالها بجسم معين ، وبسبب اكتسابها للفضائل أو الرذائل ، فى أثناء حياتها العارضة . فالخلود إذن لكل نفس فردية على حدة .

ومع ذلك فقد اقتفى ابن سينا آثار الفارابي فى نظرية المعرفة وفى تقرير نوع من التصوف الفلسفى الذى ينتهى عنده بفكرة الاتحاد المرتبطة بنظرية وحدة الوجود ذات الطابع المادى لا الروحى

أما الفلسفة الاشراقية لابن سينا ، وهى الخاصة بآرائه فى النبوة والوحى والمعجزات والتصوف فيمكن الاهتداء اليها فى الأنماط الثلاثة الاخيرة من كتاب (الاشارات والتنبيهات) ، وفى رسالته عن حى بن يقظان ، ورسائله فى (العشق) وفى (ماهية الصلاة) وفى معنى الزيارة ، وبعض رسائل أخرى . كذلك لا يعدم المرء أن يجد عناصر هذه الفلسفة مفرقة ومبعثرة فى كتاب الشفاء وفى كتاب النجاة .

ففى النمط الثامن من كتاب (الاشارات والتنبيهات) يعود ابن سينا الى نظرية الفيض . وهنا يبدو ارتباطها بنظرية مادية فى وحدة الوجود التى تقول

بأن الله يتجلى أو يتحد بكل مخلوق من مخلوقاته : لأنه مثال الخير ، وهذا الخير يوجد بدرجات متفاوتة فى جميع الكائنات ، ابتداء من الملائكة والأجرام السماوية حتى الكائنات العنصرية . كذلك يبين الصلة بين هذا الفيض التدريجي الهابط وبين معراج العارفين الذين يصعدون فى اتجاه مخالف نحو الوحدة الاولى التى تحدّث عنها أفلوطين من قبل . وهنا يجعل ابن سينا الطاعة نوعا من العشق للذات الإلهية ، ذلك العشق الذى يهوّن من شأن فكرتى الثواب والعقاب .

وفى النمط التاسع يعرض ابن سينا لكرامات العارفين التى تشبه معجزات الرسل . فإن العارف متى وصل الى نهاية معراجه الروحى ، وانخرط فى سلك الجبروت استطاع أن يأتى بأفعال خارقة للعادة ، وقد تفضى به حال الجذب الصوفى والاستغراق فى مشاهدة الذات الإلهية الى أن يذهل عن كل شيء . فهو اذن حكم من لا يكلّف « وكيف ؟ والتكليف لمن يعقل التكليف ! » وهو يصف من لا يسلّم له بهذا الراى بالغفلة وضيق العقل ، وهنا يقترب أسلوب ابن سينا من أسلوب الباطنية ، وإن البس هذا التهديد ثوبا صوفيا براقا ، فقال : « جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد أو يطلع عليه إلا واحد بعد واحد . ولذلك فان ما يشتمل عليه هذا الفن ضحكة للمغفل وعبرة للمحصل . من سمعه فاشمأز منه فليتهم نفسه لعلها لا تناسبه . فكل ميسَّر لما خُلقَ له » وترتبط هذه الفكرة عند ابن سينا باتجاه واضح الى تأويل الفرائض الدينية من صلاة وزكاة وحج .

أما فى النمط العاشر من كتاب (الاشارات والتنبيهات) فيتجه ابن سينا الى التسوية بين المعجزات والكرامات والسحر ، ويفسر ذلك كله تفسيرا طبيعيا فيقول : « إذا بلغك أن عارفا أطاق بقوته فعلا أو تحريكا يخرج عن وسع مثله فقد تجد الى سببه سبيلا فى اعتبارك مذاهب الطبيعة » . كذلك يفسر الاطلاع على الغيب تفسيرا ماديا مسترشدا ببعض الحالات النفسية المرضية عند البله والصبيان .. وهو يرى أن العلم بالغيب يشرق فى النفس دفعة واحدة وعندئذ يشاهد العارف أشخاصا أو يسمع هتافا ، كما رأى الرسول جبريل وكما سمع موسى كلام ربه . ولا يعدم أن يستشهد ابن سينا هنا لرأيه ببعض تجارب الكهان من الوثنيين فيقول بعد الحديث عن بعض هذه التجارب المادية « فتارة يكون لمحان الغيب جزءا من ظن قوى ، وتارة يكون شبيها بخطاب من جنى أو هتاف من غائب ، وتارة يكون مع ترائى شيء للبصر » .

والتفسير الطبيعى للكرامات والمعجزات واضح كل الوضوح فى هذا النمط العاشر ، الى درجة أن نصير الدين الطوسى يعلق على كلام ابن سينا عن الكرامات والمعجزات فيقول : « وانما قال تكاد تأتى بقلب العادة ، لأن تلك الافعال ليست عند من يقف على عللها الموجهة اياها خارقة للعادة ، وانما هى خارقة بالقياس الى من لا يعرف تلك العلل » هذا الى أن ابن سينا يجمع بين السحر والمعجزات والكرامات فيرجعها الى تأثير القوى النفسية للاجراء السماوية فى نفوس السحرة والرسل والعارفين .

وتكشف الوصية التى يختتم بها كتاب (الاشارات والتنبيهات) عن اتجاه باطنى واضح شبيه بمنهج اخوان الصفا وأمثالهم من مفكرى الفلسفة الاسماعيلية .. فابن سينا يوصى اتباعه الا يذيعوا أسرار الحكمة المشرقية إلا لمن يثقون بنقاء سريرته ، واستقامة سيرته ، وبتوقفه عما يسرع اليه الوسواس . كذلك يطلب الى تلاميذه وخلصائه ، الذين كانوا يقرأون كتابه فى حلقة مغلقة أن

يدرسوا الحالة النفسية لمن يريدون ضمهم الى مذهبهم ، وان يستخدموا فراستهم فى الانتقال بهؤلاء من درجة الى أخرى ، حتى ينتهوا منهم الى غايتهم ، ومعنى ذلك كله انه يطلب الى الدعاة من انصـــار مذهبه أن يمهدوا تمهيدا جيدا حتى يســـــتطيعوا نقل العوام الى مرتبة اعلى مع اخذ العهد على المريدين منهم بأن يسلكوا مسلكهم مع الذين سيوكل اليهم فيما بعد ، مهمة جذبهم الى هذا المذهب السرى او الباطنى .

وفيما يلى وصف لأهم كتب الرئيس ابن سينا :

١ ــ كتاب الشفاء : وهو أشبه شىء بموسوعة فلسفية جمع فيهـــا ابن سينا أصول العلوم الفلسفية المنسوبة الى القدماء ، ووصفها بقوله أنه لا يوجد فى كتب القدماء شىء يعتد به إلا وقد ضمنه فى هذا الكتاب . ويحتـــوى كتاب الشفاء على أربعة أقســــام رئيسية وهى المنطق والطبيعيات والرياضـــيات والإلهيات .

وقد ترجمت أجزاء منه الى اللاتينية والى بعض اللغات الاوربية الحديثة .. وقد اشرفت وزارة الثقافة المصرية على تحقيق ونشر أجزاء كثيرة من الشفاء منها : المنطق ، والطبيعيات والإلهيات .. الخ .

٢ ــ كتاب (النجاة) وهو مختصر لكتاب الشفاء ، وفيه يدرس ابن سينا المنطق والطبيعيات والالهيات . وهناك شروح كثيرة لكتاب النجاة .

٣ ــ كتاب الاشارات والتنبيهات : وهو آخر كتب ابن سينا ، وقد قال عنه أحد تلاميذ ابن سينا ، وهو الجوزجانى ، إنه أجود كتب ابن ســـينا وانه خصصه لتلاميذه المقربين لا لغيرهم . فهو إذن من الكتب التى كانوا يتدارسونها فيما بينهم ويحتفظون بأسرارها لأنفسهم .

وقد ترجم فورجيه هذا الكتاب الى اللغة الفرنســــية فى أواخر القرن الماضى .

٤ ــ دانش نامة علائى وهو بالفارسية .

٥ ــ كتاب (عيون الحكمة) وفيه دراســـــات فى المنطق والطبيعيات والإلهيات وقد نشره الدكتور عبد الرحمن بدوى سنة ١٩٥٢ .

٦ ــ كتاب (القانون) فى الطب .

٧ ــ ومن رسائله : رسالة فى الحدود ، ورسالة فى أقســـــام العلوم العقلية ، ورسالة فى أجوبة مسائل سأل عنها أبو ريحان البيرونى .

ومن المراجع التى تشير الى موضوعات فلسفيـــة ــ الكتـــاب الذهبى للمهرجان الالفى لابن سينا ببغداد سنة ١٩٥٢ ــ نشرته الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية(١) .

---

(١) فيما يتعلق بآراء ابن سينا الفلسفية يمكن الرجوع الى :

أ) فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيق الطبعة الثانية للدكتور ابراهيم مدكور .

ب) فى النفس والعقل لفلاسفة الاغريق والاســــلام الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٩ للدكتور محمود قاسم .

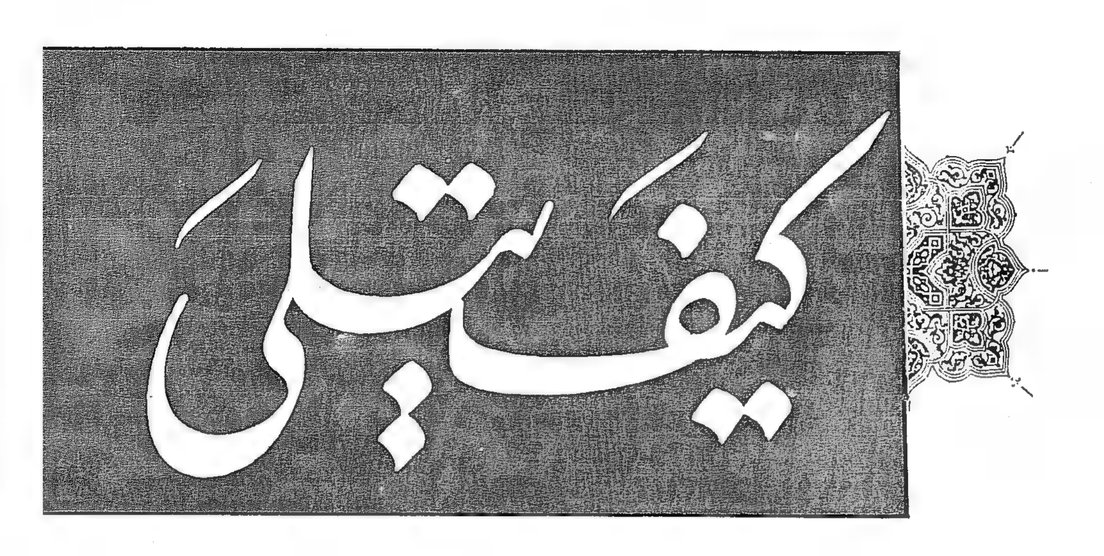
جـ) نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الأكوينى الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩ للدكتور محمود قاسم .

د) دراسات فى الفلسفة الاسلامية الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٣ للدكتور محمود قاسم .

وفيما يتعلق بمؤلفات ابن سينا يمكن الرجوع الى :

أ) مؤلفات ابن سينا للأب جورج قنواتى دائرة المعارف للبستانى ١٩٦٠ .

ب) الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا سنة ١٩٧١ للدكتور محمد عاطف العراقى .



للاستاذ محمد محمد الشرقاوى

لتلاوة القرآن الكريم اسلوب فريد ، ونموذج رائع جمع بين استحسان الشرع ، وملاءمة الطبع ، بحيث يحقق الهدف المنشود من تلاوته ، وترديد آياته مرة بعد اخرى حسبما دعا له القرآن الكريم فى قوله تعالى : **« اتل ما أوحى اليك من كتاب ربك »** وقوله جل من قائل : **« فاقرءوا ما تيسر من القرآن »** .

وهذا الاسلوب الخاص الذى انفرد به القرآن الكريم تلاوة وأداء .. يعتمد أساسا على تصحيح الحروف ، واجادة الوقوف ، وتدبر المعنى ، وتفهم المغزى ، مع لطف الأداء الصوتى ، وجمال النطق به ، والترديد له .

وقد دعانا الرسول صلى الله عليه وسلم الى تمييز القرآن الكريم عن غيره من ألوان الكلام فى الأداء والتعبير ، ووضعه فى اطار خاص يتفق مع جلال رسالته ، وقدسية أهدافه .. فقد روى زيد بن ثابت رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل » واذا ذهبنا نتتبع هذه الصورة التى أنزل بها القرآن لنتعرف هيئتها من واقعها ، ونتبين ملامحها من وصفها .. وجدنا فى كتاب الله تعالى ما ينقع غلتنا ويفى بتطلعاتنا .. يقول الله تعالى : **« ورتل القرآن ترتيلا »** ، وفى آية أخرى : **« ورتلناه ترتيلا »** .

فالترتيل اذن هو الاسلوب الحكيم الذى انفردت به تلاوة كتاب الله ، وتميزت به عما عداه فى النطق والأداء ، وهذا الترتيل الذى ندب اليه القرآن



فى أكثر من آية ، وعبر عنه بصيغة الأمر الذى يوحى بالوجوب أو الأهمية ، أو الأولوية .. هو الطريقة المثلى التى ينبغى أن يلتزم بها كل قارىء ، وأن تتحدد بها كل تلاوة ، فكتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يليق أن يعامل معاملة الشعر فى القائه الموزون ، واثارته العاطفية ، ولا ينبغى أن ننزله منزلة الخطبة فى طنطنتها الفخمة ، ورناتها الضخمة ، ولا يناسب أن نسرده سرد الحكايات والطرائف فى عبارتها الاستهوائية البراقة ، ولا أن نلقيه فى قوالب الصياغة العلمية الجافة .. بل ان سمو مكانته ، وخطورة آثاره تضفى على قراءته لونا خاصا يتناسب مع هذا السمو والخطر .. وهذا اللون هو الترتيل .. والترتيل فى لغة العرب : تتابع الكلام ، وأخذ بعضه بعناق بعض على مكث وتلبث مع حسن الصوت ، ورقة الأداء .

وقد فسره ابن عباس رضى الله عنهما : بأنه التبيين والاظهار ، كما شرحه مجاهد بأنه التأنى والتمهل ، وقال فيه الضحاك : « انه اخراج الكلام حرفا حرفا » وقد حكت بعض أمهات المؤمنين صورا من تلاوته صلى الله عليه وسلم — ولا شك أنهن فى هذا المجال الصق الناس به ، وأعرفهم بطريقته — سئلت عائشة رضى الله عنها عن قراءته صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان يقرأ السورة حتى تكون أطول من التى هى أطول منها » ، وسئلت كذلك السيدة أم سلمة رضى الله عنها نفس السؤال فقالت : « كان يفسرها حرفا حرفا » .

وقد دلت الآثار المروية على أن عناية الرسول صلى الله عليه وسلم

بحسن الأداء وجمال القراءة لم تشغله عن الهدف الاساسي من القراءة وهو الانتفاع والذكرى .. فكان عليه الصلاة والسلام يجمع فكره وقلبه فى التلاوة للوصول من خلالها الى أبلغ المفاهيم الدينية ، والانتفاع بأقصى ما يمكن الانتفاع به من مذخور الحكم ، ومكنوز الاحكام ، حكى عنه ذلك أصحابه في غير موضع . ومن هؤلاء أبو الدرداء رضي الله عنه الذي روى : « أن الرسول صلى الله عليه وسلم قام فى ليلة يردد آية واحدة حتى الصباح وهي : « ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » .. وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه الذى خدم الرسول عليه الصلاة والسلام تسع سنين يسأل عن تلاوته صلى الله عليه وسلم فيقول : « كانت مدا هكذا .. ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، يمد الله ، ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم . ومن هنا نلاحظ أن عماد الترتيل المطلوب فى قراءة كتاب الله عز وجل انما هو تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف ـ كما حكى هذا عن على كرم الله وجهه ـ ومن مكملات هذا الترتيل : تحلية القراءة ، وتزيين التلاوة ، بالصوت الحسن ، والأداء الأغن الجميل قال ابن الجزرى فى كتابه النشر على القراءات العشر : « وقد أدركنا من شيوخنا من قرأ القرآن مجودا مصححا كما أنزل تلتذ الأسماع بتلاوته ، وتخشع القلوب عند قراءته ، حتى يكاد أن يسلب العقول ، ويأخذ بالألباب ، وهذا سر من أسرار الله يودعه من يشاء من خلقه .. » ، وذكر أيضا أن الاستاذ عبد الله البغدادى المعروف بسبط الخياط مؤلف المبهج .. كان قد أعطى حظا عظيما من حسن الترتيل ، وأنه أسلم جماعة من اليهود والنصارى من سماعهم لتلاوته ، ومثله فى ذلك الشيخ ابن بصخان شيخ الشام ، والشيخ ابراهيم الحكرى شيخ الديار المصرية .. على أن الاقتصار على هذه المكملات ، وحصر الاهتمام فى استهواء القلوب والاسماع بجمال النبرات ، وتناسق الألحان ، مع صرف العناية عن الهدف الأول من الترتيل : وهو الادراك الواعي ، والفهم الناضج لما يشتمله القرآن من حكم وأحكام ، ومعان وآداب ، وعبر ومواعظ .. يذهب بالفائدة المرجوة من الترتيل ، ويضحى بالكثير من أجل القليل ، ويفسد المعنى حفاظا على صورة المبنى ، وهذا خروج عن الجادة المرسومة لتحديد معنى الترتيل الذى اختص به القرآن ، وتميز به فى تلاوته عما عداه .. قال محمد بن كعب القرظى : « لأن أقرأ فى ليلتى حتى أصبح (إذا زلزلت الأرض) ، و (القارعة) لا أزيد عليهما ، وأتردد فيهما ، وأتفكر ، أحب الى من أن أهذ القرآن هذا » أى أسرع فيه اسراعا ليس فيه شيء مما ذكر .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعجبه الصوت الموهوب فى ترتيله لآيات الذكر الحكيم حيث تنسجم روعة الأداء ، مع قدسية المضمون .. فيتعانق الجمال مع الكمال ، وتتوافق الصورة والروح ، فى نفس مطبوعة على السمو المطلق ، والتكامل الفطرى . ولهذا .. كان عليه الصلاة والسلام يحب الإنصات لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه المسمى بابن

ام عبد ، وكان رضى الله عنه يتميز بصوت نفاذ ، وأداء للقرآن أخاذ ، وكان النبى يقول لأصحابه : « من احب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد » يعنى : ابن مسعود ، وقد ثبت فى الصحيحين : أن قراءة ابن مسعود أبكت الرسول صلى الله عليه وسلم حين سمعه فى بعض منها .. كما نقل عن عثمان النهدى قوله : « صلى بنا ابن مسعود المغرب بـ « قل هو الله احد » ، ووالله لوددت أنه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته وترتيله » .

وكان الرأى السائد بين سلفنا الصـالح أن التلاوة مع العمق والقلة خير منها مع السطحية والكثرة ، لأن المقصود الأهم منها هو تقليب الفكر ، واستدامة النظر فى هاتيك الدرر الغوالى التى احتواها القرآن ، وما يشع منها من بريق الهداية ، واضواء الحكمة .. وهذا ما لا يفطن له الا بحضور القلب ، وتفتح الفؤاد ، حال القراءة أو السماع ، وقد سـئل مجاهد عن رجلين قرأ أحدهما البقرة ، والآخر البقرة وآل عمران فى الصـلاة ، وركوعهما واحد ، وسجودهما واحد فقال : الذى قرأ البقرة وحدها افضل ، وفى صحيح البخارى أن ابن مسعود قال لرجل قرأ سور المفصل كلها فى ليلة : « أهذا كهذ الشعر ؟ » وهو بهذا ينكر عليه تعجله المخل بتفـكره وتدبره ، ومما روى عنه رضى الله عنه : « جودوا القرآن ، وزينوه بأحسن الأصـوات ، وأعربوه فانه عربى ، والله يحب أن يعرب به » ، وقوله : « لا تنثروا القرآن نثر الدقل ، ولا تهذوه هذ الشعر » والدقل ـ كما فى المصباح المنير ـ هو أردأ التمر ، وممن طرب له الرسول صلى الله عليه وسلم فى تلاوته ، واستمالته قراءته ، أبا موسى الأشعرى رضى الله عنه وكان من ذوى الحناجر الذهبية الموهوبة .. سمعه النبى عليه الصـلاة والسلام يقرأ من وراء جدر بيته فتلبث مليا اعجابا بهذا الصوت المشرق ، والأداء الرائع ، فلما عرف ذلك أبو موسى قال للرسول : « لو علمت بوقوفك لحبرته لك تحبيرا » اى حسنته لك أكثر مما سمعت .

ومعنى ذلك أن اجادة الترتيل ، ليس لها حد تقف عنده ، وأنها قابلة للتطوير الى الحد الذى لا يفسد المبنى ، ولا يلهى عن المعنى .

وما دمنا قد تحدثنا عن جمال الصوت وحسن الأداء حين التلاوة فاننا ننبه الى أنه ليس معنى هذا التفريط أو الافراط .. فكما لا يجوز الاخلال بصحة الحروف ، واستقامة الوقوف ، كذلك لا يجوز المبالغة فى تشخيص الحروف ، والتكلف فى اخراجها حتى تصل الى صورة مشوهة جافية ، وما أحسن قول أبى عمرو الدانى فى هذا الصدد : « ليس التجويد بتمضيغ اللسـان ، ولا بتقعير الفم ، ولا بتعويج الفك ، ولا بترعيد الصـوت ، ولا بتمطيط الشد ، ولا بتقطيع المد ، ولا بتطنين الغنـات ، ولا بحصرمة الراءات .. بل هو القراءة السـهلة العذبة .. الحلوة اللطيفة .. التى لا مضغ فيها ، ولا لوك ، ولا تعسف ، ولا تكلف ، ولا تصنع ، ولا تنطع ، ولا تخرج عن طباع العرب ، وكلام الفصـحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء » .

فالاطار الذى يمكن أن يبرز فيه الترتيل حسبما تراءى من خلال وصفه وواقعه كما نقل الينا يعتمد أصلا على صحة الحروف ، ومعرفة الوقوف كما يستند كذلك الى تجميل القراءة بالصوت الحسن مع التفكر الهادف ، والإلمام الواعى ، والسبح فى فلك الاهداف القرآنية للاهتداء باشعاعاتها ، والاسترشاد بمواعظها ، وهذه هى التلاوة المثالية للقرآن الكريم .. وعلى جانبيها طريقتان أخريان يمثلان طرفى الغلو والتساهل ، ويسميان عند أهل الفن : التحقيق والهدر ، والأول هو العناية البالغة بمخارج الحروف من اشباع ، وتحقيق همز ، واتمام حركة ، واظهار تشديدات ، وتوفية غنات ، وتفكيك حروف بالسكت والترسل ، وليس من اللازم مع هذا التحقيق الترتيل ولا حسن الصوت وهذا اللون لا ينبغى أن يكون الا للمتعلمين لتعويد النطق ، وتوليد الانطباعات اللسانية .

وأما النوع الثانى وهو المسمى بالهدر فهو الاسراع مع ايثار الوصل ، ولكن مع المحافظة على الحروف واقامة الاعراب ، ويلجأ اليه البعض تحصيلا لحسنات أكثر ، واحرازا لفضيلة أتم ، ولكن الحق خلاف ذلك ، فان العبرة ليست بوفرة التلاوة ، بل بكثرة الافادة ، وقد أحسن بعض أئمة الترتيل حين قال : « ان ثواب قراءة الترتيل والتدبر اجل وأرفع قدرا من ثواب كثرة القراءة ، فالأول كمن تصدق بجوهرة ثمينة ، والثانى كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم » .

وبعد .. فقد انتهينا الآن الى أن أفضل ألوان القراءة القرآنية هو الترتيل : وهو الذى جاء به التنزيل الحكيم ، وأن عماد الترتيل صحة الحروف وملاحظة مناسبات الوقوف ، مع حسن الأداء وتجميل الصوت ، وادارة الفكر وأعمال القلب والوجدان فيما يمر به من آيات بينات ، ومواعظ بالغات ، وأن التشدد فى أداء الحروف سواء بالتحقيق أو بالتطريب يخرجها عن حد القراءة المشروعة والتلاوة المتوارثة ، كما قال حمزة : « ما كان فوق البياض فهو برص ، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة » وأن خير الامور أوساطها وأن الثواب الجزيل ، منوط بكيفية القراءة لا بكميتها ، وحسبنا أن نقرأ قوله تعالى : « **وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا** » ومعنى المكث : التلبث والتروى ، وقوله تعالى : « **واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** » فان الاستماع بمعنى السكوت ، والانصات معناه التدبر وهما لا يتأتيان بغير الأناة والترتيل ، وقد جعلت الفقاهة بمعانى ما يتلى من شرائط السلامة .. كما اعتبر عدم الاستفادة من التلاوة من صفات المخالفين وذلك فى قوله تعالى : « **واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا . وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا** » ويقول تعالى : « **الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به** » ومعنى تلاوة القرآن حق تلاوته كما فى القرطبى : « ترتيل الفاظه وتفهم معانيه لأن ذلك أدعى الى الاتباع لمن وفق » .



للدكتور : سالم نجم

اهتم علماء الطب فى كل من كندا والولايات المتحدة الأمريكية بنتائج ابحاث اجريت فى كل من مقاطعة كويبك بكندا ومدينة أوماها بالولايات المتحدة عن العلاقة بين شرب البيرة والاصابة بمرض فى القلب خطير ، بلغت نسبة الوفيات فيه ٤٢٪ بين أوروبا حيث ظهرت آثاره فى انجلترا حينما نوقشت دقائق الأبحاث عن هذا الموضوع فى مجلة اللانست الطبية اللندنية بعددها الصادر فى ٢٨ اكتوبر/٦٧م ص ٩٢٨ .

ماذا يقول التقرير !

ولنعد الى التقرير الذى رفعته مجموعة من علماء كندا هم الأطباء : مورين ، فولى ، مارتيو ، روسيل ، والذى نشر فى المجلة الطبية الكندية منذ شهرين (المجلد (٩٧ ص ٨٨٣) . فلقد لاحظ هؤلاء العلماء ظهور مرض فى القلب ، سموه وباء لانتشاره بسرعة بين شاربى البيرة فقط . ويظهر بأعراض مرضية خاصة فهو أى — المرض — يأتى فجأة وبدون مقدمات ، حيث يشعر المريض بضيق فى التنفس وسرعة فى ضربات القلب مع سعال شديد ، وقد يصاحب هذه الأعراض الم فى أعلى البطن مع قىء ونزيف معدى من قرح فى المرىء والمعدة ثم ظهور علامات فشل القلب

(هبوط القلب) يقضى على المصاب فى عدة أيام . أما من يجتاز هذه المرحلة من المرض فانه يصاب بتورم عام مصحوبا باستسقاء بطنى ، كما أن الكثير من هؤلاء المرضى اصيبوا باستسقاء حول العضلة القلبية وبانسداد فى الشرايين الحيوية . ولقد تبين من فحص الأشعة وجود تضخم فى حجم القلب وضعف فى القيام بوظائفه الأساسية وربما كان ذلك السبب المباشر للوفاة . أما تخطيط القلب فلقد أظهر تلفا ملحوظا فى العضلة القلبية بشقيها الأيمن والأيسر وأكد ذلك وجود نسبة عالية من الخمائر المنطلقة فى الدورة الدموية دالة على تحطيم فى خلايا القلب كبير .

الصفة التشريحية :

حينما شرحت جثث المتوفين تبين أن القلب محتقن ومتضخم وبه قليل من التمدد مع احتوائه على جلطة دموية فى البطين والأذين الأيسرين . أما الكبد فلقد ظهرت به بقع نزفية مختلفة الأحجام مع احتقان عام وقليل من التضخم . ولقد أجمع العلماء على أن هذه الصورة المرضية ليست تلك التى تشاهد بين مدمنى الخمر حيث تصاب العضلة القلبية فيهم بالتضخم المتبوع بهبوط مزمن فى القلب ، ولكنها حالة جديدة تحدث فقط بين متعاطى البيرة ، وتستحق التسجيل وإجراء المزيد من الأبحاث حولها .

أسباب المرض :

لم تعرف أسباب محددة لهذا المرض ولكن هناك عدة فروض من المحتمل أن تكون من مسبباته : —

١ — اضافة مادة الكوبلت الى البيرة : غير أن هذه المادة تعطى بكميات اكبر الى بعض المرضى المصابين بفقر الدم ولا تحدث مثل هذا المرض فيهم .

٢ — ان شاربى البيرة دون غيرهم لديهم استعداد للتسمم بمادة الكوبلت كما هى الحال معهم أيضا مع مادة الزرنيخ والمعادن الثقيلة . ولقد ثبت ذلك منذ أوائل هذا القرن فى عام ١٩٠١م وسواء كانت هذه الأسباب حقيقة أم افتراضية ، فالذى يعنينا أن هذا المرض قاتل ، ولا يصيب الا شاربى البيرة .

لماذا الكتابة فى هذا الموضوع : وما العبرة ؟

لقد احسست بضرورة الكتابة عن خطر شرب البيرة لسببين :

أولهما : اننى لاحظت أن الكثير من المسلمين وخاصة الشباب يعتقدون أن البيرة غير محرمة لاحتوائها على نسبة قليلة من الكحول تتراوح بين ٥ — ٧٪ ؛ ونظرا الأضرارها البليغة التى تحدثها الخمر فى القلب ، والكبد ، والمعدة ، والجهاز العصبى ، وجب التنويه والتحذير .

ثانيا : انه خلال اجرائى بحثا عن اسباب المغص الكلوى وحصوات المجارى البولية فى الكويت أخبرنى عدد كبير من المرضى أنهم يشربون البيرة لما فيها من فائدة فى ادرار البول والتخلص من الحصوات . وهذا خطأ كبير لسببين :

١ — ان هؤلاء المرضى لم يتحسنوا من آلامهم ولم يتخلصوا من حصواتهم رغم استمرارهم فى شرب البيرة .

٢ — لقد ثبت علميا أن السبب الرئيسى للمغص الكلوى وحصوة الكلى — عدا العامل الوراثى —

هو اختلال فى نسبة الأملاح فى الدم والبول وخاصة بين عنصرى الصوديوم والكالسيوم . ولقد أثبتت تجاربنا أن الاكثار من تعاطى ملح الطعام وخاصة فى فصل الصيف يمنع حدوث المغص الكلوى ويساعد على تفتيت حصوة الكلى والتخلص منها .

هل تدفع الخمر شاربها الى الانتحار ؟؟

جاءت هذه العبارة عنوان بحث جيد قامت به مجموعة من الأطباء المتخصصين فى المستشفى الغربى فى مدينة جلاسجو ، وهو احد المستشفيات التعليمية بها ، ولقد نشرت تفاصيله فى الصفحة الأولى من المجلة الطبية البريطانية اللانست بتاريخ ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٧٢ ، والأطباء الباحثون هم باتيل ، ومونيكاروى ، وولسون ، ومدينة جلاسجو هى أضخم مدن اسكتلندا ، وثالث اكبر مدينة فى بريطانيا : والبحث يتناول ظاهرة الانتحار وعلاقته بتعاطى الخمور خلال الفترة ما بين عام ١٩٥٤ الى عام ١٩٧١ . وكانت بداية الدراسة أن لاحظ الباحثون أن هناك زيادة مطردة فى عدد الأشخاص الذين ادخلوا الى المستشفى المذكور للعلاج من محاولات الانتحار ، ففى عام ١٩٥٤ كان عدد من انتحر أو حاول الانتحار لا يزيد عن الستين شخصا ، فى حين ارتفع هذا العدد الى ما يربو على الخمسمائة فى عام ١٩٧١ ، والخط البيانى يشير الى ارتفاع مستمر ، وليس هناك ما ينبىء بانخفاض معدل الانتحار أو حتى باستقراره .

وباء الانتحار :

ونظرا لهذه الزيادة المفزعة فى عدد المنتحرين ، فلقد سميت هذه الظاهرة بالوباء الانتحارى ، اذ اكدت الاحصائيات أن ثلاثة أشخاص من كل ألف فى مدينة جلاسجو أدخلوا الى احدى مستشفيات المدينة بسبب الانتحار خلال عام ١٩٧٠ ، والواقع أن هذا الرقم لا يمثل العدد الحقيقى ، اذ أنه من المسلم به احصائيا أن كل مريض يدخل الى المستشفى للعلاج يقابله على الأقل مريضان يعالجان خارج المستشفى ، وبذلك تصبح النسبة قريبة من ١٪ ، أو بتعبير أصح هناك شخص يحاول الانتحار بين كل مائة مواطن يعيش فى هذه المدينة ، وتلك نسبة أقلقت بال رجال الطب وعلماء الاجتماع فى تلك المنطقة ، خاصة وان الانتحار أصبح ظاهرة اجتماعية مقبولة بين الناس هناك .

الأرقام تتحدث :

لقد اتضح أن الانتحار بالمواد السامة ومعظمها من العقاقير والأدوية تشكل ١٥٪ من مجموع المرضى بأقسام المستشفى غير الجراحية ، ولا يفوقها عددا إلا حالات أمراض القلب التى تصل نسبتها الى ١٩٪ ، والجدير بالذكر أن الانتحار يأتى فى المرتبة الأولى لدى أولئك الذين تقل أعمارهم عن الأربعين عاما .

ويتناول البحث علاقة الانتحار بتعاطى الخمور وينقسم الى قسمين رئيسيين : —

القسم الأول : دراسة خلفية عن فترة محددة فى الماضى تناولت ٢٧٠٦ حالة من حالات الانتحار (١٠١٥ رجلا ١٦٩١ امرأة) ارتكبت خلال ١٥ سنة (ما بين ١٩٥٤ حتى ١٩٧٠) ، حيث درست كل حالة على حدة ، ورصدت الأسباب المحتملة للانتحار من واقع ملفات المرضى أنفسهم دون تخطيط سابق ، وتوصل الباحثون الى أن أهم أسباب الانتحار هى المشروبات

الكحولية ، البطالة ، صعوبات مالية ، مشاكل عائلية . ولقد ثبت أن ٩٠٪ من الرجال ممن حاولوا الانتحار شربوا الخمر قبل الاقدام على المحاولة ، وان الخمر عامل أساسى لدرجة الادمان فى ٤٥٪ من حالات الانتحار لدى الرجال ، ثم تأتى البطالة كسبب آخر بين ٢٣٪ من المنتحرين فى المرتبة الثانية . أما فى النساء فان الخمور كسبب مباشر لا تتعدى ١٠٪ ولكن ادمان الزوج وإهانته لزوجته أو ابنته وما يصاحب هذا السلوك من ضائقة مالية أو اجتماعية تدفع ٤٣٪ من النساء الى ارتكاب جريمة الانتحار .

القسم الثانى من البحث : عبارة عن دراسة أمامية مخطط لها لفترة عام واحد ، بدأت من يناير ١٩٧١ حتى فبراير ١٩٧٢ وشملت ٥٨٧ حالة انتحار . ولوحظ أنه فى حين تكررت محاولة الانتحار مرتين فى ٣١ شخصا ، تكررت ثلاث مرات أو أكثر فى ١٤ شخصا من المجموع الكلى للرجال والنساء ، ولقد تمت دراسة مستفيضة على ٥٢٠ حالة (٢٠٧ رجال ، ٣١٣ امرأة) .

من هذه الدراسة وجد أن السبب المباشر للانتحار ذو جوانب معقدة ومتعددة ، الا أنه قد ثبت أن مشكلة المشروبات الكحولية هى أكثر العوامل ثبوتا وأبعدها أثرا على من يحاولون الانتحار ثم تأتى العوامل التالية كأسباب ثانوية نذكر منها : البطالة ، المشاكل الاقتصادية والجريمة وتفكك الأسرة والطلاق .

وهناك نسبة كبيرة بين شاربى الخمر من الجنسين يرتكبون أعمالا عنيفة وهم تحت تأثير الشراب ، بل إن منهم من يعتدى بالضرب على زوجته أو ابنته مما يدفعه أو يدفعهما الى الانتحار . كذلك تبين أن عددا غير قليل من مدمنى الخمور يعانون من أمراض نفسية معقدة .

وطبقا لتحليل نسبة الكحول فى الدم وقت ارتكاب جناية الانتحار وجد أن حوالى ٩٠٪ من الرجال قد تناولوا المسكرات بساعات قليلة قبل الانتحار .

فى حين أن النسبة تهبط الى ٤٠٪ عند النساء ، كما تتفاوت أعمار هؤلاء الضحايا بين اثنى عشر عاما الى ما فوق السبعين ، إلا أن الغالبية العظمى تتركز فى الشباب ممن تقع أعمارهم بين العشرين والأربعين سنة .

وفى مثال آخر حول موضوع إدمان الخمر ، ورد ذكره فى العدد رقم ٧٧٩٠ بتاريخ ١٦/١٢/١٩٧٢ ، من المجلة ذاتها دلت الاحصائيات أن فى بريطانيا وحدها حوالى ٤٠٠ر٠٠٠ أربعمائة الف مدمن مسجلون للعلاج من هذا الداء ، ومن الواضح أن مثل هذا العدد — على أقل تقدير — غير مسجل ، وبالتالى يوجد فى بريطانيا شخص يدمن الخمر بين كل خمسين شخصا ، ومن المعروف أن بريطانيا ربما كانت من أقل الدول الغربية استهلاكا للمشروبات الكحولية ، كما جاء فى نفس المقال احصاء يبين أن الجرائم التى أرتكبت بسبب تعاطى الخمور فى عام ١٩٧٠ ، بلغت ٢٧ر٩٧٢ جريمة ، وفى خلال عام واحد (١٩٧١) ارتفع هذا العدد الى ٣٩ر٨٤٠ جريمة ، بزيادة تقارب ٤٠٪ وهى نسبة مفزعة .

إن هذه الاحصائيات صدرت عن جهات رسمية ، وكلها تشير بصورة واضحة الى مدى الخطر والانهيار اللذين يتعرض لهما المجتمع الغربى ، ولا تحتاج منا الى تعليق فالخمور بآثارها ومضارها تعبر عن نفسها بالأرقام فى جلاء ووضوح ، وليس لى جهد يذكر فى كتابة هذا المقال ، وما قصدت اليه هو التذكير فقط ، وأدع القارىء الكريم يستخلص العبرة من احصائيات العلماء والواعين من أبناء المجتمع الغربى أنفسهم فلعلنا نسمع ونعى ..

مكتبة المجلة

اعداد الأستاذ عبد الستار فيض

الاجتهاد في الفقه الاسلامى

بحث عن الاجتهاد الفقهى فى ادواره المختلفة حاول فيه مؤلفه الدكتور محمد الدسوقى دراسة الاجتهاد بغية الكشف عن جانب أصيل من جوانب الثقافة الانسانية الخالدة ، وقد مهد للبحث بدراسة موجزة عن تعريف الاجتهاد وشروطه ومجاله ومصادره كما أشار الى أهم أسباب الخلاف بين المجتهدين .

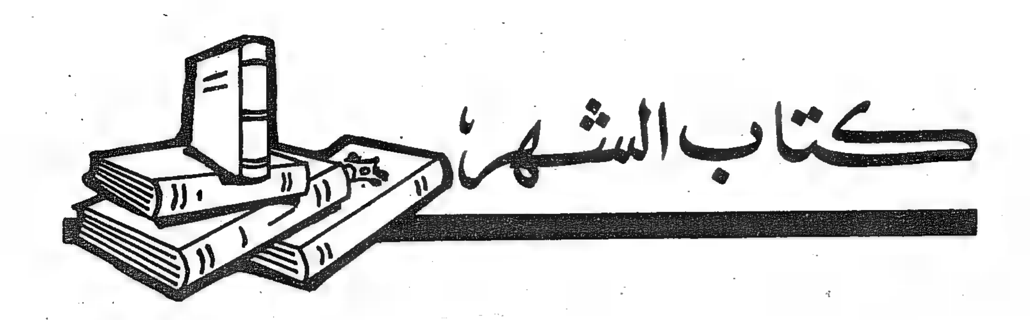
والبحث مقسم الى ثلاثة أبواب يتحدث فى الأول عن الاجتهاد فى عصر البعثة والصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين وفى الثانى عن عصر التقليد مبينا أسباب اغلاق باب الاجتهاد وآثاره فى الدراسات الفقهية . وفى الثالث يتناول الجهاد منذ ظهور مجلة الأحكام الى الآن .

وفى ختام البحث يتحدث الدكتور المؤلف مثبتا أهم نتائج الاجتهاد ومؤكدا الدعوة الى الاجتهاد الجماعى والفردى .

حياة رسول الله

كتاب يروى قصة النبى صلي الله عليه وسلم اقتبسها مؤلفها الأستاذ محمود شلبى من مراجعها الأصيلة والكتاب يتكلم عن حياته عليه السلام من مولده الى وفاته ويسجل وقائع تلك الحياة تسجيلا صادقا أصيلا فلا خرافات ولا خيالات ولا التواءات ولا انحرافات . ثم هو بعد ذلك له منهجه فى معاملة أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا رد على المستشرقين ولا رد على أعداء الدين ولا رد على الملحدين ، وانما يقص على الناس قصة رسول الله فى صدق وصفاء ويعتبر المؤلف هذا خير رد على هؤلاء وخير دليل على عظمة الرسول .

والكتاب يقارب المائتى صفحة ومن نشر مكتبة القاهرة بالصنادقية — مصر .



حاضر العالم الاسلامي

تاليف : لوثروب ستودارد
ترجمة : عجاج نويهض
تقديم : شكيب أرسلان
عرض وتحليل : يوسف نوفل

صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب منذ ما يقرب من ثمانية وأربعين عاما فى القاهرة ، ويجدر فى بداية الحديث أن نعرف بايجاز بمؤلف الكتاب ، لوثروب ستودارد الذى ولد عام ١٨٨٣ فى بروكلين بأمريكا ، وتوفى عام ١٩٥٠ ، كان أبوه خطيبا واعظا جوالا ، بدت لدى لوثروب دراسة البيئة منذ صغره : وأولع بدراسة اللغات لاسيما الالمانية فى جامعة هارفارد عام ١٩٠١ ، ثم صار كاتبا اجتماعيا ومؤرخا لكثير من الثورات وحركات التطور فى العالم ، تخرج فى هارفارد عام ١٩٠٥ ، ثم التحق بجامعة بوستن ونال درجة الدكتوراه فى الحقوق عام ١٩٠٨ ، وقد الف بين عام ١٩١٤ وعام ١٩٤٠ سبعة عشر كتابا ، وكان كتاب (حاضر العالم الاسلامى) خامس هذه الكتب حيث صدر عام ١٩٢١ وكان أوسعها انتشارا ، وكان المؤلف على نية زيادة الكتاب فى طبعة حديثة يصل فيها الى منتصف القرن .

قام برحلة طويلة عام ١٩٢٤ الى الشرق الاوسط وزار فلسطين والأردن ومصر وتركيا وغيرها :

ومن كتبه (نهضة الشعوب الملونة) ١٩٢٠ ، و (الثورة على الحضارة) ١٩٢٢ ، و (الانسانية تحت سيطرة العلم) ١٩٢٦ ، و (الحظ : شريكك الصامت) ١٩٢٩ .

اهم قضايا الكتاب :

يتناول الكتاب العديد من القضايا مثل :

تطور الاسلام ، الفتح العربى ، البعثة المحمدية والأقوال المنصفة والمغرضة فى محمد صلى الله عليه وسلم ، وكتاب (حياة محمد) لأميل درمنغهم ، وأسباب انتصار العرب على الفرس والروم ، وحضارة الاسلام فى القرون الوسطى ، ورقي الاسلام ، والرد على أعداء الاسلام ، ونظريتا : القومية العثمانية الاسلامية ، والقومية التركية ، وترجمة القرآن ، وكلها بقلم شكيب أرسلان .

ومن فصول الكتاب :

فى اليقظة الاسلامية ، وفى الجامعة الاسلامية ، والمسلمون فى الأندلس ، والاسلام فى أفريقيا والحبشة ، ومدغشقر ، والفلبين ، والرق ، وعدم جمود الاسلام ، وسيطرة الغرب على الشرق ، والتطور السياسى ، والاقتصادى ، والاجتماعى .

وبعض هذه البحوث مقالات لبعض الباحثين كشكيب ، وديريش وسترلمان ، وغيرهما .

وباستعراض هذه الموضوعات تتضح خطورة الكتاب وتنوعه واتساع مراميه ، فهو يكاد يلم بمعظم ما يشغل بال المسلمين وبال أعدائهم فى الوقت نفسه ، وهو يتناول قضايا على جانب كبير من الأهمية بما تحمله من ادعاءات وهجوم مغرض ، وبما تحمله من اثارة جديرة أن تتضح معالمها وتتحدد ملامحها وخطوطها أمام الاجيال المسلمة فى شتى بقاع الارض استهدافا لتوفر الوعى الاصيل للانسان المسلم فى أخريات القرن العشرين ، وهو وعى يتحتم تحققه في وقت تتكالب فيه كثير من الامور أمام ناظرى المسلم لا يملك البعض أمامها الا الاستسلام أو الحيرة أو التبلبل أو الشك ، وفى ظنى أن مناقشة بعض هذه الامور جدير أن يضع أمام أعين شبابنا الحقيقة الاكيدة ، وهو أمر يتحتم على مفكرى الأمة ورجالها أن يسهموا فى اجلائه أمام الشباب .

البعثة المحمدية فى نظر الفلاسفة والعلماء :

يستعرض شكيب أرسلان فى هذا الفصل آراء كثير من العلماء والفلاسفة والمؤرخين الاوربيين فى النبى صلى الله عليه وسلم ومنهم :

غروسه ، ومونته ، واتيان دينه الفرنسى المسلم ، ودوزى ، ونولدكه ، ودوغويه ، وشبرنغر ، وسنوك هركرونيه ، وغريم ، ومارجليوث ، وهوار وجولد سيهر ، وولز ، وفولتير وغيرهم .

وهى مجموعة من الآراء لها أهميتها فى مجال التاريخ لمحمد عليه

الصلاة والسلام ، ومن بين هذه الآراء راى لاتيان دينه الفرنسي الذى أسلم وحج بيت الله الحرام ، وألف كتابا عن حجته ، كما كتب كتـــابا عن حياة محمد عليه الصلاة والسلام ، وهو يبين فساد طريقة بعض الاوربيين الذين حاولوا أن يجعلوا السيرة المحمدية وتاريخ ظهور الاسلام خاضعين لتفسير العقلية الاوروبية ، فضلوا بذلك ضلالا بعيدا لأن هذا غير هذا ، ولأن المنطق الاوروبى لا يمكن أن يأتى بنتائج صحيحة فى تاريخ الانبياء الشرقيين ، يقول دينه :

« ان هؤلاء المستشرقين الذين حاولوا نقد سيرة النبى بهذا الاسلوب الاوروبى البحت لبثوا ثلاثة أرباع قرن يدققون ويمحصـــــون بزعمهم حتى يهدموا ما اتفق عليه الجمهور من المسلمين من سيرة نبيهم ، وكان ينبغى لهم بعد هذه التدقيقات الطويلة العريضة العميقة أن يتمكنوا من هدم الآراء المقررة ، والروايات المشهورة من السيرة النبوية فهل تسنى لهم شىء من ذلك .. ؟ الجواب : لم يتمكنوا من اثبات أقل شىء جديد » .

ويشير (دينه) الى أخطاء آراء بعض هؤلاء المستشرقين مثل : دوزى الهولاندى الذى قال : ان محمدا لم يكن يشبه قومه فقد كان ذا تصور قوى ولم يكن عند العرب مثل هذا التصور وكان دينا بطبيعته ، ولم يكن العرب دينين ، بينما قال (لامنس) ان محمدا كان شبيها بقومه ، وان هذه المشابهة هى التى كانت سر نجاحه بينهم ، وفى هذا المجال ترد شـــبهة خبيثة ذهب اليها بعض المستشرقين مثل (نولدكه) الذى ذهب الى أن ســـبب الوحى النازل على محمد والدعوة التى قام بها هو ما كان ينتابه من داء الصرع ، بينما ذهب الاستاذ (غويه) الى أن هذا الافتراض ليس بصــــحيح لأن الذاكرة عند المصابين بالصرع تكون معطلة ، والحال هى عند محمد صلى الله عليه وسلم على عكس ذلك ، فقد كان يتذكر كل ما يسمعه فى اثنـــاء هذه النوبات ويمضى (شبرنغر) فى الطريق نفسه فيرى أن الوحى ما هو الا نوبات هستيرية بينما يرد عليه (سنوك هركرونيه) بأنها ليست من هذا النوع .

يعلق شكيب ارسلان على هذه الآراء وغيرها فيقول :

« ان الكتابات فى أوربه عن النبى صلى الله عليه وسلم ودينه وشرعه والملة الاسلامية بحر لا ساحل له وفيها الغث والثمين ، والحالى والعاطل ، والحق والباطل ، ومن مؤلفيها المحب والقالى ، والمنصف والمتعســـف ، والناصح والكاشح ، كما هو الشأن فى كل أمر ، ولكن العصر الاخير فى أوروبة أنصف الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا بالقياس الى الاعصر التى سبقت كما يظهر من الشواهد التى أتينا بها من قبيل أنموذجات ولو كان المسلمون استيقظوا من سباتهم وتعلموا من الاوربيين روح التضحية كمـــا يقال ونشروا للاسلام دعاية منظمة وانفقوا عليها عن ســــعة لأمكنهم أن يصـــححوا أباطيل كثيرة ويبددوا أوهاما كثيفة تتعلق بهم وبدينهم وبنبيهم ولاهتدى فى أوربه الى الاسلام خلق كثير اثروا تأثيرا محسوسا فى مجرى سياسته العامة ، ولكننا مع الأسف لا نزال بعيدين عن درجة هذا الانتباه ، ولا يزال أعداء الاسلام يناصبونه القتال فى كل سهل وجبل وفى كل بر وبحر ولا تبرح مكافحة الاسلام لهم هى فى نسبة الخردل الى الجنـــدل ، فمتى

ينشط الاسلام من عقاله ويستأنف همته الاولى .. ؟ هذا ما لا يجيب عليه غير المستقبل » .

ويشير شكيب الى أنه يعمد الى آراء غير المسلمين فيعرضها ويشير الى ما فيها من اعلاء للاسلام واشادة به واعتراف بفضله وقيمته ليكون رايهم ناتجا عن انصاف ونشدان للحق والتزام للتحرى .

ونقول بهذه المناسبة ان هذا الامر جدير أن ينال اهتمام المؤسسات واللجان والمجالس ذات التأثير الحيوى فى هذا المجال فى بلادنا ، لتكون كل مؤسسة منها جهازا اعلاميا حضاريا يقف فى معترك الربع الاخير من القرن العشرين مصححا بعض المفاهيم السائدة عن خطأ لدى كثير من الناس عن الاسلام .

(حياة محمد) لاميل درمنغهم :

كان الدكتور محمد حسين هيكل من أول من تناولوا كتاب (حياة محمد) لاميل درمنغهم بالتعليق والنقد وذلك فى الملاحق الادبية لجريدة (السياسة) ، وكان درمنغهم قد أقام ببلاد المغرب وخالط المسلمين ، وحين طبع كتابه هذا صدره بمقدمة يقول فيها :

« انه لا يوجد واحد فى الدنيا أمكنه أن ينكر وجود محمد ، ولكن وجد من ينكرون بعض ما جاء فى ترجمة محمد فى الكتب العربية ، ومن الناس من يتجاوز الحد فى النقد والاعتراض حتى يقع فى الظلم ، أما أنا فقد جعلت كتابى سيرة حقيقية مبنية على المنابع العربية الأصيلة بدون اهمال جميع ما وصلت اليه تدقيقات المتخصصين فى هذا الموضوع فى الازمنة الاخيرة ، وقد أردت أن أمثل لمحمد صورة مطابقة له بقدر الاستطاعة كما فهمته من الكتب التى قراتها وأمعنت النظر فيها ومن مشافهة الاحياء من المؤمنين به ، فاذا كانت كل حياة بشرية تنطوى على تعليم وكانت كل حادثة تشتمل على مشهد يمثل حقيقة من الحقائق فكم يكون مؤثرا ومفيدا التلاقى مع رجل من الرجال الذين يقتدى بهم جانب عظيم من الانسانية » .

المبشر (زويمر) وعداوته للاسلام :

يعرض الكتاب بعض آراء مبشر اشتهر بعداوته للاسلام وافترائه عليه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وهو المبشر زويمر الذى كتب كتابا عنوانه « الاسلام ، ماضيه ، حاضره ، مستقبله » ، وفيه عرض لمساعى بعض المبشرين فى أقطار الاسلام ، وأهمية هذا الكتاب تبدو فى اثارتها انتباه المسلمين لخطورة التبشير وأهمية التصدى له ولجمعياته المنبثة فى اقطار الاسلام بأشكال متنوعة فى شكل رسالات دينية أو بعثات جغرافية واكثرها مستشفيات ومصاح وملاجىء للفقراء ، ولهذا المبشر طريقة فى التبشير لا تعتمد على المجادلة والمحاورة والاعتماد على البراهين العقلية بل تعتمد على العاطفة واستثمار أمراض الناس وعللهم وكروبهم .

ولم يعد هذا الامر جديدا على المسلمين الآن ، لكنه ما يزال يخطو فى شكل مؤسسات متعددة ، ويحتاج الامر الى زيادة الاكتراث به والتصدى له .

وقد علق شكيب ارسلان على آراء هذا المبشر فقال :

« ونحن نجاوب المستر زويمر وأمثاله ممن فيهم من هو مقتنع بعمله مبتغ وجه الله فى جهده أنه ان كان المقصود دعوة الاسلام الى الانجيل فالمسلمون يؤمنون بالانجيل الشريف وبرسالة المسيح صلوات الله عليه وسلامه ، وان كانت الدعوة هى الانجيل فى الظاهر والسيطرة الاوربية فى الباطن فهذا حلم من أحلام المبشرين ، اذ لا بد للاسلام أن يستعصى على هذه الدعوة ويقف فى وجهها سدا منيعا ، وان كان مقصد هؤلاء المبشرين هو خلاص النفوس و لاشفاق من هويها فى النار الحاطمة والعياذ بالله فالأولى بهم أن يذهبوا الى الوثنيين الذين هم أكثر من المسلمين عددا فى الدنيا وأحوج الى الارشاد بل أن يهدوا الملايين العديدة من انفس المسيحيين الذين نبذوا الدين ظهريا ودانوا بالتعطيل والالحاد وأخذوا يحاربون الكنيسة فعلى الانسان أن يدبر بيته قبل أن يمد يده لتدبير بيت جاره . أما المسلمون فلا حاجة الى تبشيرهم لأنهم يعبدون الاله الحق ولا يشركون به أحدا » .

الاسلام فى الصين : ماضيه وحاضره :

وهى محاضرة للسيد : محمد مكين الصينى يشير فيها الى اختلاف الروايات حول بدء دخول الاسلام الصين هل هو فى سنة ٦٣٧ م قبل وفاة الرسول صلى اله عليه وسلم أو فى سنة ٥٩٩ م قبل هجرته عليه الصلاة والسلام ، وفى رأى حجة التاريخ الاسلامى الصينى البروفسور (جنيون) أن أول وافد من الدولة الاسلامية الى الدولة الصينية أوفد سنة ٦٥١ م فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه .

وقد ذهبت الوفود الاسلامية والتجار المسلمون من العرب والفرس الى الصين فى عهد الخلفاء الراشدين .

ويشير الى آثار الاسلام هناك من ضريح سعد بن أبى وقاص ، ومسجد مدينة كنتون وهو أول مسجد فى الصين أسس وسط القرن السابع تقريبا ، وفيه منار شامخ عليه مسحة من جمال الفن العربى ؛ والمسجد الاعظم فى عاصمة ولاية شانس ؛ ومسجد نانكين الذى بنى سنة ١٣٨٨ م .

أما أسباب انتشار الاسلام فى الصين فيرجعها الى ما يلى :

١ — تجارة المسلمين فى عهد أسرة تان (سنة ٦١٨ — ٩٠٥) وما بعدها .

٢ — الفتوح الاسلامية وخصوصا فى التركستان الصينية .

٣ — تناسل المسلمين .

٤ — اختلاط الناس بالمسلمين وتأثرهم بهم .

ثم يشير الى الجمعيات الاسلامية الصينية والمدارس الاسلامية الصينية والمجلات الاسلامية الصينية ؛ والنهضة الجديدة آنذاك .

وانطلاقا من هذا الموضوع قد يكون لنا أن نبدى رأيا فى هذا الكتاب الذى جمع بين فصوله الاساسية بقلم كاتبه وفصول وتعليقات لشكيب ارسلان ولمترجم الكتاب وغيرهما ، نقول إنه يغطى مرحلة زمنية معينة مضى عليها زمن طويل ، والمعروف أن المؤلف (لوثروب) كان على نية اصدار

ما يغطى مرحلة زمنية تالية لكن القدر لم يسعفه حتى توفى عام ١٩٥٠ كذلك توفى شكيب أرسلان من قبله فى أواخر عام ١٩٤٦ ، وها نحن نجد الاسلام الآن فى ظروف جديدة فى شتى بقاع العالم ، ومن هنا بات لزاما على مفكرى الأمة ورجالاتها وباحثيها أن يكملوا الشوط الذى بدأه هذا الكتاب ، ان الارقام المستنبطة من الاحصاء الذى بالكتاب لا يمكن أن تمثل الصورة الواقعية الآن بحال من الاحوال ، ويشير الى ذلك تأمل التواريخ المثبتة بالكتاب ، هذا الكتاب الذى الف منذ أكثر من خمسين عاما .

ومن هنا يحتاج هذا الكتاب الى كتاب حديث مكمل له يلقى الضوء على حاضر العالم الاسلامى بعد الحرب العالمية الثانية وبعد تغير بعض الايديولوجيات والمعتقدات لدى بعض الشعوب ، وبعد قيام بعض الثورات ، وبعد نهوض بعض المؤسسات الدينية الاسلامية فى شتى البلاد الاسلامية ، ليكون هذا الكتاب الحديث بمثابة تصور واقعى صادق لحاضر الاســــلام فعلا ويكون للمسلم فى ضوئه حق تصور موقعه فى العالم ، وأهمية مثول الهداية الاسلامية كمنار يهدى العالم فى حيرته واضطرابه الآن .

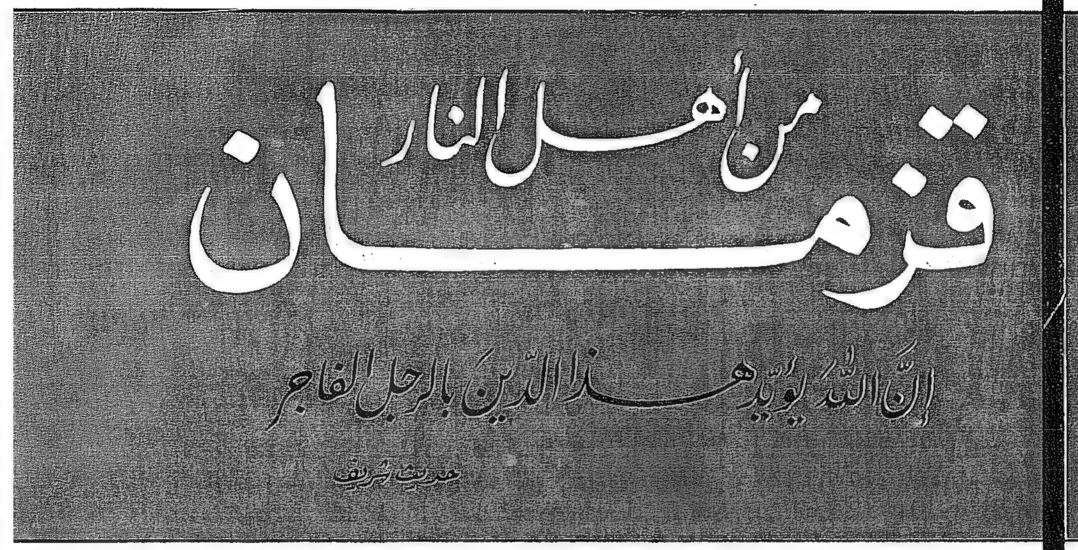
وأخيرا على الرغم من اشارة الفهارس الى نسبة بعض البحوث فى الكتاب الى مؤلفيها مما أضيف الى الكتاب ، فانه كان ينبغى أن تفصل هذه البحوث وترد كملحق للكتاب حتى لا تختلط بأصل الكتاب .

● لقد ارتبط الاسلام بالعرب ، وشهد التاريخ بهذا الارتباط الوثيق ، وقد مرت على الأمة العربية خطوب وحلت بها نكبات ، ولكنها كانت فى أحلك ساعاتها ظلاما ، حريصة على أن تستمر فى حمل الشعلة التى تضىء طريقها نحو النصر ونحو السلام .

الخطاب الأميرى

● اننا لعلى ثقة أن الأحداث التى مرت بها أمتنا العربية خلال هذا الشهر سيكون لها ابعادها الهامة فى مستقبلنا ، وفى تحديد مســـيرتنا المقبلة ، وعلينا أن ننمى ما كشفت عنه من أصالة ، وما أبرزته من روابط ، وما حققته من قدرة .

الخطاب الأميرى



لقد اصيبت قريش فى (بدر) بما أفقدها صوابها ، واذهلها عن الحقيقة، ولم يكن يدور بخلد أقطابها أن هذه (القلة) المؤمنة ستظهر على تلك (الكثرة) الكافرة ، وما دام للثأر مكان فى البقية التى أفلتت من سيوف الملائكة ، فلا بد أن يكون رد الفعل عنيفا أشد ما يكون العنف ، وإلا ضاعت هيبة المتجبرين فى الأرض ، والمتحكمين فى مصير العرب ، بما أوتوا من كثرة فى الرجال والأموال ، ووفرة فى البطش والسلاح .

أوامر النبى القائد

الحرب على الأبواب ، وعند (أحد) كان الموعد ، واتخذ محمد الرسول المجاهد للأمر أهبته ، وحشد كل طاقات الأنصار والمهاجرين للزمان والمكان ، وصف صفوفه ، واتجه الى الرماة ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

احموا ظهورنا ، فانا نخاف أن نؤتى من ورائنا ، والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، واذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم ، فلا تفارقوا مكانكم وان رأيتمونا نُقتَل فلا تعينوننا ، ولا تدفعوا عنا ، اللهم إنى أشهدك عليهم ، وارشقوا خيلهم بالنبل ، فان الخيل لا تقدم على النبل .

والتفت النبى القائد الحكيم الى رأس الرماة عبد الله بن جبير ، وقال له النبى : انضح الخيل عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ، واثبت مكانك ، إن كانت ــ الدائرة ــ لنا أو علينا .

وأعاد النبى على الجميع أبلغ ما يكون القرار ، وأبرع ما يكون الأمر فقال النبى : لا يقاتلن احد حتى آمره بالقتال .

أوامر واضحة صريحة ، نطق بها القائد الأعلى ، وسمعها الرماة منه ، وهم لا يزالون على ذكر مما أظفرهم به رب العزة ، فى أول لقاء حربى مع أعداء الله وأعداء رسوله ، على ماء (بدر) ، فلم يخذلهم أنصارا ولا مهاجرين وارتفعت راياتهم وبات المخلفون يعضون بنان الندم على انهم لم يغنموا ، مثلما غنم إخوانهم . فلا أقل من أن يكون لهم نصيب فى (أحد) .

واختلفت النوايا المستورة فى كهوف الغيب ، أما المؤمن فقد أصر على ما هو عليه من بذل الروح رخيصة فى سبيل الله لا سواه ، وأما الكافر فهو

كان النصر الذى احرزه المسلمون فى غزوة (بدر) حافزا لانتقام قريش منهم فى (احد) ، بعد أن ظفر رسول الله بالغنائم والأسرى ، وما كان حرصه على الاحتفاظ بهذا النصر باقل من حرصه على اليقظة التامة لما يدبره ضده العدو الموتور سرا وجهرا ، ولهذا اعد للمعركة ما تتطلبه لمواجهة كافة الاحتمالات المرتقبة ، عن وعى كامل باصول القتال ، وادراك كامل للاستراتيجية المعاصرة ، مع الرعاية الربانية له فى كل ما ينوى ويقول ويفعل ، نبيا ورسولا ، صدقه ربه جل جلاله بقوله تعالى :
((وكان حقا علينا نصر المؤمنين)) .

للأستاذ : محمد محمود زيتون

مع الشيطان ، وقد نفخ فى منخريه ، فلم يبرح للطغيان عبدا مطيعا ، ينشد المال والجاه . وأما المنافق فقد ظن بمنطقه الملتوى المنحرف انه يستطيع أن يخدع الله ورسوله ، ليسلك الطريق المستقيم بين الحق والباطل ، وقد غاب عنه ((**فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال**)) ، وغاب عنه أيضا ((**إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار، ولن تجد لهم نصيرا**)) حذّر الله سبحانه منهم رسوله ، فقال : ((**هم العدو فاحذرهم**)) .

لا مكان للمنافقين

وكان على رأس المنافقين يومئذ عبد الله بن أبىّ بن سَلول ، وقد جاء بكتيبته مددا لجيش المسلمين ، وفى نفسه ما فيها ، ولكنه لا يعلم أن الله بكل شىء عليم ، وأنه قد أطلع رسوله على ما هو خاف عليه ، فرد قزمان بمن معه، حرصا منه — وبارشاد من السماء ، وفى سرية تامة — على وحدة الصف ووحدة الهدف .

فهل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخشى أن يكثر المقاتلون معه فاذا تم لهم النصر المأمول ، ظفروا بغنائم لم يكونوا يستحقونها ؟ كلا وهل كان عليه السلام يخشى أن يكون ايمان المقاتلين معه متفاوتا ، فيكون الضعف عند بعضهم اشبه بالعدوى تضر بأقوياء الايمان ، من المهاجرين والأنصار ، وهم الرعيل الأول من الاسلام ؟ كلا .

لم يكن النبى — حينما رد المنافقين — إلا منفذا لما أطلعه الله عليه من أسرار النفاق التى لا تحيط بها الحواس ، ((**ولو نشاء لأريناكهم**)) ، وكيف يرغب فى احدى الحسنيين من كانت الدنيا كل همه ، ومن كان سبيله اليها حب الظهور والرياء والسمعة والطمع فى الزائل من أعراضها ؟

ثم ان الحروب الاسلامية التى يخوضها رسول الله والذين معه ، ليست

مجرد (قتال) ، وإنما هى (جهاد) بكل ما تحمله هذه اللفظة العملاقة من مفاهيم (الجهـــد) و (الاجتهاد) و (المجاهـــدة) و (الجـــد) فى الأمر ، و (الجود) بالنفس والمـــال . ذلك الجهاد هو الســـمة المميزة للقتال باسم الاسلام ، حافزه الايمان بالله ، وهدفه إعلاء كلمة الله ، وسبيله الوحيد الفريد هو سبيل الله الصافي من كل شائبة الخالى من كل مكدر للمثل العليا والقيم الانســـانية السامية ، فهـــو خط مســـتقيم ، اى أنه أقصر مســـافة بين نقطتين ، هما الحافز والهدف ، ذلك هو سبيل الايمان والمؤمنين ، وليس النفاق والمنافقون منه فى شىء .

لكل فريق صـــفوف

واصطف الفريقان للقتال ، وجاءت نســـاء قريش يحرضن الرجال ، ويذمرنهم للثأر من محمد وأصحابه لقتلى (بدر) ، والعير التى غنموها على اثر المعركة ، واقبلن بالدفوف ينشدن الأناشـــيد ، ويعيرن كل متخلف من رجالهن بما يدفعه الى النار دفعا ، من غير تدبر للعواقب .

أما جانب المسلمين ، فما كان ثمة مجال لتحريض الرجال على القتال من النساء ، اللهم الا هؤلاء الذين يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، ويتلكأون عن الانخراط فى الصفوف المجاهدة ، وبذلك دلت على نفسها حية البحـــر ، وكانوا يظنون الا يكشف الله أضغانهم .

قال عاصم بن عمر بن قتادة : « كان عندنا رجل غريب لا ندرى ممن هو ، فيظهر الاسلام ، يقال له (قزمان) . وكان ذا بأس وقوة ، وكان كلما ذكروا اسمه للنبى قال : إنه من أهل النار » .

ترى هل كان (قزمان) ــ أو اى أحد غيره ــ يعلم أن الناس فيما بينهم سيختلفون حول شخصيته ، حتى فى (الغزوة) التى اشترك فيها (أحد) أم (خيبر) .. فان كل دارس مستوعب يستطيع أن يحيط بمعالم حقيقتـــه ، مما يضيفه بعضهم الى ما يقوله البعض الآخر ، وصولا الى العبرة التى تجتاز القرون الطوال ، لتكون ذكرى صلبة « **ان الذكرى تنفع المؤمنين** » .

على هامش النسب

كان (قزمان) حليفا لبنى (ظفر) ، عديدا فيهم ، وليس منهم ، وبنو ظفر ــ كاحدى دور الأنصار ــ ــ لم تكن لتلفظ غريبا عنها ، لأنها اذا نسبته لم تجد له نسبا ، بل ابقته على هامشها ، لأنه ــ كما يقول عاصم ــ « كان ذا بأس وقوة » .

لهذا وحده ، كان وجوده فى بنى ظفر ، وهم يعلمون انه مجهول النسب فى قوم لا يتعامل مجتمعهم البدوى الا بالنسب الشريف ، فيشعر فيه (قزمان) دائما بأنه ساخط متذمر ، لا يجد ــ مع ما هو فيه من بأس وقوة ، وشجاعة قتالية خارقة ــ سبيلا للانضمام الى حظيرة الاسلام .

فهل يكتفى (قزمان) من هذا بغير « ادعاء الاسلام » : يظهره للقوم الذين يؤوونه ، مجاراة لهم ؟ ولكنه لا يجرؤ على الارتفاع الى مســـتواهم فى العقيدة ، لأنهم ذوو حسب ونسب ، ولهم آباء وأمهات ، ومن أصلابهم ينفرط عقد البنين والبنات ، فتتماسك الأصول والفروع ، وتقوى الأواصر والروابط .

من أين إذن لقزمان هذا الشعور الاجتماعي ، وهو الذي يعيش بين بني (ظفر) ، بلا زوجة ولا ولد ، ولا يدرى أحد منهم ولا من جيرانهم ، له أما ولدته ، أو أبا يعرف به ، أو قبيلة ينتمى الى فخذ لهـا أو بطن ، وان كانوا قد اختلقوا له أبا فقالوا : قزمان بن الحارث .

ومع هذا كان قزمان لأهل الدار حافظا محبا ، وعنهم منافحا ومداعبا ، وعليهم غيورا ، فان كان هذا هـو (الوفاء) فما أوفى الكلاب لمن أطعمها وعطف عليها ، بما ترده من جميل ، ومن هنا ضربوا المثل فقالوا : « أوفى من الكلب » .

حارب معهم بكل ما أوتى من بسطة فى الجسم ، وقدرة على القتال ، فخاض معهم حروبهم التى دارت بين الأوس والخزرج ، شجاعا لا يهاب الموت ، ولا يخاف على حرمان قريب له فى الدنيا ، اذا هو ترك الدنيا .

المسلمات يعيِّرن قزمان

ونادى منادى الجهاد ليوم (أحد) ، وخف له المسلمون أنصارا ومهاجرين ، وأصبح (قزمان) : فارتعدت فرائصه ، لم تسعفه قوة البدن ، ما دام القلب رعديدا جبانا ، والوجدان فارغ من شحنة ، لو كانت عند غيره ، لولّدت حرارة الإيمان بهدف نبيل .

وتعجبت نساء الأنصار من أمر (قزمان) ، فرُحْن يعيِّرنه بالجبن والخور ، وينعتنه بالأنوثة ، وان كنّ هن أشد منه رجولة وبطولة . وأخذت نساء بنى ظفر يتضاحكن . ويتهكمن به ، حتى أحفظنه ، فلم يلبث أن حمل كنانته ، وأتى رسول الله ، وهو يسوى صفوف المجاهدين .

وابى الرياء الذى يملأ على (قزمان) جوانب نفسه الا أن يكون موضعه فى الصف الأول . فانتهى اليه ، وكل من عرفه فى حروب (بنى ظفر) ينظر اليه بالاكبار والاجلال لشجاعته وحسن بلائه .

واستمع (قزمان) الى أوامر النبى ، وهو يلقيها على المسلمين ، ويزودهم بما لديه من خبرة القائد المحنك ، ويحذّرهم من المخالفة ، وهم سامعون له ، والله وحده أعلم بما فى نية كل واحد منهم ، حتى دارت رحى القتال ، وحمى الوطيس .

كان لواء قريش لبنى عبد الدار ، واذا بأول سهم من صفوف المسلمين ينطلق من كنانة (قزمان) ، والجميع من حوله يعجبون للنبال التى يرميها كأنها الرمال ، ويجأر هو بصوته كالجمل الضخم ، ليقذف الرعب فى قلوب المشركين ظاهرا ، وهو إنما يريد ان يلفت اليه الانظار ، لتكون شجاعته مضرب الأمثال ، ويفعل بسيفه الأفاعيل ، ليكون (قزمان) ملء السمع والبصر جميعا .

احموا ظهورهم يا رماة

الرماة .. لا يزالون — كما أمرهم النبى — يحمون ظهور المسلمين ، ويرشقون بالنبال خيول المشركين ، فلا تكاد تقع على فرس أو جمل حتى تولى الأفراس والفرسان هاربة أو صريعة ، والمسلمون يشدون على كتائب الأعداء والخيول — كما أخبرهم النبى بحق — لا تقف أمام النبل ، وهو يتساقط من سهام المسلمين ، كالمطر المنهمر .

ويتهاوى أصحاب لواء الشرك من بنى عبد الدار ، واحدا بعد واحد ، ويكون (قزمان) وحده قد قتل منهم (كلاب بن أبى طلحه) و (أبا يزيد بن عمير) و (القاسط بن شريح) و (صواب الحبشى) و (خالد بن الأعلم العقيلى) و (هشام بن أبى أمية بن المغيـرة المخزومى) و (الوليد بن العاص ابن هشام) حتى بلغ عدد المشركين القتلى ، من سهام (قزمان) وحده تسعة ، أما هو فقد حمل عليه الرمح أحدهم ، فسلك فى غير مقتل ، ولكن أصابته الجراحة من ساعته ، فما استطاع لها دفعا .

ولم يكتم (قتادة بن النعمان) الأنصارى إعجابه بهذه الشجاعة النادرة من (قزمان) وتمنى كل مؤمن فى صفوف النبى أن لو كان له ما لقزمان من روعة فى القتال ، وقدرة على إصابة الرجـال ، وحسده (قتادة) حتى على الجرح الذى أصابه ، وتوقع له الشهادة فى سبيل الله بعد قليل ، حيث قال قتادة : أبا الغيداق ، هنيئا لك الشهادة .

قزمان : إني والله ، ما قاتلت يا أبا عمرو على دين ، ما قاتلت الا حفاظا (غضبا وخوفا) أن تسير قريش الينا ، حتى تطأ سعفنا (نخلنا) .

بطل ... ولكنـه منافق

لم يكن للناس حديث فى (المدينة) فى صباح ومساء إلا عن (قزمان) ، والمعركة التى شهدها ، فأخبروا النبى عنه ، بما رأت عيونهم ، وسمعت آذانهم ، وذكروا عنه انه كان أبرز المقاتلين ، وأشجع الشجعان ، وانه قتل وحده تسعة رجال ، أكثرهم من أصحاب لواء المشركين ، وما كان أحـدهم ليشك انه شهيد ، وأن الجنة قد فتحت أبوابها له ، تتراقص له الحور العين من شرفات قصورهن ، كأنهن اللؤلؤ المنثور ، أما النبى عليه السلام . فكان له قول آخر غير أقوالهم جميعا عن (قزمان) .

النبى : انه من أهل النار .

ـــ : (سرا) كيف ؟ يا للعجب !

وكتموا فرادى وجماعات قول النبى عن (قزمان) وراحوا يراجعون فيما بينهم وبين أنفسهم معايير الشهداء ، علّهم يصححون خطأ وقعوا فيه ، حسبما تعلموا من نبيهم المعلم ، وقائدهم الملهم ، غير مرتابين قيد شعرة ، فى أى قرار يصدر عنه .

أما عن دخول (قزمان) الجنة ، فلعل درسا جديدا جاءهم به النبى فى تلك الغزاة ، ستضيف الى ما عندهم معيارا جديدا للاستشهاد فى سبيل الله .

لقد أثبتت الجراحة (قزمان) ، ونزفت منه الدماء ، ولا سبيل الى وقف جرح ينفجر من صاحب جسم ضخم كقزمان ، فاحتملوه الى دار بنى ظفر ، لعل

رجلا ـ أو امرأة ـ هناك ، يمكن أن يوقد نارا ليكويه بها ، فتلتئم الجراح . ويمتنع النزيف ، وهو مع ذلك لا يشكو ولا يتوجع ، بل كلما دخل عليه أحد تمنى فى نفسه أن يتلوه عشرات مثله ؛ ففى كثرة العائدين له إشباع للنفاق ، وهو نقيصة فى نفسه انطوت عليها ، وارضاء لهوى من الأهواء المنزوية ؛ وهو الشعور بالحرمان من كثير ، دون غيره فى المجتمع الذى يعيش فى كنفه .

ويدخلون عليه أفرادا وجماعات ، وعلى كل لسان تهنئة بالبلاء الحسن الذى أبداه فى القتال ، ويكتم (سهل بن سعد) قول النبى عن (قزمان) : التقى هو والمشركون . ومع ذلـك يمضى الى (قزمان) ؛ وهـو جريح فيسأله :

سهل : والله لقد ابليت اليوم يا (قزمان) فأبشر .
قزمان : بماذا أبشر ؟ فوالله ما قاتلت الا على أحساب قومى ، ولولا ذلك ما قاتلت .
ــــ : بشرناك بالجنــة يا (قزمان) ؟.
قزمان : (فى سخرية) جنة من حرمل ، والله ما قاتلنا على جنة ولا على نار إنما قاتلت على أحسابنا .
ــــ : ؟ . . . ؟ . . . ترى يسخر بنا أم بنفسه ؟!.

مقـــارنة

وعقدوا المقارنة بين ما يقوله النبى عن (قزمان) بأنه « من أهل النار » وبين ما شهدوه بأنفسهم من بلائه البادى للعيان . . وأعماق دخيلته التى تطفح إلحادا وكفرا . وتنضح تهكما وسخرية ، فهو ـ بلسانه ـ يقرّ اقرارا ـ على رءوس الأشهاد ـ بأنه لم يقاتل ـ حين قاتل ـ دفاعا عن دين الاسلام ؛ الذى عليه قومه الأنصار ؛ الذين قال فيهم شاعر الأنصـار (حسان بن ثابت) :

سمّاهمـو الله أنصـارا لنصرهمـو
دين الهدى ، وعوان الحرب تستعر

لم يقاتل (قزمان) فى سبيل الله ، ولا لإعلاء كلمة الله . ولا إيمانا بأن الجهاد فريضة لا فكاك منها ، ولا ثقة منه بأن الجنة مثوى الشهداء الأبرار . وأن النار مأوى الناكصين على أعقابهم ؛ الذين يولون الأدبار عند الزحف . . ولا إرضاء منه للكرام الذين آووه وأكرموه وعطفوا عليه . . لا لكل هذا ولا لبعضه قاتل (قزمان) . وانما هو المنافق المرائى ذو الوجهين ، الذى استهدف القتال على (أحساب) بنى (ظفر) ، ومناصرتهم كقوم يؤوونه ؛ ويحمونه من كل أذى ، وإلا تخطفته الطير ، وناوشته الرماح ؛ فهم له أهل ما دام ليس له أهل ؛ وحسبه هذا من شعور ينطوى عليه ، فكيف يعـدو هذا الحد الى ما وراءه ، وهو عبد أحاسيسه ، التى فرضت عليه قيود العزلة ، حتى لم يعـد قادرا على مداعبة خياله ، ولو مرة واحدة برغبته فى التأهل ، فمن هو ذلك المجنون فى العرب الذى يرضى بهذا الغريب له صهرا . . !

... واشتدت به الجراحة

وتمكن الشعور بالعزلة من (قزمان) حتى لم ير لنفسه منه مهربا .. لقد عاش ما عاش فى عذاب لا ينفك عنه مصبحا وممسيا ، رائحا وغاديا ، أما وقد بلغ قمة الرضى عن نفسه ، بما اداه من القتال فى صف (بنى ظفر) ، والحمية لشرفهم ومجدهم ، والحفاظ على مفاخرهم ومآثرهم ، والذود عن ارضهم ونخلهم ومواشيهم ، وتلك هى ابعاد الحياة الدنيا التى لا وراءها فى نظره الكليل ، فذلك حسبه من مناصرة لهم ، غير طامع فى جنة يبشرونه بها أو خائف من نار يحـــذرونه منها ، انه قاتل عن الأحســـاب ، ولم يقاتل عن المبادىء والمثل والقيم ، التى بثها فى العرب دين الاسلام ، فتنطلق أرواحهم من إسارها لتسبح فى ملكوت الفداء ، وتعطى وتسخو ، أنبل ما يكون العطاء والسخاء .

ولم يلبث (قزمان) غير قليل ، فقد اشتدت به الجراحة ، ولم يفلح معه العلاج ، واقبل المساء ، وانقطع عنه عواده ، حتى اهل الدار ، فقد وضعوا قرار النبى عنه فى كفّة ، وما فعله قزمان من أجلهم فى كفة أخرى ، فرجحت عندهم كفة النبى المصطفى ، فتركوه يلقى مصيره بما يشاء الله .

وامتدت يد (قزمان) الى كنانته ، ودمه ينزف ، ووجهه يأخذ فى الشحوب رويدا رويدا ، وتنتابه قشعريرة وإغفاءة ، ما بين الفينة والفينـــة ، فكيف يسحبه الموت سحبا ، وقد فعل سيفه الأفاعيل غداة (أحد) . الم يبشّروه بالشـــــهادة ؟.

فليكن رصيده عنـــد بعضهم — ولو القليل منهم — وهمـــا شائعا بأن (قزمان) شهيد ، أو على الأقل ، أن يكون لهذا (القزمان) ذكر على أى نحو يكون عليه هذا الذكر ، بخير أو بشر . المهم أن يكون ذكر سيرته أقصى مراده .

ولم يعد (قزمان) يصبر ، فقد طال به الوقت ، وهو فى الحقيقة لم يطل ، فأخذ سهما من كنانته المشـــحونة ، وقطع به رواهن ذراعه من الباطن وجعل يتوجأ به نفسه ، استعجالا منه للنهاية المحتومة لكل حى ، فلما ابطأ عليه الرجاء ، ساعفته البقية الباقية من تفكيره المنهار ، وهو يتداعى من كل جوانبه ، كأنه جدار يتصدع من غير نجدة ، وامسك بسيفه المتمدد الى جواره كالثعبان القتيل ، فوضع نصله بالأرض ، وتحامل على سيفه ، حتى خرج من ظهره ، فنحر نفسه ، ولفظ آخر انفاسه ، من غير توجع ، فاذا به جثة هامدة .. الى النار .. وبئس القرار .

وصدق رسول الله

شاع الخبر وذاع ، وعلم به الحاضر والبادى ، وأسرع (أكثم الخزاعى) الى رسول الله :

اكثم : يا رسول الله ، صدق الله حديثك ، انتحر (قزمان)، فقتل نفسه .

النبى : **قم يا (بلال) فاذن فى الناس انه لا يدخل الجنة الا مؤمن ، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .**

ويتلوه آخر ، ليخبره أيضا بقزمان فيقول النبى أيضا .

النبى : الى النار .

ــــ : يا رسول الله ، الرجل يقاتل شجاعة . ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، اى" ذلك فى سبيل الله .. ؟

النبى : **من يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله .**

ــــ : .. ؟ .. ؟ ... ؟.

النبى : إن أحدكم ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس ، وهو من أهل النار ، وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس ، وهو من اهل الجنـــة .

ولم يكد النبى عليـــه الســـلام يتم حديثه حتى جاء أحـــدهم يخبره عن (الأصيرم الأشهلى) الذى كان يأبى الاسلام على قومه ، فلما نادى منادى الجهاد صباح اليوم ، سأل عن قومه ، فقيل له : خرجوا مع رسول الله الى (أحد)، ، فحدثته نفسه بالاسلام ، وحمل سلاحه وركب فرسه ، ودخل فى الصفوف ، وقاتل حتى أصابه جرح قاتل ، فلما هدأت المعركة تفقد النـــاس قتلاهم ، فوجدوه من بينهم يجود بروحه ، فتعجبوا من أمره ..

ــــ : ما جاء بك ! مناصرة لقومك أم رغبة فى الاسلام ؟.

الأصيرم : لا والله ، بل رغبة فى الاسلام ، آمنت بالله ورسوله ، وقاتلت حتى أصابنى ما أصابنى ، ومات بين أيديهم .

النبى : إنه من أهل الجنة .

ــــ : ولم يصل" ركعة واحدة فى حياته ؟!

وشتان بين (الأصيرم) ، و .. (قزمان) .



اللواء : محمود شيت خطاب

المسجد المهجور الذى تحدثت عنه فى مقال سابق ، أصبح اليوم معمورا بالمصلين وبذكر الله .

وأصبح الذين يجاورون المسجد ، يسمعون صوت المؤذن خمس مرات كل يوم ، يدعوهم الى الصلاة ويذكرهم بموعدها .

وأصبحت الصلوات الخمس تقام فيه جماعة ، وأصبح المصلون يجدون من يجيبهم على أسئلتهم الدينية ، وينصتون الى امام المسجد يعظهم ويرشدهم الى طريق الحق والخير .

وقد بدأ المسجد يعمر بالمصلين بالتدريج : كان المصلون قليلين أولا ، ثم تزايد عددهم ، حتى أوشك أن يزدحم بهم المسجد .

والظاهرة التى تستحق الالتفات ، أن أكثرية المصلين من الأطفال والشباب ، وأن اقليتهم من الطاعنين فى السن .

وهذه الظاهرة تشرح الصدور المؤمنة ، وتضاعف من آمالهم فى المستقبل الزاهر بالايمان .

والواقع ، أن النفوس على استعداد لتقبل الهداية ، ولكن أين من يدعو الى الله على هدى وبصيرة ؟ .. أين ..؟

ان النفوس قد (مجت) الانحلال والتفسخ ، وقد كرهت انحدار النشء الجديد الى مهاوى الرذيلة ، فقد لمست (عمليا) محاذير الابتعاد عن الفضيلة والانغماس فى الرذيلة ، ووجدت (التيه) والضياع الذى يعانيه الشباب لبعدهم عن الله ولقربهم من الشيطان ، فهى بحاجة شديدة الى من يعيدها الى طريق الحق والخير والنور .

ملت تلك النفوس حياة التشرد ، وتاقت الى حياة الاستقرار ، وكرهت طريق الاعوجاج وأحبت طريق الاستقامة .

ولكل (فعل) كما هو معروف (رد فعل) ، وحياة شباب الهيبز والخنافس يقابلها رد فعل فى حياة التقوى والورع .

والمساجد تزدحم عادة بالشباب فى أيام الهزات العقيدية والخلقية كرد فعل للانحراف والمبادىء الوافدة المستوردة .

ان الشباب اليوم بحاجة ماسة الى من يقول لهم : من هنا طريق الحق والخير والايمان .

والمسجد المعمور خير مكان للدلالة على هذا الطريق .

— ٢ —

كيف أصبح المهجور معمورا ؟

عين (امام) للمسجد ، يصلى بالناس ، ويخطب خطبة الجمعة .

وهذا الامام شاب فى مقتبل العمر ، تخرج فى معاهد دمشق الدينية ، ولهذه المعاهد سمة خاصة بها تكاد تكون قاعدة أساسية ، هى : أن خريجيها متدينون .

وقد جاء هذا الشيخ الشاب ، وفى نفسه تصميم على العمل فى خدمة الدين الحنيف .

وبدأ يزور الناس فى بيوتهم ، ويحثهم على زيارة المسجد المهجور ، وقد استجاب بعض الناس لدعوته ، وأعرض عنها آخرون .

وفى خطبة الجمعة الأولى ، حث السامعين على استصحاب أولادهم الى المسجد لحضور صلاة الجمعة والصلوات الأخرى .

واستجاب بعض الناس لدعوته ، وأعرض عنها آخرون أيضا .

وازداد عدد المصلين فى الجمعة التالية ، وظهر عنصر الأطفال والشباب بين المصلين .

واخذ عدد المصلين الكهول والشيوخ يزداد ، ولكن ازدياد عدد الاطفال والشباب كان أكثر من ازدياد الكهول والشيوخ .

وقد صليت الجمعة الأخيرة فى مسجد القرية المعمور ، فكان عدد الاطفال والشباب أضعاف عدد الكهول والشيوخ .

أخذ الأطفال يحثون اخوانهم من الأطفال على حضور المسجد .

وأخذ الشباب يحثون لداتهم من الشباب على حضور المسجد .

وانتهز امام المسجد هذه الفرصة ، فاخذ يلقى دروس الوعظ على الأطفال والشباب وهم الأكثرية وعلى الكهول والشيوخ وهم الأقلية .

— ٣ —

كان المسجد وسخا جدا ، فاصبح نظيفا .

وكانت شبابيك المسجد تغص ببيوت العناكب ، وكانت رائحة المسجد عفنة ، وكانت جدرانه مجللة بالأوساخ .

وقد أردت أن أفتح أحد شبابيك

المسجد فى أيامه الأولى ، فتلطخ ذراعي بنسيج بيوت العنكبوت .
وكانت فضلات الفئران برائحتها الكريمة تملأ جنبات المسجد وتنفذ الى خارجه .
وكان الذى يمر بالمسجد يشم رائحة كريهة وهو خارج المسجد .
وكانت أرضية المسجد قذرة الى أبعد الحدود .
وكان سجاد المسجد عفنا وسخا ، يلوث ثياب المصلين .
وكانت حديقة المسجد مليئة بالأشواك والأدغال .
وكان صحن المسجد أشبه شىء بأماكن القمامة .
وشمر الامام الشاب عن ساعديه ، فأصبح المسجد مثالا للنظافة ، وأصبحت شبابيكه نظيفة جدا ، وأصبح السجاد الذى فيه نظيفا ، وأصبحت حديقته غناء .
أصبح المسجد مكانا مناسبا لاجتماع الناس نظافة ونظاما وترتيبا، وأصبح الذين يؤمونه يتعلمون منه وفيه النظافة ليطبقوها فى بيوتهم .
وأصبح المسجد مكانا مناسبا لسماع كلمة الدين ، فليس من المعقول أن تأمر الناس بالنظافة ، والنظافة فى الاسلام واجب مقدس ، ثم يكون المسجد مثالا للقذارة والارتباك .
والمهم فى الأمر ، أن الامام الشاب استفاد من الأطفال والشباب ، لتبديل المسجد من حال الى حال .
وقد قام هؤلاء بتنظيف المسجد وتعميره بحماس شديد ، طلبا لما عند الله من أجر وثواب .
وقد رأيتهم حريصين على القيام بخدمة المسجد ، يطالبون بها الامام كل يوم .
كان المسجد مقبرة ، فأصبح جنة .
وكان يسيء الى سمعة المسلمين، فأصبح موضع اعتزازهم .
والفضل فى ذلك للامام الشاب .

— ٤ —

الداعية روح الدعوة ، ونحن بحاجة ماسة الى الدعوة فى (الداخل) كحاجتنا الى الدعوة فى الخارج .
وقد يعمل رجل الدين العالم العامل المجاهد فى خدمة الدين وفى الدعوة الى الله ، أعمالا فذة لا تستطيع النهوض بها المدارس والمعاهد والجامعات .
والمهم هو اختيار رجل الدين الصالح ، ليتولى ادارة المسجد وليجعل من المسجد المهجور معمورا .
وقد أحسن المسئول الدينى فى البلد الشقيق الذى أحل فيه الاختيار، فجزاه الله عن المسلمين فى القرية النائية خير الجزاء .
وأملي وطيد فى أن يعمر المساجد المهجورة الأخرى فى القرى النائية بمثل هذا الامام الشاب .
لقد تعلمت من هذا الشاب المعمم درسا لن أنساه ، هو أن الداعية المخلص يستطيع أن يفعل كثيرا من الأمور التى هى بحاجة الى المال بدون مال !
فقد أدخل فى المسجد تحسينات كثيرة تساوى الكثير فى حساب المال، ولكنه أنجز تلك التحسينات بالأطفال والشباب .
بدأ ببناء نفوس هؤلاء وتطهيرها ، فأصبحت مستعدة لعمل كل شىء .
كتب سفير أمريكى الى حكومته سنة ١٩٦٢ : ((ان عمامة بيضاء في افريقية السوداء أخطر من قنبلة ذرية)) .
وصدق هذا السفير ، فالقنبلة الذرية تدمر الرجال ، والعمامة البيضاء تبنى الرجال .
بقى أن يعرف المعممون مكانهم ومكانتهم ، فهم ورثة الأنبياء ، وهذا أعظم منصب فى الدنيا .
وبقى عليهم أن يعملوا على أن يكونوا ورثة الأنبياء حقا .



للأستاذ : اسماعيل سالم عبد العال

يعتبر موضوع الاسرائيليات فى التفسير والحديث أمرا بالغ الخطورة لأنه يتعلق بأقدس كتاب وأخلد عقيدة ، القرآن الكريم والعقيدة الاسلامية .

والكثير من التفاسير وبخاصة المأثور منها قد ذكرت الاسرائيليات على تفاوت بينها قلة وكثرة ونقدا لها وسكوتا عنها ، وقد أشار شيخ الاسلام ابن تيمية الى هذا فقال « فى التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة ، مثل الحديث الذى يرويه الثعلبى والواحدى والزمخشرى فى فضائل سور القرآن سورة سورة فانها موضوعة باتفاق أهل العلم ، والثعلبى هو فى نفسه كان فيه خير ودين « وكان حاطب ليل ينقل ما وجد فى كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع « والواحدى صاحبه كان أبصر منه بالعربية لكنه هو أبعد عن السلامة واتباع السلف ، والبغوى فى تفسيره مختصر من الثعلبى ، لكنه صان نفسه عن الأحاديث الموضوعة والآراء المتبعة ، والموضوعات فى كتب التفسير كثيرة » (١) ..

ودلالة هذا ، اننا نحتاج الى دراسة عميقة متأنية للتفاسير والروايات المأثورة بحيث نجد أمامنا هذا الحشد الهائل من التفاسير التى اكتظت بالاسرائيليات قد نقيت وخلت منها تماما ، وهو عمل يحتاج الى مؤسسة قرآنية أو جماعة متخصصة تتضافر جهودها على الكشف عن هذه الاسرائيليات ونقدها وإبطالها وبخاصة فى عصرنا هذا الذى أصبح التقدم العلمى والتكنولوجى من أكبر الحوافز التى تجعلنا ــ نحن الدارسين للتراث الاسلامى ــ نشعر بحمل ثقيل على كواهلنا طالما كانت هذه الاسرائيليات فى كتب التفسير وبعض كتب الحديث وغيرها . ولن نهنأ حتى نقدم للمسلمين تراثا يغزو القلوب بدون تردد ، وفكرا تستسيغه النفوس بدون تشكك

وتفسيرا تفهمه العقول بغير تناقضات لأبسط الأسس العلمية .

وبعد دراستي لتفسير ابن كثير مع مقارنته ببعض التفاسير الاخرى أرى أن الحافظ ابن كثير هو أحد المفسرين القلائل الذين هاجموا بشدة هذه الخرافات الاسرائيلية وحذر منها كثيرا في تفسيره وفي كثير من كتبه منذ ما يزيد على الستمائة عام .

ولقد كان هجوم ابن كثير على هذه الاسرائيليات قائما على أساس علمي سليم ، وتفنيدا لها من حيث السند والمتن ، مؤكدا لنا أن غالب هذه المرويات كذب وافك مبين . يقول ابن كثير : « ثم ليعلم أن أكثر ما يتحدثون به غالبه كذب وبهتان ، لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل وما أقل الصدق فيه ، ثم ما أقل فائدة كثير منه ولو كان صحيحا » (٢) .

وهي كلمة حق يراد بها حق ، ما اقل الصدق في الاسرائيليات ثم ما اقل الفائدة المرجوة منها ولو كانت صحيحة لأن ديننا قد كمل في عقيدته وشريعته (اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) (٣) .

موقف ابن كثير من الاسرائيليات

وقد عرض ابن كثير في مقدمة تفسيره وفي ثناياه — موقفه من الاسرائيليات وبين حكمه فيها في اكثر من وضع مؤيدا ما ارتآه بما ورد في كتب السنة الصحيحة . ذكر عن الامام أحمد فيما رواه عبد الله بن ثابت قال : « جاء عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله اني مررت بأخ لي يهودي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة . الا اعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم،قال عبد الله بن ثابت قلت له : الا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد رسولا قال : فسري عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى — عليه السلام — ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ، إنكم حظي من الأمم ، وانا حظكم من النبيين » (٤) .

وينقل عن الحافظ أبي يعلى فيما رواه عن جابر — هذا الحديث — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا وانكم اما أن تصدقوا بباطل واما أن تكذبوا بحق وانه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له الا أن يتبعني » . وفي بعض الاحاديث : « لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما الا اتباعي » (٥) .

والنهي عن الأخذ من أهل الكتاب في هذين الحديثين واضح ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يتغير وجهه حين يسمع عرض عمر لقراءة ما كتب له من التوراة عليه ، وقد تكون هذه الجوامع تهذيبا للنفس ، أو حثا على الاخلاق ، أو شيئا يرضي رسول الله في ظن عمر بن الخطاب . لكن هذا التلقي عن أهل الكتاب مرفوض أصلا . أما الحديث الثاني فالنهي فيه صريح .

وفي موضع آخر من التفسير يذكر رواية للامام أحمد عن جابر بن عبد الله (ان عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب اصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم قال — فغضب وقال : امتهوكون (٦) فيها يا بن الخطاب ؟ . والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية . لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو باطل فتصدقونه . والذي نفسي بيده لو ان موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعني » (٧) .

وعمر — رضي الله عنه — لا يقبل أمرا يغضب الله ورسوله ، ومن ثم

فقد استجاب لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعى هذا الدرس جيدا حتى جاءته الخلافة فوقع لرجلين ما حدث له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« روى الحافظ أبو بكر أحمد بن ابراهيم الاسماعيلى باسناده أن رجلين كانا بحمص فى خلافة عمر رضى الله عنه فأرسل اليهما فيمن ارسل من أهل حمص ، وكانا قد اكتتبا من اليهود (صلاصفة) (٨) فأخذاها معهما يستفتيان فيها أمير المؤمنين يقولون — ان رضيها لنا أمير المؤمنين ازددنا فيها رغبة ، وان نهانا عنها رفضناها ، فلما قدما عليه قالا — إنا بأرض أهل الكتاب وانا نسمع منهم كلاما تقشعر منه جلودنا أفنأخذ منه أو نترك ؟ فقال — لعلكما كتبتما منه شيئا . فقالا : لا . قال : سأحدثكما انطلقت فى حياة النبى — صلى الله عليه وسلم — حتى أتيت خيبر، فوجدت يهوديا يقول قولا أعجبنى فقلت : هل أنت مكتبى مما تقول ؟ قال : نعم . فأتيت بأديم فأخذ يملى على حتى كتبت فى الاكراع : فلما رجعت قلت : يا نبى الله ، واخبرته . قال : «ائتنى به » . فانطلقت أرغب عن الشيء رجاء أن أكون جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض ما يحب فلما أتيت به قال : (أجلس اقرأ على) فقرأت ساعة ثم نظرت الى وجه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فاذا هو يتلون ، فتحيرت من الفرق ، فما استطعت ان أجيز منه حرفا ، فلما رأى الذى بى ، رفعه ثم جعل يتبعه رسما رسما ، فيمحوه بريقه وهو يقول : « لا تتبعوا هؤلاء فانهم قد هوكوا وتهوكوا » . حتى محا آخره حرفا حرفا . قال عمر — رضى الله عنه — فلو علمت أنكما كتبتما منه شيئا جعلتكما نكالا لهذه الامة ، قالا : والله ما نكتب شيئا أبدا ، فخرجا بصلاصفتهما ، فحفرا لها فلم يألوا أن يعمقا ، ودفناها فكان آخر العهد منها .

قال ابن كثير وروى أبو داود فى (المراسيل) من حديث ابن قلابة عن عمر نحوه (٩) .

لهذا وغيره نجد الحافظ ابن كثير يتعقب الاسرائيليات ، ويبطل كثيرا منها ، لكن ، ما رأى ابن كثير فى الحديث الذى رواه الامام البخارى ، وذكره هو فى مقدمة التفسير والذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » ؟ الاجابة عن ذلك نجدها فى تقسيمه للاسرائيليات .

اقسام الاسرائيليات :

قسم الحافظ ابن كثير الاسرائيليات كما فعل شيخه ابن تيمية فى كتابه (مقدمة فى أصول التفسير) الى ثلاثة أقسام : —

« أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق ، فذاك صحيح .

والثانى : ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه .

والثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ، ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، ويجوز حكايته » (١٠) .

ويتحدث عن القسم الثالث فى موضع آخر (١١) فيقول : (ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون فى روايته يقول عليه السلام : « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » وهو الذى لا يصدق ولا يكذب لقوله « فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » (١٢) .

اما ما جاء موافقا لما عندنا ، فمثاله ما رواه الحافظ ابن كثير عن ابن جرير الطبرى عند تفسير قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ..)

الاعراف : ١٥٧/٧ .

« قال ابن جرير : حدثنا المثنى ، حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا فليح عن هلال بن على ، عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو فقلت اخبرنى عن صفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى التوراة قال : أجل ، والله انه لموصوف فى التوراة كصفته فى القرآن (يأيها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) وحرزا للاميين ، أنت عبدى ورسولى، اسمك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به قلوبا غلفا ، وآذانا صما ، وأعينا عميا . قال عطاء : ثم لقيت كعبا فسألته عن ذلك فما اختلف حرفا ، الا ان كعبا قال بلغته : قلوبا غلوفيا وآذانا صموميا وأعينا عموميا » .

قال ابن كثير معلقا على هذا الحديث : وقد رواه البخارى فى صحيحه عن محمد بن سنان عن فليح عن هلال بن على . فذكر باسناده نحوه ، وزاد بعد قوله ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وذكر حديث عبد الله بن عمرو (١٣) .

أما القسم الثانى من الاسرائيليات وهو ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه ، فهى كثيرة، وقد ذكرابن كثير شيئا كثيرا منها ، وعقب عليه بالنقد وأبطله ، وسنضرب لذلك الامثال فيما بعد ان شاء الله .

أما القسم الثالث ، وهو المسكوت عنه فيوضح ابن كثير موقفه منه حين يقول فى مقدمة التفسير : « وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى أمر دينى ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب فى هذا كثيرا ، ويأتى من المفسرين خلاف بسبب ذلك ، كما يذكرون فى مثل هذا اسماء أصحاب الكهف ،ولون كلبهم ،وعددهم ،وعصا موسى من أى الشجر كانت ، واسماء الطيور التى أحياها الله لابراهيم وتعيين البعض الذى ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التى كلم الله منها موسى ، الى غير ذلك مما أبهم الله تعالى فى القرآن ، مما لا فائدة فى تعيينه تعود على المكلفين فى دينهم ولا دنياهم » .

ثم يبين حكم نقل الخلاف فى ذلك وفائدته فيقول : ـ

« ولكن نقل الخلاف عنهم فى ذلك جائز كما قال تعالى : « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا » (١٤) . فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب فى هذا المقام وتعليم ما ينبغى فى مثل هذا ، فانه تعالى حكى منهم ثلاثة أقوال ، ضعف القولين الاولين وسكت عن الثالث ، فدل على صحته ، اذ لو كان باطلا لرده كما ردهما . ثم أرشد على أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته . فقال فى مثل هذا (قل ربى أعلم بعدتهم) فانه ما يعلم ذلك الا قليل من الناس ممن أطلعه عليه . فلهذا قال : (فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا). أى لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ، ولا تسألهم عن ذلك فانهم لا يعلمون من ذلك الا رجم الغيب ، فهذا أحسن ما يكون فى حكاية الخلاف ، أن تستوعب الاقوال فى ذلك المقام ، وان تنبه على الصحيح منها وتبطل الباطل ، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته فتشتغل به عن الأهم فالأهم » (١٥) .

ونفيد من هذا النص :

١ ـ أن ماأخذ عن أهل الكتاب مما هو مسكوت عنه تجوز روايته .

٢ ـ وان هذا المروى لا فائدة فيه .

٣ ــ كثرة الخلاف فى هــــــذه المرويات .

٤ ــ وجوب استيعاب الاقوال فى حكاية الخلاف والتنبيه على الصحيح والبــاطل ، وذكــر فائدة وثمــرة الخــلاف .

٥ ــ عــدم اثارة الخلاف فيمــا لا طائل تحته حتى لا يتشعب الخلاف ويضيع الزمان .

ويؤكــد ابن كثير حرصه علــى الاعراض عن كثير من الاسرائيليات لما فيها من تضييــع الوقت ، ومــا اشتملت عليه من كذب فاضح فيقول فى تفسير قوله تعالى : « ولقد آتينا ابراهيم رشــده من قبــل وكنــا به عالمين » الأنبياء ــ ٢١/٥ « وما يذكر من الاخبار عنه فى ادخال أبيه له فى السرب وهو رضيع ، وانه خرج بعد أيام ، فنظر الى الكواكب والمخلوقات، فتبصر فيها ، وما قصــه كثير من المفسرين وغيرهم ، فعامتها أحاديث بنى اسرائيل ، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقتــه الصحيح ، وما خالف شيئا من ذلــك رددناه ،وماليس فيه موافقة ولامخالفة لا نصدقه ولا نكذبه ، بل نجعله وقفا ، وما كان من هــذا الضرب منها فقــد رخص كثير من السلف فى روايته ، وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ، ولا حاصل له مما ينتفع به فى الدين ، ولو كانت فائدته تعود على المكلفين فــى دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملــــة الشاملة .

والذى نسلكه فى هذا التفسير ، الاعراض عن كثير مــن الاحاديــث الاسرائيلية لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم ، فانهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمهــا ، كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هـــذه الامة » (١٦) أى أمة محمد صلى الله عليه وسلم . فما أبلغ هذا البيان عن الاسرائيليات وما أروعه !!.

ان الكثير منها كذب وبهتان ، وفى ذكره تضييع للزمان ، وعدم فائدة تعود على المكلفين ، ومع هذا فان الكثير من السلف ــ رحمهم الله ــ قد وضعوا هذا الكذب المنقول عن أهل الكتاب غير الحفاظ والذى لا فائدة منه بجــوار كلمات الله ، تفسيرا لبعضها ، وهو أمر ما كان ينبغى أن يحدث . ولذا فان الحافظ ابن كثير قد وجه انتقــادات كثيرة لهذه الاسرائيليات التى لا يقبلها عقل سليم ولا يقرها شرع صحيح ، وارجو أن أبين هذا الموقف الكريم لابن كثير فى مقالات أخرى ان شاء الله .

■ ابن كثير هو العالم الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ اسماعيل بن عمر المولود سنة ٧٠٠ هـ والمتوفى سنة ٧٧٤ هـ وقد نلت عنه وعن منهجه فى التفسير درجة الماجستيــــر من كلية دار العلوم جامعة القاهرة .

(١) مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية ص ١٩ مطبعة الترقى بدمشق الطبعة الاولى .

(٢) تفسير ابن كثير ٤١٦/٣ طبعة الحلبى .

(٣) المائــدة ٣/٥ .

(٤) تفسير ابن كثير ٣٧٨/١ .

(٥) المصدر السابق : الموضع نفسه .

(٦) التهوك : التحير .

(٧) تفسير ابن كثير ٤٦٧/٢ .

(٨) الصلاصفة : شىء يكتب فيه .

(٩) تفسير ابن كثير ٤٦٨/٢ .

(١٠) تفسير ابن كثير ٤/١ .

(١١) المصدر السابق ٢٧٥/٢ .

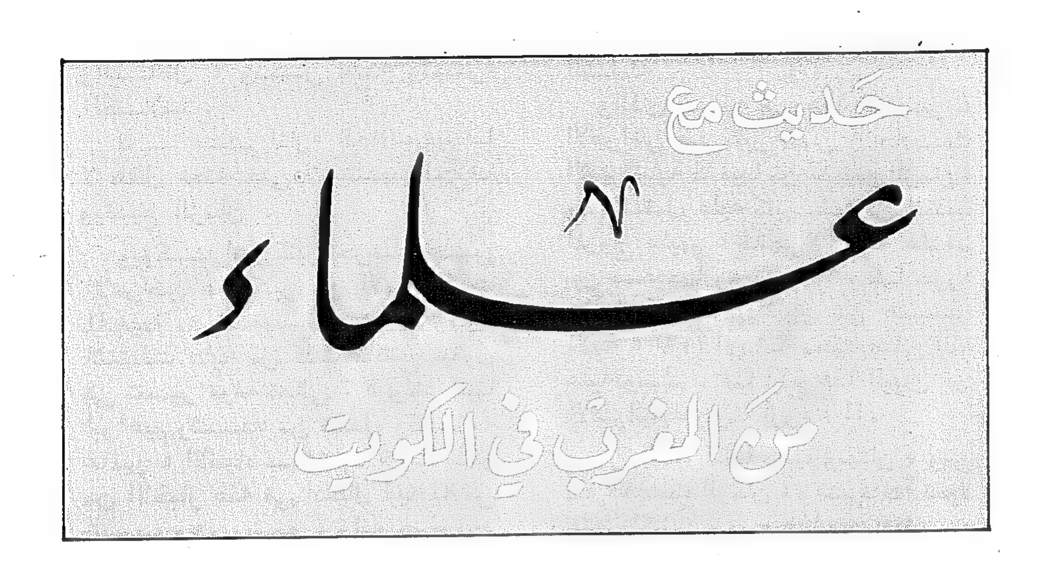
(١٢) هناك أقسام أخرى للاسرائيليات باعتبار الموافقة لما فى شرعنا أو المخالفة له ، وباعتبار موضع الخبر الاسرائيلى وهى قريبة من بعضها وقد ذكرها الاستاذ الفاضل محمد حسين الذهبى فى كتابه القيم (الاسرائيليات فى التفسيــر والحديث) .

(١٣) تفسير ابن كثير ٢٥٣/٢ .

(١٤) الكهف ٢٢/١٨ .

(١٥) تفسير ابن كثير ٤/١ .

(١٦) المصدر السابق ١٨١/٣ ــ ١٨٢ .



اعداد الأستاذ عبد الحميد محمد البسيونى

من الأرض التى كانت معبرا للنور ..

وحملت عبق المجاهدين الأوائل ، من أمثال عقبة بن نافع ، وموسى بن نصير وحسان بن النعمان الغسانى ..

وولدت القائد الفذ طارق بن زياد ..

من أرض المغرب الحبيب ، البلد العربى المسلم الذى أذهل جنده فى معركتنا الأخيرة كل عربى بالمشرق ، بثباتهم الصابر ، وحماستهم المؤمنة .

من هذه الأرض الطيبة ، نزل الكويت ، ضيفا على وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية جماعة من علماء المغرب ، هم الأستاذ الشيخ « الحسن السايح » المدير السابق للتعليم الاسلامى بالمملكة المغربية ، والمفتش الأول بوزارة التربية الوطنية وأستاذ الآداب بالمعاهد العليا .. وللأستاذ السايح يد فى توجيه الثقافة الإسلامية بالمغرب ، إذ هو من مؤسسى « اتحاد كتاب المغرب » ، و « شبيبة النهضة الاسلامية » ..

ومنهم الأستاذ « أحمد سحنون » رئيس قسم التعليم العالم بوزارة التربية الوطنية ..

والأستاذ جبران عبد السلام المسفيوى ، نائب عميد كلية الدراسات العربية بمراكش .

وقبيل عيد الفطر المبارك ، التقيت بالعالمين الفاضلين السايح وسحنون ، وكان من أهم دوافع هذا اللقاء لدى مجلة « الوعى الاسلامى » أن تقف قارئها على أهم المعالم العلمية ، وخاصة ما يتعلق بالثقافة الاسلامية والتعليم الدينى ، ولكن صوت

المعركة الحالية جعلنى أبدأ الحوار بهذا السؤال :

● ترون سيادتكم أن المعركة الحاليــة هى رأس الأمر الــذى يشغل بــال المسلمين ، فما الرأى الذى تدلون به موضحا واجب الجماهير المسلمة فى الأمــة العربية نحو المعركة ؟

وتفضل الشيخ السايح ، بعد نظرة الى صاحبه ، كأنه يسترجع معه حديثا تجاذباه من قبل ، فقال :

ــ الأمر الآن ليس أمر رأى ووصايا ، وللمرة الأولى أشعر ، ويشعر معى كل عالم وكل فرد ، أن حركة الأمة المسلمة : الواعية ، المليئة بالحماسة والثقة ــ قد سبقت كل كلام ، وفاقت كل تعبير .. ومن هنا أبدأ بأول الرأى :

أن يستمر كل مسلم على هذه الوتيرة : **وعى لا يغفل ، وعمل لا يفتر ، وكلام قليــل .**

مــوسى بــن نصير .. القائـــــد الفاتـــــح ، يهــــدى تجاربــــه لقــوادنا فــى الحــرب

واضاف الأستاذ الشيخ أحمد سحنون :

لعله من الخير هنا ، أن أسوق ما قاله أحد قادة الفتح فى المغرب : موسى بن نصير رحمــه الله .. سأله سليمان بن عبــد الملك : ماذا كانت عدتك فى حرب عدوك ؟

فأجاب : التوكل على الله ، والدعاء إليه يا أمير المؤمنين ..

فيسأله سليمان : هل كنت تمتنع فى الحصون والخنــادق ، أم كنت تخندق حولــك ؟

فيجيب القائد الخبير المؤمن : **كل هــذا لم أفعله ، بل كنت أنزل السهل ، وأستشعر الخوف والصبر ، وأتحصن بالسيف والمغفر ، وأستعين بالله ، وأرغب إليه فى النصر ..**

فبادرت قائلا : هذا كلام يحتاج الى فضل بيان .

ويمد الشيخ يده الى كتاب بجانبه بعنوان « قادة الفتح الاسلامى فى المغرب العربى » ، ويقول : هذا كتاب ألفه رجل من رجالات الحرب ، اللواء الركن محمود شيت‌خطاب ، وأظنه أولى الناس بما سألت من بيان ، ثم قرأ هذه السطور :

« إن موسى بن نصير كان قائدا تعرضيا ، يهاجم عدوه دائما ، ولا يؤمــن بالدفاع ، وكان يستشعر الخوف من عدوه ولا يســتهين به ، ولذلك يعد لــه كل ما يستطيع من قوة ومن رباط الخيل ، ويصبر على قتاله » .

وخشيت أن تستطرد بنا القراءة ، فسألت :

● ولو تكرمتم ببيان الدور الذى ينبغى أن يقوم به رجل الدين فى المعركة ..

فأجاب الشيخ السايح :

ــ لى اعتراض شكلى على السؤال .. فرجل الدين فى المعركة هو الــذى يحمل السلاح الآن ، ويصلى بحر المعركة ، ليذود عن دينه وعرضه ووطنه ، فذلك المسلم حق المسلم .. فنبينا صلى الله عليه وسلم ، هو صاحب الدين ، وهو أفضل المجاهدين ، ومن أقوالــــه الفذة **« جعل رزقى تحت ظل رمحى ، وجعل الذلــة والصغار على من خالف أمرى » ..**

أما إن كنت تريد دور « العالم » فدوره واضح جدا : أن يكون هو النمــوذج العملى أمام الجماهير بذلا وتضحية ، وأن يكون أول المبادرين لما ينصح به غيره .

● والآن يا سيدى ، نحب أن يقف القارىء المشرقى على لمحة مختصرة من الواقع الاجتماعى والدينى فى « المملكة المغربية » ؟

وتفضل الشيخ الحسن السايح فقال :

● **من هم البربر ؟**
● **لماذا ساند البربر الفينيقيين فى صد الغزو الرومانى ؟**
● **متى وجد البربر أنفسهم ؟**

ـ المغرب واقعا ، والمغرب تاريخا ، بلد **عربى مسلم** ، فلم يعرف المغرب قبل الإسلام « شخصية كاملة » ، وإنما تبلورت هذه الشخصية حين بلغته جحافل الفاتحين ، الحاملين لرسالة الإسلام ، فوجدت المغاربة الأولين ، وهم من البرابرة ، الذين يرجع أصلهم إلى **العرب اليمنيين** حسب الروايات المعتمدة عند ابن خلدون ، وغيره من علماء التاريخ والاجتماع .. ولعل ذلك هو الذى يعلل مساندة المغاربة القدماء للفينيقيين فى مقاومة الغزو الرومانى الوندالى ، إنه وحدة الأصل المشرقى ..

حتى إذا جاء الاسلام وجد المغاربة فيه شخصيتهم .. وما هى الا سنوات معدودة حتى ظهر القائد البربرى **طارق بن زياد** ، قائد الفتح فى بلاد الأندلس ، وله خطبة مشهورة بالعربية ، تعد من نماذج الفصاحة والبيان ، ثم ظهر من الفقهاء المغاربة **يحيى الليثى** تلميذ الإمام مالك .. ولعل أكبر الدليل على انتشار العربية المبكر فى المغرب ، أنه قد ظهر فيه منذ بداية الفتح الاسلامى مئات الشعراء والخطباء والكتاب .

● وبم تعللون سيادتكم هذه الاستجابة السريعة للتعرب ؟

ـ ذكرت لك أولا « وحدة الأصل » وفى هذا وحدة الفطرة اللغوية ، والأهم من ذلك استجابة البربر السريعة للاسلام ودخولهم فيه ، فكان القرآن الكريم بغير شك هو العامل الأول فى انتشار اللغة العربية ، لأن المسلمين يحفظونه ويرتلونه ، فهو كلام ربهم ، والأصل الأول للدين ، ثم يتعلمون من العلوم ما يعين على شرحه وفهمه ..

● والآن نحب أن نسأل : ما الإطار الاسلامى للمغرب الحديث ؟

ـ المغرب الحديث هو استمرار للمغرب القديم ، وإن شئت التحديد فالمغرب بلاد عربية مسلمة فى إطار حديث .. ونعم ، لقى المغرب فى سبيل الحفاظ على هذا الاطار جهدا جهيدا ، وما زال حتى يوم الناس هذا يبذل فى ذلك جهودا عظيمة .. فلعل المواطن المشرقى هنا قد وقف على طرف من الصراع الرهيب بين العربية : لغة الإسلام ووعائه ، والفرنسية التى عمل المستعمر الفرنسى على تثبيتها ، وجعلها لغة العلم والثقافة مكان العربية .. ولكن نتيجة الصراع أثبتت الغلبة للعروبة والإسلام .. والأدق من ذلك أن نقول : أثبتت الغلبة للعروبة بسبب الإسلام ..

● **حرب الاستعمار للغة العربية .**
● **مفهوم « العروبة » فى المغرب .**
● **أهم الجمعيات الاسلامية فى المغرب .**

وإذا سمحت لى ، فأحب أن أوضح **مفهوم العروبة فى المغرب ، فهى عندنا لا تعنى عروبة الجنس ، بقدر ما تعنى عروبة اللغة والأخلاق والقيم ، ولهذا ينص الدستور المغربى على أن الإسلام دين الأمة المغربية ، والعربية لغتها .**

وإذا زرت المغرب اليوم فسوف تجد عشرات الجمعيات والأندية الاسلامية ، اذكر لك من بينها « رابطة علماء المغرب » و « جمعية قدماء القرويين » و «رابطة علماء سوس » و « جمعية خريجى دار الحديث الحسنية » ..

● وماذا عن المجلات الإسلامية فى المغرب ؟

ــ نعم ، تصدر فى المغرب عدة مجلات إسلامية ، من بينها « دعوة الحق » و « الارشاد » و « الثقافة المغربية » و « الباحث » و « تطوان » .. هذه المجلات ذات طابع إسلامى أساسا .. ولا تنس الصحف السيارة اليومية ، التى لا تخلو صفحات منها من الحديث عن الشؤون الاسلامية ، والمشاكل الفكرية ودور الإسلام فيها ..

● ما دام الحديث عن الثقافة ، فنرجو من الأستاذ أحمد سحنون ، رئيس قسم التعليم العالى بوزارة التربية أن يعطينا فكرة مفصلة عن التعليم الدينى بالمغرب ..

ــ إن التعليم الدينى بالمغرب يرتبط ارتباطا وثيقا بجامعة القرويين ، التى تعتبر من أقدم الجامعات فى العالم ، حيث انها أسست سنة ٢٤٥ هـ على يد **أم البنين : فاطمة الفهرية** إحدى المهاجرات من القيروان الى فاس .. ومنذ تأسست وهى تقوم بدور التثقيف والتربية والتعليم ، وقد تخرج منها على مر العصور مئات العلماء فى مختلف العلوم والفنون .

● هل يعنى هذا أنه كان فيها أقسام مختلفة بحسب فروع المعرفة ؟

ــ نعم على نحو ما ، اذ كانت الدروس فيها حلقات حلقات ، فى كل حلقة عالم يدرس فنا من فنون المعرفة يتصدر فيه ، كالتفسير والحديث والفقه وأصوله ..

● إذن كان الأمر يقتصر على العلوم الشرعية !

ــ كلا ، فقد كان هناك أيضا ما يسمى بعلوم الآلة ، من نحو وصرف وبلاغة ، وكذلك علوم الفلك والرياضيات وغيرها ..

والجدير بالبيان أن الطلبة كانوا هم الذين يختارون الأستاذ بحسب ميولهم والفن الذى يرغبون فى تحصيله .

● جامعة القرويين من أقدم الجامعات ، فمتى أسست ؟
● من المرأة المسلمة التى أسست هذه الجامعة ؟
● متى أدخل عليها النظام الحديث ؟
● ما الدور الذى تقوم به جامعة القرويين فى أفريقيا ؟

● ما المدة التى كان على المتعلم أن يقضيها فى جامعة القرويين ؟

ــ لم تكن هناك مدة محدودة .. ما هو إلا أن يتم الطالب دروسه على أستاذه أو أساتذته ، ثم يشعر أنه تكونت لديه ملكة فى الفهم والاحاطة ، وأن لديه القدرة على التدريس ، فتجتمع لجنة من كبار العلماء لامتحانه ، فان نجح أعطوه اجازة التدريس .. وكان الطالب يحصل على أكثر من إجازة من العلماء المتصدرين كاعتراف له بالقدرة على التدريس أو الافتاء أو الرواية .

وفى سنة ١٩٣٠ م أصبحت الدراسة فى جامعة القرويين نظامية ، ووزعت الدراسة فيها على اثنتى عشرة سنة : ثلاث ابتدائية ، وست ثانوية ، وثلاث فى

التعليم العالى ، يحصل الطالب بعدها على « شهادة العالمية » وهى أعلى شهادة كانت تمنحها جامعة القرويين .. كما توسعت الجامعة ، فأصبح لها فروع فى فاس ومكناس ومراكش وتطوان .

ومنذ عهد الاستقلال توسعت دائرة التعليم الدينى ، فشملت معاهده جل المدن المغربية ، وأدخل تعديل على نظام جامعة القرويين ، فأصبح التعليم العالى فيها يضم ثلاث كليات ، هى : كلية الشريعة بفاس ، وكلية أصول الدين بتطوان ، وكلية الدراسات العربية بمراكش ، ومن المنتظر أن تفتح كليات أخرى فى المستقبل القريب بحول الله .

ومن الجدير بالتنويه أن كل مؤسسة من مؤسسات التعليم الدينى تحتوى على مكتبة خاصة بها ، بالاضافة الى مكتبة القرويين الكبرى ، التى تحتوى على كثير من المخطوطات النادرة ، التى لا وجود لها فى غيرها .

وقد تعززت جامعة القرويين باحداث « دار الحديث الحسنية » بالرباط ، وهى مؤسسة للدراسات الاسلامية العليا ، وتمنح لقب الدبلوم والدكتوراة .

● لو سمحتم لى سيادتكم بسؤال : هل تقتصر جامعة القرويين على قبول الطلبة المغاربة فقط ؟

ــ هذا ما كنت سأتم به حديثى .. كانت جامعة القرويين ولا تزال تضم الكثير من الطلبة المسلمين ، من مختلف أنحاء العالم ، وخصوصا من أفريقيا وآسيا ويوجد بها الآن فى المرحلتين الثانوية والعالية حوالى خمسمئة طالب أجنبى ، من مختلف الدول الأفريقية والأسيوية ، وحتى من أوروبا .

وأحب إكمالا لصورة التعليم الدينى فى المغرب أن أنبه الى أن هناك نوعا آخر من التعليم الدينى لا يخضع كسابقه لاشراف وزارة التربية ، فهناك مراكز اخرى للتعليم الدينى ، توجد فى أهم المدن المغربية ، الغرض منها تكوين الدعاة والمرشدين ، ويشرف على هذه المراكز وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية .

وفى نهاية جوابى ، أحب أن أقول للقارىء إن هذه لمحة سريعة ، بل خاطفة عن التعليم الدينى بالمغرب ، وقد صدرت عدة دراسات عن هذا التعليم وتطوره ، وعن جامعة القرويين بالخصوص ، وآخر ما أذكر من ذلك أطروحة للدكتور عبد الهادى التازى سفير المغرب سابقا بالعراق وأحد علماء جامعة القرويين ..

● أشرتم فى حديثكم الى مكتبة جامعة القرويين ، فهل لكم أن تزيدونا إيضاحا عنها ؟ وهل بالمغرب مكتبات أخرى ؟

ــ الواقع أن المغرب ملىء بالمكتبات ، منها العام ، ومنها الخاص .

وتعتبر مكتبة جامعة القرويين (وهى قريبة من الجامعة بمدينة فاس) من أقدم المكتبات المغربية ، وتضم مجموعة كبيرة من الكتب فى مختلف فنون المعرفة ، وأهم ما فيها مجموعة كبيرة من المخطوطات النادرة ، بل ان بها ــ كما قلت ــ مخطوطات لا وجود لها بسواها .

وتوجد بالرباط مكتبة لا تقل عن مكتبة القرويين ، وهى قسمان : قسم للمطبوعات ، وآخر للمخطوطات والوثائق ، يحوى عدة آلاف من الكتب ، بعضها لا يعرف له نظير حتى الآن فى مكتبات العالم ، كما اكد ذلك بروكلمان وغيره من

● **ماذا تعلم عن مكتبات المغرب ؟**
● **نفائس المخطوطات التى تنفرد بها جامعة القرويين .**
● **ماذا قال بروكلمان عن الخزانة العامة ؟**
● **الخزانة الملكية بالرباط .**
● **مكتبات المساجد .**
● **المكتبات الخاصة .**

المهتمين بهـذا الميـدان .

وتوجد أيضا بالرباط الخزانة الملكية ، وهى وإن كانت ملكا خاصا للعائلـة المالكة فانها موضوعة رهن إشارة العموم ، وبهـا هى الأخرى نفائس عظيمـة لا وجود لمثلهـا .

ويقبل على هذه المكتبات الثلاث كثير من الدارسـين ، والمهتمين بالتحقيق ، وتزورها بعثات علمية وثقافية من جميع بقاع العالم .

وبالاضافة الي هذه المكتبات الثـلاث توجد مكتبات متوسـطة وصغيرة فى مختلف المدن المغربية ، كما توجد مكتبات مهمة جدا فى كثير من الزوايا والمساجـد المنتشرة فى أنحاء المغرب .. وتقوم وزارة الأوقـاف والشؤون الاسـلامية الآن بفهرستها وتنظيمها .

ومما يجب الاشارة اليه هنا المكتبات الخاصة ، فهى كثيرة ، لا يخلو بيت من البيوتات الكبرى ، وخاصة بيوتات أهل العلم من مكتبة علميـة تختلف أهميتهـا باختلاف أحوال الأسرة .

● سؤال أرجو أن يكون أخيرا بعد هذه السياحة الطويلة فى معاهد المغرب ومكتباتها ..

ما العلاقة بين الثقافة المغربية الحديثة والتوجيه الاسلامى ؟
وما حظ التربية الاسلامية من مناهج التعليم ؟

وتفضل الأستاذ السايح فقال :

ــ أختم بما بدأت به .. وإن حوادث الواقع خير ترجمان لما سألت عنه .. أعنى بذلك استجابة المغرب لمتطلبات المعركة الأخيرة ، ولعلك شاهدت معى على شاشة التلفزيون الكويتى جلالة الملك الحسن الثانى يبعث قـواده بعلم المغـرب ليقفوا بجانب إخوانهم فى معركة الشرف .

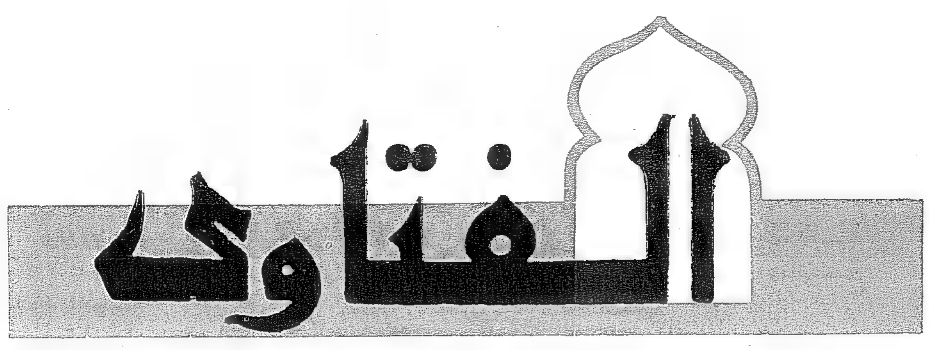
أقول : إن هذا الموقف ليس مجرد صدفة ، ولا هو رد فعل للحظة عابـرة ، إنه نتيجة لميراث أجيال ، وتربية قرون طويلة ، تؤكد دائما أخوة الإسلام .

ولذلك فإن التعليم فى المغرب هو تعليم إسلامى قبل كل شىء ، أعنى أنه فى مجموعه يخضع للتوجيه الاسلامى ، سواء من حيث المواد ، أو الهدف التربـوى أو عدد الحصص .

وإن كنت ــ شخصيا ــ أعتقد أن رسالة البيت والمجتمع ــ قبل ذلك ومعه وبعده ــ أشد خطرا فى هذا الجانب ، وأهم بكثير من المدرسة .

● ● ●

وعشرات الأسئلة ما زالت فى رأسى ، وأشفقت على وقت الضيوف الكرام ، وقدرت أن ما بقى سوف يكون مفتاحا بالأشواق ــ فى قلبى وقلب كل مشرقى ــ الى المتابعة والدرس والالتحام الفكرى .. وعسى أن يكـون ذلك فى كل بقـاع الإسلام .



حكم المسلم الذى يتعامل مع اسرائيل

السؤال :

ما هو حكم المسلم الذى يعاون أو يتعامل مع اسرائيل ؟ ..

آدم اسماعيل ـ مقديشيو

الاجابة :

المسلم هو الذى يلتزم أحكام الدين ، ويتولى الله ورسوله والمؤمنين ، ويقاطع من هو عدو لله ورسوله وللمؤمنين ، فلا يعاملهم ، ولا يعاونهم ، ولا يواليهم ، والاسرائيليون احتلوا أرضنا ، وشردوا أخواننا ، وخربوا ديارنا ، وقتلوا نساءنا وشبابنا ، فهم أعداؤنا وأعداء الله ، وكل من يعاونهم ويساعدهم بالعمل فى مصانعهم ، ومتاجرهم ، ومنشآتهم ، يشد أزرهم ، ويعينهم على ظلمهم ، وكل من يواليهم من المسلمين ببيع الاسلحة ، أو الاطعمة ، أو ترويج سلعهم ، ومصنوعاتهم ، منافق ، بعيد عن روح الاسلام ، قال تعالى : **((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة))** ، وفى القرآن الكريم ما يدل صراحة على أن من يتولى قوما فهو منهم قال تعالى : **((ومن يتولهم منكم فانه منهم))** . ومعنى هذا أن من يتولى الصهيونيين فهو منهم ، وقال تعالى : **((لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله))** .

حكم التجسس للأعداء

السؤال :

ما حكم من يتجسس لاسرائيل ويدلى بمعلومات عن قوة المسلمين ؟ ..

ذهب سعيد ـ السودان

الاجابة :

ان التجسس لأعداء المسلمين من أفحش الجرائم ، وأعظمها خطرا على الاسلام والمسلمين ، ومن أشدها اثما وعقابا فى الدنيا والآخرة ، وليس فى الجرائم ما يشبهها خزيا وعارا ، لأن التجسس لأعداء الله فى حقيقته بيع مال المسلمين وأوطانهم وأرواحهم لأعداء الاسلام بثمن بخس يأخذه الجاسوس المجرم لنفسه .. ان الجاسوس يكشف عورات البلاد ، ومقاتلها ، ومداخلها ، ليدخل منها العدو .

والذى نميل اليه فى حكم الجاسوس المسلم لأعداء المسلمين انه إن كان يفعل ذلك عن عمد وسوء قصد ، واتخذ هذا العمل حرفة فانه يقتل ، وهذا ما تقضى به القوانين المدنية ، وهو موافق لأحكام الشريعة حماية للمسلمين ، وصونا لدمائهم ، وأموالهم ، وأعراضهم ، وأوطانهم .

الدفاع المدنى
جهاد فى سبيل الله

السؤال :

هل يعتبر المشتركون فى الدفاع المدنى من المجاهدين فى سبيل الله .. ؟

عبد اللطيف اسماعيل — السويس

الاجابة :

الدفاع المدنى ضرب من الجهاد ، لأن المسلم الذى يقف فى المدينة أو القرية وقت الحرب يحرس المسلمين ، ويحفظهم من التهلكة ، ويساعد فى علاج الجرحى ، واطفاء النار ، ورفع الانقاض ، وتنبيه أخوانه الى الغارات الجوية ، وطرق الوقاية من أضرارها ، هذا ولا شك مجاهد فى سبيل الله اذا كان يقصد بهذا العمل ابتغاء مرضاة الله والدفاع عن الاسلام والمسلمين وحرماتهم .

اخراج القيمة
فى الزكاة والكفارة

السؤال :

هل يجوز شرعا اخراج القيمة فى الزكاة والكفارة .. ؟

همام المجيل — الاردن

الاجابة :

المعروف فى مذهب مالك والشافعى أنه لا يجوز ، ويجوز عند أبى حنيفة .

أما أحمد فقد منع القيمة فى مواضع وجوزها فى مواضع .

يقول ابن تيمية : والأظهر أن اخراج القيمة لغير حاجة ولا مصلحة راجحة ممنوع ، وأما اخراج القيمة للحاجة أو المصلحة فلا بأس به ، ومن الحاجة التى ضربها ابن تيمية مثلا أن يكون المستحقون للزكاة طلبوا منه اعطاء القيمة لكونها أنفع لهم فيعطيها اياهم .

تعجيل الزكاة

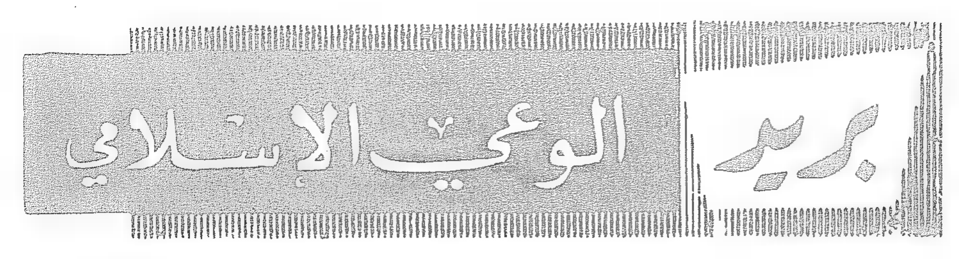
السؤال :

اشتغل بالتجارة وأخرج زكاتها كل عام والحمد لله ، وفى هذا العام عرضت ظروف تحملنى على اخراج الزكاة قبل مضى الحول ، فهل يجوز لى شرعا تعجيل الزكاة .. ؟

مسلم — الكويت

الاجابة :

تعجيل الزكاة قبل وجوبها يجوز عند جمهور العلماء كأبى حنيفة والشافعى وأحمد ، وفى (المسائل الماردينية) لابن تيمية : يجوز تعجيل زكاة الماشية والنقدين وعروض التجارة ، اذا ملك النصاب ، ويجوز تعجيل المعشرات قبل وجوبها اذا كان قد طلع الثمر قبل بدو صلاحه ، ونبت الزرع قبل اشتداد حبه ، فاذا اشتد الحب ، وبدا صلاح الثمر فقد وجبت الزكاة .



اعداد : عبد الحميد رياض

افريقيا وعلاقتهـــا باسرائيـــل ..

● ما هى الدول الافريقية التى قطعت علاقاتها الدبلوماســية باسرائيل حتى الآن .. وكم عدد الدول الافريقية التى لم تقطع علاقاتها بعد .. ؟

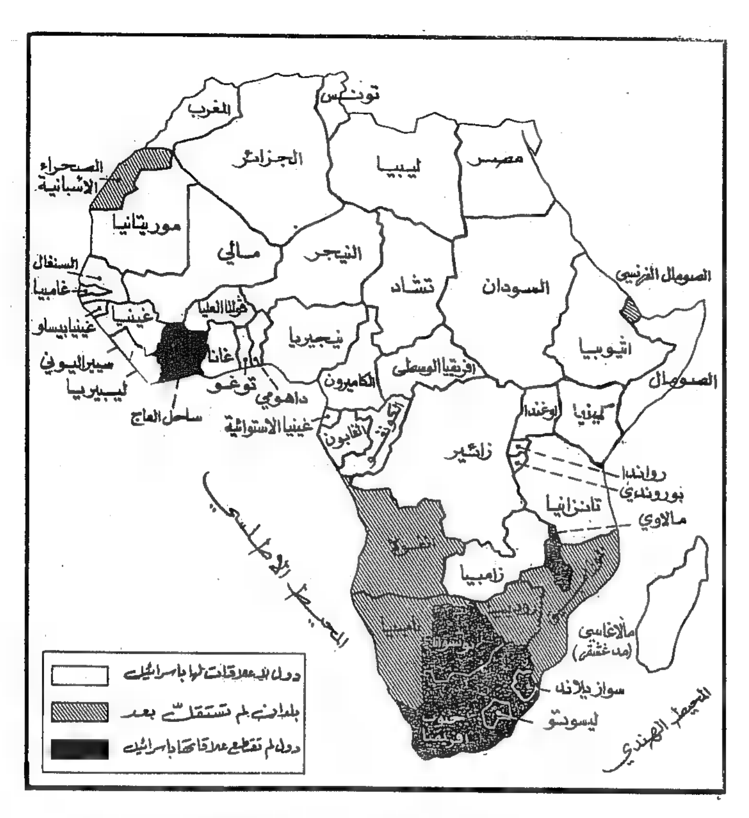
— الدول التى قطعت علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل هى :
غينيا ، أوغندا ، تشاد ، الكونغو الشعبية ، النيجر ، مالى ، بورندى ، توجو ، زائيرى ، داهومى ، رواندا ، فولتا العليـــا ، الكميرون ، غينيـــا الاستوائية ، تانزانيا ، مالاجاشى ، (مدغشقر) جمهورية أفريقيا الوسطى ، أثيوبيا (الحبشة) ، نيجيريا ، زامبيا ، جامبيا ، غانا ، السنغال ، جابون ، كينيا ، ليبيريا ، ساحل العاج .
أما الدول التى لم تقطع علاقاتها بعد فهى :
جنوب أفريقيا ، بوتسوانا ، مالاوى ، ســوازيلاند ، ليسوتو ، ومرويشوس (جزر تقع الى الشرق من مالاجاسى) .
بالاضافة الى ستة أقاليم لم تحصل على استقلالها بعد وهى :
أجولا ، ناميبيا ، الصحراء الاسبانية ، روديسيا (تحكم من غير أهلها بشكل عنصرى) ، موزمبيق ، الصومال الفرنسى ، بالاضافة الى أرتيريا التى تخضع لاشراف أثيوبيا وهى تكافح من أجل الاستقلال .
ومن المعروف أن هذه القارة تعتبر بالنسبة لاسرائيل مكانا خصبا لتصدير بضائعها والاستفادة من خلوها من البضائع العربية ، والانتفاع بمعادنها ، مع العلم أن أفريقيا قارة غنية جدا بالمعادن بل تعتبر أولى القارات فى انتـــاج الماس والذهب واليورانيوم والقصـــدير والنحاس والمنجنيز وخام الالمنيوم والفوسفات .

لذلك يعتبر قطع علاقاتها باسرائيل ضربة قوية موجهة الي الاقتصـــاد الاسرائيلى وهزة عنيفة فى كيانه وعلى أمتنا العربية أن توفر البديل لأفريقيا حتى تنقطع عملتها نهائيا باسرائيل ، خصوصا وان القارة يشكل سكانها نسبـــة كبيرة من المسلمين ويمكن ان تكون القارة المسلمة كلها بنشر المعرفة الواعيـــة المستمدة من وحى القرآن والهدى النبوى وبقليل من الجهد .

قطع البترول

لقد كرهت بريطانيا جدا لدعايتهـــا اليهودية هذه الأيام فهم يجســـدون انتصـــارات اسرائيل رغم معرفتهم جيدا أننا العرب منتصرون ولقد كان خبر قطع البترول صدمة كبيرة لبريطانيا .. فسوف تزيد أسعار البترول هنا وكذلك المواصلات .. وكل فرد فى الشارع يتكلم عن أهمية سلاح البترول .
ان شركات الاذاعة والتلفزيون ومعارض السيارات الكبرى أصـــحابها يهود وكذلك الصحف والمجلات ويحاولون باستمرار تحطيم أعصـــاب العرب بالحرب الاعلامية .

ن . ر لندن



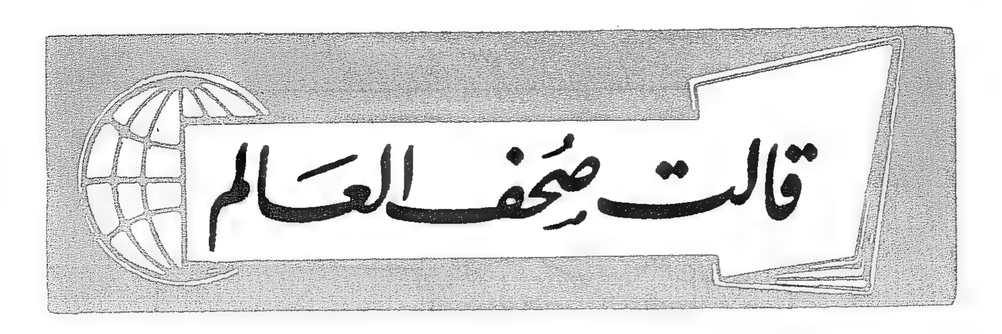
خريطة لدول افريقيا بعد قطع الاكثرية لعلاقاتها باسرائيل

دســـــائس يهودية

أثناء قراءتي لمجلتكم الغراء (العدد ١٠٢ السنة ٩ أول يوليو ١٩٧٣) لاحظت فى زاوية (بريد الوعى الاسلامى) استفسارا من أحد الاخوة القراء من ليبيا عن محاضر تكلم عن (الآيات الكونية) واصفا الله سبحانه ب (مهندس الكون الأعظم) . وقد كان جواب المجلة وافيا على ما أظن الا أنى وددت أن أضيف بأن (ادخال) بعض اللفظات الوصفية فى الدراسات الاســـلامية تتطلب فى أحيان كثيرة الحذر الشديد من الاندساس الخطير الموجه من قبل قوى اليهودية العالمية ضد الاسلام والمسلمين .

ان عبارة (مهندس الكون الأعظم) انما هى عبارة تستخدم فى المحافل الماسونية التى تعمل بتوجيه من اليهود فى أنحاء العالم .. وهى عبارة شائعة بين الماسونيين فى مختلف الدول حين التطرق الى لفظة الجـــلالة . بامكانكم مراجعة كثير من الكتب التى تبحث فى (الماسونية) لتجدو اثبات ما أقول . ولربما كتاب (دائرة المعارف الماسونية) يتضمن دلائل هامة فى هذا الحقل .

عبد السلام العمرى



دروس من الحــج

ليس فيما فرض الله من عبادات لها شمول الحج واتساعــه وبُعد أثره ، وكأنه إنما وقع فى نهاية العام الهجرى وفى آخر شهر من أشهره ، ليكون خاتمة المطاف ينتهى إليه المسلم بعد أن أدى فروضه فى خلال العام ، وترك كل فرض منها أثره فى نفسه ، فاذا ما انتهى الى نهاية العام جاءت فريضة الحج شــاملة لكل تلك الآثار ، مركزة لها فى نفسه مرسخة لها فى أعماقه .

الحج عبادات فى عبــادة :

ففى نفس المسلم من فريضة الصلاة آثار من طهارة القلب والنفس والجسم واعتياد على التذلل والخشوع لله ، وتعود على التزام النظام . فاذا كان الحــج كانت الطهارة مفروضة لمدة أطــول ، وكانت شاملة للقلب والنفس والجســم واللسان ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال ، وكان ذكر الله والتضرع اليه والتذلــل بين يديه فى كل خطوة وكل حركة ، لأن الحج ذكر لله فى أيام معلومات . وكان النظام فى شعائره أشد وأقسى ، فليس فيه انفراد عن الجماعة ولا قضاء بعــد فوات الموعد ، وكان لزاما على الحاج أن يتقيد بكل ما تقتضيه فريضة الحج من أداء للشعائر فى أماكنها وأوقاتها .

وفى نفس المسلم من آثار الصوم صبر وحرمان وتقشف ، فاذا كان الحج كان الصبر أشد ، والحرمان أقسى والتقشف أكثر ، فما أهون الصبر ساعات على ترك الطعام فى رمضان فى مقابل الصبر فى الحج على مشقة السفر ومفادرة الأهل والولد ، والصبر على الحر ، والصبر على التنقل من مكان الى مــكان ما بين طواف ووقوف فى عرفات وإفاضة ورمى وطواف وسعى ، وكان الصبر على ترك اللباس وهجر الزينــة والتنعم ولين العيش ، وكان الصبر على الزحام سواء فى الانتقال أو الطواف أو رمى الجمار ، وكان الصبر على مخالطة الناس والمرء صابر ساكت ملجم اللسان لا يناقش ولا يجــادل ولا يغضب لأنــه فى حج ، و « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جــدال فى الحج » .

وفى نفس المسلم من أثر الزكاة تعود على البذل والعطاء ، فاذا كان الحج ازداد البذل وكثر السخاء ، يبذله لركوبه وطعامه وصدقته ولمن خلفه وراءه من أهل وولد . انه فرض على من استطاع إليه السبيل ، وذلك أن الله تعالى يقول : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا . »

وهكذا كان فى الحج أثر من آثار الصــلاة والصيام والزكاة ، وكان فيه

تثبيت لآثارها وترسيخ ، وكان الحج شعائر فى شعيرة ، وعبادات فى عبادة . وكان درسا فى الطاعة ، ودرسا فى الصبر ودرسا فى البذل .

الحج درس فى الوحـــــدة :

وذلك أن فى الحج إعلانا لوحدة الهدف ، إذ تجتمع الأمة فى زمان معين فى أشهر معلومات ، وفى مكان معين عند بيت الله الحرام ، وفيما حوله من بقاع مباركة فى وادٍ غير ذى زرع ، تعبد إلها واحدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وتطوف ببيت واحد طهر للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وتستقبل قبلة واحدة أمرت أن تتجه اليها « فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » وتقوم بكل شعيرة من شعائر هذه الفريضة ومناسكها فى ظل نظام واحد معلنة فى كل خطوة من خطاها وفى كل تصرف من تصرفاتها إنها أمة واحدة « إن هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون . »

الحج درس فى المساواة :

واى مساواة ابلغ من اجتماع مئات الآلاف من المسلمين فى ظل نظام واحد لا يفرق بين أميرهم وســـوقتهم ، ولا بين غنيهـــم وفقيرهم ، ولا بين كبيرهـــم وصغيرهم ، وإنها المساواة التى فرضت عليهم فتقبلوها طائعين مختارين فرحة بها قلوبهم ، هنيئة بها نفوسهم ، وهى مساواة أعلنتها وحدة المظهر ووحدة الزى حين اجتمعوا فى صعيد واحد متجردين من ثيابهم تلك التى كانت تعلن تفاوتهم ، وتفرق فيما بينهم ، دالة بأناقتها وجدتها على غنى أصحابها أو سمو مناصـــبهم أو قوة سلطانهم ، أو دالة برثاثتها وخلوقتها وقدمها وبلاها على فقر أصحابهـــا وحرمانهم ، إنهم الآن جميعا فى ثياب بيضاء غير مخيطة تســـوى بينهم هجرهم للفوارق الدنيوية ، مذكرة بما سيؤولون إليه يوم يأتزرون بالأكفان البيضاء ، دالة بنقاء ظاهرها على نقاء باطنهم ، معلنة على العالم بثقة هكذا فلتكن المساواة ، هكذا يسوى الاسلام بين الناس .

الحج درس فى الأخوة الانسانية :

لست أعرف منظرا أروع فى إظهار الأخوة بين الشعوب من مظهر الحجاج ، وقد جمعهم مكان واحد فى زمان واحد لهدف واحد ، فجاؤوا رجـــالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ملبين للدعوة الكريمة ، محققين للفريضة السامية فإذا هم على صعيد واحد ، وبمظهر واحد فى ظل نظام واحد لا طبقية فيه ولا تفاوت ، لا حدود فيما بينهم ولا سدود ، آخت بينهم العقيدة التى لا انتساب يومئذ الا اليها ، وهى عقيدة لا فرق فى ظلها بين أسودهم وأبيضهم ، إنهم « إخـــوة » لأب واحد ، كلهم لآدم عليه السلام ، وهم « أخوة » لإيمان واحد ، « إنما المؤمنون إخوة » ، واذا كان بينهم تسابق أو تنافس فعلى منفعة إخوانهم لأنهم « كلهم عيال الله وأحبهم الى الله أنفعهم لعياله » ، وإذا كانت بينهم طبقات فليست على أساس من عرق أو نسب ولا على أساس من مال أو سلطان ولكن على أساس من التقوى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبـــائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » صدق الله العظيم .

بأقلام القراء

المبـــــدأ هو الــدين

ما هو مبدؤك ؟

الاســــلام . . .

عجبا وهل من يدين يدين يتخذ مبدأ سواه .

عجبا وهل من يذين بدين يتخذ مبدأ سواه .

الدين علاقة بين الفرد وربه ، وليست له علاقة بالمبادىء .

عجبا ومن أين أتيت بهذا الفهم .

هكذا يقول الناس .

إن الناس يقولون الصحيح والخطأ ومن الضــروری أن نزن اقوالهم ونفحصها فحص الخبير .

والعلماء يقولون مثلهم أيضا .

هل انت متأكد من ذلك . وهل تسمح أن تذكر لى اسم عالم من هؤلاء العلمــاء .

لا أعــــرفهم .

الأصل الا يخوض الانسان فی شیء لا يعرفه ولكننی مع ذلك لا أريد أن أحرجك فأحب أن اقول أن فهمك للدين قد جــانب الصــواب .

قل لی اذن أنت ما هو الدين الذی تدعو اليه ؟

الدين هو الطريق الوحيد الذی يجب أن تسلكه البشرية فی حياتها الفردية والعائلية والدولية والاقتصادية والسياســية والاجتماعية والأخلاقية والتعبدية والفكرية .

من أين أتيت بهذا الكلام ؟

اليست كلمة الدين كلمة عربيــة ، فافتح القاموس وشاهدها ان كنت لا تصدق قولی .

هذه أول مرة أسمع هذا الكلام .

لأنك لم تقرأ القــرآن « دستور الاســلام » قراءة متدبر فی حياتك أبدا .

وماذا يقول القرآن ؟
القرآن يؤيد المعنى اللغوى لمعنى كلمة الدين ، فلقد قال الحق تبارك وتعالى : « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .
إننى لم أفهم ما تقول .
اننى أعنى أن مفهوم الدين غير ما يتبادر الى أذهان الكثيرين .
هل تعنى أنهم لا يفهمون شيئا .
لا أقول ذلك . ولكننى أقول انهم لم يفهموه من مصدره الأصلى .
وكل فهم مقطوع عن مصدره الأصلى عرضة للخطأ .
اذا كان مفهوم الدين كما تقول فكيف يصلح لهذا الزمان ؟
يصلح لهذا الزمان لأن الذى أنزله خالق الزمان والمكان .
ولكن الدين الذى تتحدث عنه لم يعد صالحا لهذا الزمان .
ومن قال ذلك ؟
لأن المدنيـــة ظهرت والعلم قد تقدم .
لقد جاء الاسلام ليرسم القواعد الأصولية والمبادىء الأساسية التى تحتاجها البشرية فى كل زمان ومكان ، ولن تستغنى عنه المدنية مهما تقــدمت . وسيكون رفيقا للعــلم من أن يســاء استعماله للشر .
لقد انقضى عهد الخيام ، فلماذا نعود اليها ؟
ليس من أركان الاسلام الجلوس فى الخيام ولا يوجــد نص يجبرك على ذلك .
لا ، ان الاسلام دين رجعى لا يصلح لهذا الزمان .
لا تغرنك يا أخى الالفاظ فالاسلام هو الدين الحق الوحيد ، دين العدالة ، دين البشرية جمعـــاء ، الدين الذى أنزله رب العزة . ما يضيرك يا أخى اذا كان رجوعك الى الحق والعدالة والفضيـلة .
إن كل شىء قد تغير ولا بد أن يتغير ذلك الشىء الذى تتحدث عنـــه .
إنك لم تحدد معنى التغير حتى نستطيع أن نتعرف فيما اذا كان هذا التغير (الذى تتحدث عنه) سيجعل الاسلام غير صالح لهذا الزمان . اسمعنى جيدا إن الانسان لم يتغير طيلة هذه المدة ، فكيف يتغير المبدأ الذى يجب أن يحمله ؟
كيف لم يتغير ؟.

نعم إن الانسان لم يتغير حتى لو تغيرت ألبسته وحاجـــاته .
الانسان هو الانسان لم يتغير .

ان هذا رأى غريب على .

ليكن غريبا فهو حقيقة . ان الذى تغير هو الوسائل فقط ..
والوسائل لم تغير من الانسان .

ان الناس جميعا لهم رأى آخـــر .

لا أدرى من الذى خولك أن تنطق باسم الناس جميعا . أليس باستطاعتى أن أقول أن رأى الناس مطابق لما أقدمه من آراء .

دعنـــا من الفلسفة .

إنها ليست فلسفة بل حقائق واضحة . ومع ذلك فلنفرض أن رأى الناس كرأيك ، فلن يقدم ذلك فى الموضوع ولن يؤخر ،

هكذا أعتقد ، انه كلما تقدمت الدنيا يجب أن تتغير المبادىء .

هذا رأى خطير وطامة كبرى . ان حاجات الانسان لم تتغير ، فالمهم الدليل ، فما هو الدليل على صحة ذلك ؟

ومطالبه لم تتغير وحقوقه لم تتغير ، فالصدق فضيلة ويجب أن يبقى فضيلة مهما تقدم بنا الزمن .

كلامك صحيح ، ولكن الاسلام يقيد تصرفاتنا .

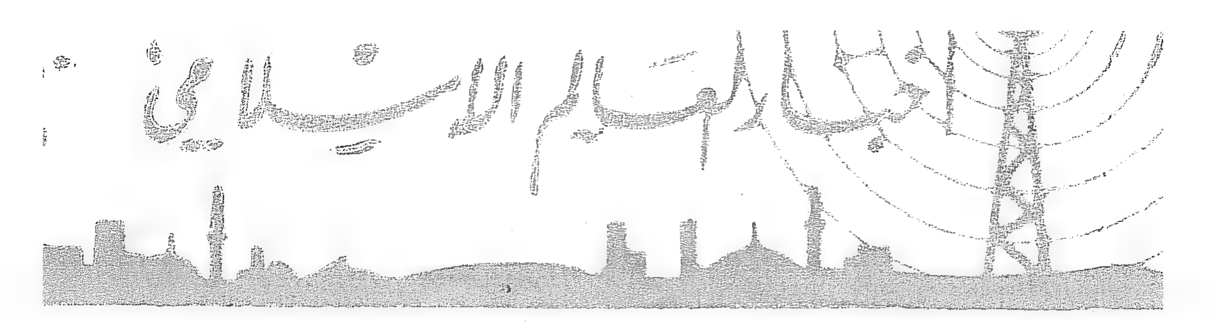
نعم الدين هو ، انه لا يمنع شيئا الا أباح لك أشياء .

ولكن لدى الآن موعد على مائدة من موائد الخمر ، فهلا أرجأت النقاش الى موعد آخر حتى لا تضيع علينا المتعة .

وهل هذه المتعة أعز عليك من مصيرك ومصير أمة ؟ هداك الله ووقاك شر المعصـــية .

● لقد كانت الـــكويت فى نطاق علاقاتها العربية دائبة طيلة العـــام المنصرم على مواصلة ســـياستها الثابتة الرامية الى اقامة أوثق علاقات الاخوة والتضامن مع الدول العربية الشقيقة انطلاقا من شعورها العميق بخطورة المرحلة التى تجتازها الأمة العربية .

الخطاب الأميرى



اعداد الاستاذ : فهمى الامام

الكويت :

● تلقى سمو أمير البلاد المعظم رسالة خطية من الرئيس الليبى معمر القذافى تتضمن وجهة النظر الليبية من الحرب العربية الاسرائيلية .

● افتتح سمو أمير البلاد المعظم فى ١٠/٣١ الدورة الثانية من الفصل التشريعى الرابع لمجلس الأمة .. وقد تلا الخطاب الأميرى فى الجلسة سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء . وركز الخطاب على دور الكويت فى التضامن العربى ومؤازرتها ومشاركتها الفعالة فى كل القضايا العربية المعاصرة .

● شهدت الكويت نشاطا سياسيا ودبلوماسيا واسعا ، فقد زار الكويت كل من الرئيس المصرى محمد أنور السادات ، والرئيس السورى حافظ الاسد والرئيس الجزائرى هوارى بومدين ، وجلالة الملك حسين ملك المملكة الأردنية . واجتمع كل منهم بسمو أمير البلاد المعظم . وتم البحث فى الاحداث التى تعيشها المنطقة .



● اجتمعت اللجنة الوزارية لدول الخليج العربى المنتجة للنفط فى الكويت ، وحضر الاجتماع ست دول عربية هى : الكويت والسعودية والعراق وأبو ظبى وقطر والبحرين كما حضرته ايران ، وقد تقرر فى الاجتماع بصورة نهائية رفع سعر سعر النفط الى نسبة ٧٠٪ .



● أكد وزير الداخلية والدفاع أن الكويت ترحب بعقد مؤتمر لوزراء الخارجية والدفاع العرب أو أى مؤتمر عربى آخر وعلى أى مستوى .

● تقوم وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بتزويد المراكز الاسلامية فى العالم بمجموعة من الكتب الثقافية والاسلامية بمختلف اللغات .

● اشاد مجلس الشعب المصرى فى بيانه الذى أصدره مؤخرا بالجهد العسكرى والسياسى والاقتصادى الذى قدمته الكويت لمعركة التحرير العربية .

القاهرة :

● قال الرئيس أنور السادات فى مؤتمره الصحفى الأخير : ان اسرائيل اول من تعلم بأن موقفها العسكرى فى الضفة الغربية للقناة « هش » وأشار الى استعمال إسرائيل لأسلحة أمريكية لم يستعملها الجيش الأمريكى نفسه .

● أصدر مجلس الشعب المصرى بيانا أعلن فيه ثقته بقيادة الرئيس السادات وأشاد بدور الزعماء والملوك العرب فى المعركة .. وأشاد ببطولة وقدرة الجيوش العربية .. ودعا الى المزيد من التضامن العربى الفعال .

السعودية :

● زار السعودية كل من الرئيس المصرى أنور السادات والرئيس الجزائرى هوارى بومدين وجلالة ملك الاردن .. وقد اجتمع كل منهم بجلالة الملك فيصل .

● تأثرت ثلاث دول بالحظر الذى فرضته المملكة العربية السعودية على نفطها وهى الولايات المتحدة الامريكية وهولندا وجنوب أفريقيا .

سورية :

● أعلنت سورية أنها لن تتخلى عن حبة رمل واحدة من التراب السورى ، وأنها ستبذل كل ما فى وسعها لاسترداد الأرض المغتصبة .

● دعت سورية الدول العربية الى الاحتفاظ باستعدادها القتالى لتستأنف حربها العادلة ضد اسرائيل فى أية لحظة ، وقالت : ان الذين يعتقدون أن الحرب انتهت واهمون ، لأن اسرائيل لن تنفذ قرار مجلس الأمن ولن تنسحب من الأراضى العربية التى أحتلتها الا مرغمة وبعد أن يحطم الجيش العربى ما تبقى من غطرسة لدى المؤسسة العسكرية الصهيونية .

قطر :

● أعلن الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير قطر فى افتتاح الدورة الجديدة لمجلس الشورى أن قطر عن بكرة أبيها قامت بتقديم كل ما وسعت طاقتها ، وأنها ستواصل تكريس أموالها ومواردها وكل ما تملك من أجل أداء الواجب الأخوى وحتى تتحرر كل الأراضى العربية المغتصبة ، وتعود كل الحقوق المسلوبة الى أصحابها الشرعيين .

الجزائر :

● دعت الجزائر الى عقد مؤتمر قمة عربى بها .. لتدارس الموقف وما يجب اتخاذه فى المرحلة الراهنة .

المغرب :

● دعت المغرب الى عقد مؤتمر لوزراء الخارجية والدفاع العرب لتدارس الوضع الحالى وما يجب اتخاذه .

الأردن :

● صرح جلالة الملك حسين بأن الحرب مع اسرائيل لم تصل بعد الى نهايتها .

ليبيا :

● قام الرئيس معمر القذافى بزيارة عدد من الدول العربية لمناقشة الموقف الراهن وتطوراته .

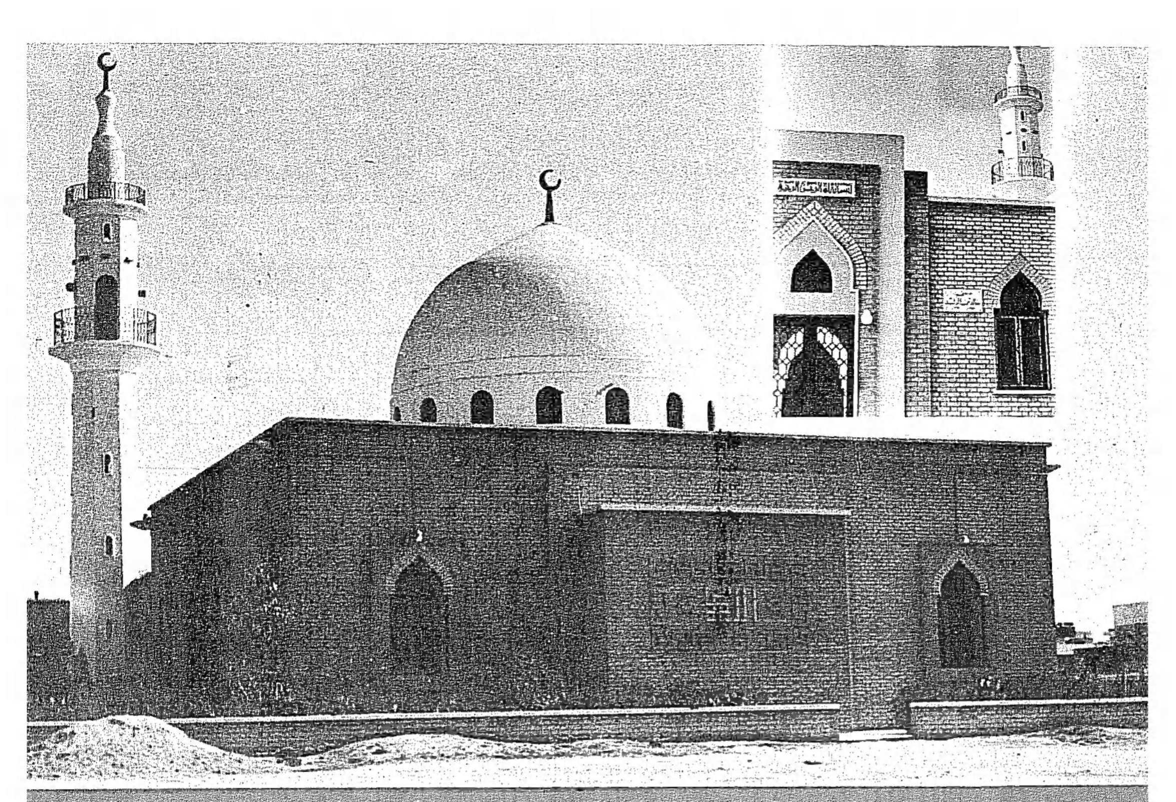
أخبار متفرقة

اوغندا :

● حذر الرئيس الاوغندى الدول العربية فى برقية أرسلها الى الرئيس المصرى من أن اسرائيل ستشن هجوما مفاجئا ، ودعا المسئولين الى اليقظة والاستعداد للأمر .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ذو القعدة ١٣٩٣	نوفمبر ١٩٧٣	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الاثنين	١	٢٦	٤ ٤٨	٦ ٢٠	١١ ٣٥	٢ ٢٩	٤ ٤٨	٦ ١٠	١٢ ٠٠	١ ٣٢	٦ ٤٦	٩ ٤١	١ ٢٢
الثلاثاء	٢	٢٧	٤٩	٢١	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	١	٣٣	٤٧	٤١	٢٢
الأربعاء	٣	٢٨	٥٠	٢٢	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	٢	٣٤	٤٧	٤١	٢٢
الخميس	٤	٢٩	٥١	٢٣	٣٦	٢٩	٤٨	١٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٢
الجمعة	٥	٣٠	٥١	٢٣	٣٦	٢٩	٤٨	١٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٣
السبت	٦	ديسمبر	٥٢	٢٤	٣٦	٢٩	٤٨	١١	٤	٣٦	٤٨	٤١	٢٣
الأحد	٧	٢	٥٣	٢٥	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٥	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
الاثنين	٨	٣	٥٣	٢٦	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٥	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الثلاثاء	٩	٤	٥٤	٢٦	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٦	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الأربعاء	١٠	٥	٥٤	٢٧	٣٨	٢٩	٤٨	١١	٦	٣٩	٥٠	٤١	٢٣
الخميس	١١	٦	٥٥	٢٨	٣٨	٢٩	٤٨	١١	٧	٤٠	٥٠	٤١	٢٣
الجمعة	١٢	٧	٥٦	٢٩	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٨	٤١	٥١	٤١	٢٣
السبت	١٣	٨	٥٦	٢٩	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٨	٤١	٥١	٤٢	٢٣
الأحد	١٤	٩	٥٧	٣٠	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الاثنين	١٥	١٠	٥٨	٣١	٤٠	٣٠	٤٩	١٢	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الثلاثاء	١٦	١١	٥٩	٣٢	٤٠	٣١	٤٩	١٢	١٠	٤٣	٤٢	٤٢	٢٣
الأربعاء	١٧	١٢	٥٩	٣٢	٤١	٣١	٤٩	١٢	١٠	٤٣	٤٢	٤٢	٢٣
الخميس	١٨	١٣	٥ ٠٠	٣٣	٤١	٣١	٤٩	١٣	١٠	٤٤	٤٢	٤٢	٢٣
الجمعة	١٩	١٤	٠٠	٣٤	٤٢	٣٢	٥٠	١٣	١١	٤٤	٤٢	٤٢	٢٤
السبت	٢٠	١٥	١	٣٤	٤٣	٣٢	٥٠	١٤	١١	٤٥	٤٣	٤٢	٢٤
الأحد	٢١	١٦	٢	٣٥	٤٣	٣٢	٥٠	١٤	١١	٤٥	٤٣	٤٢	٢٤
الاثنين	٢٢	١٧	٢	٣٦	٤٤	٣٣	٥١	١٥	١١	٤٥	٤٣	٤٢	٢٤
الثلاثاء	٢٣	١٨	٣	٣٧	٤٤	٣٣	٥١	١٥	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
الأربعاء	٢٤	١٩	٤	٣٧	٤٥	٣٤	٥٢	١٦	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
الخميس	٢٥	٢٠	٤	٣٨	٤٥	٣٤	٥٢	١٦	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
الجمعة	٢٦	٢١	٥	٣٨	٤٦	٣٥	٥٣	١٧	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
السبت	٢٧	٢٢	٥	٣٩	٤٦	٣٥	٥٣	١٧	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
الأحد	٢٨	٢٣	٦	٣٩	٤٧	٣٦	٥٤	١٨	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
الاثنين	٢٩	٢٤	٦	٤٠	٤٧	٣٦	٥٤	١٨	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤



مسجد
خالد بن الوليد ـ بالمنصورية ـ كويت

اسمه : خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن كعب .

إسلامه : هاجر مسلما فى صفر سنة ثمان .
ويروى أنه بعد إسلامه أقبل على اللات والعزى قائلا :
كفرانك لا سبحانك إنى رأيت الله قد أهانك

جهاده : كانت حياة خالد حافلة بالشجاعة والبطولة والانتصارات .. وكان قائدا إسلاميا عظيما ، شهد غزوة مؤتة ، بعد استشهاد الأمراء الثلاثة الذين أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم على الجيش ـ وهم زيد وجعفر وابن رواحة ـ أخذ خالد الراية وقاد الجيش الى الى النصر ، فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم سيف الله ، حيث قال : إن خالدا سيف سلّه الله على المشركين .

حياته : عاش خالد رضى الله عنه حياة كلها كفاح وجهاد فى سبيل الله ، شهد الفتح وحنينا ، وتأمّر فى أيام النبى ، واحتبس أدراعه ولامته فى سبيل الله ، وحاصر دمشق وافتتحها هو وأبو عبيدة .

وفاته : عاش خالد ستين عاما .. ولما حضرته الوفاة قال : لقد لقيت كذا وكذا زحفا ، وما فى جسدى شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم ، وهأنا أموت على فراش حتف أنفى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء .

توفى بحمص سنة إحدى وعشرين ودفن بها .. وروى أنه لم يترك بعد موته إلا فرسه وسلاحه وغلامه ، فقال عمر : رحم الله أبا سليمان كان على ما ظنناه به .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـازى : مكتبة الخـراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

المغـرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونـس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـارع فرنسـا .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمـان : وكالة التوزيع الأردنيـة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـدة : مكتبة مكـة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـراق : بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـرين : المكتبة الوطنية : شارع بـاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبــى : مطبعة دبى .

الكـويت : مكتبة الكـويت المتحـدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت